

د. د / 131
عبد الكريم بن عبد
المنعم بن عبد
المنعم بن عبد
المنعم بن عبد

131
د. د

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

قررت وزارة المعارف تدريس لهذا الكتاب بمدارسها ولجميع على تفقتها



المديرية العامة
للمناهج والكتب والمواضع التعليمية

المطالع العربية

للف الثالث المتوسط

وفق المنهج الجديد



بوزع مجاناً ولا يباع

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

الطبعة الثالثة

1310 >



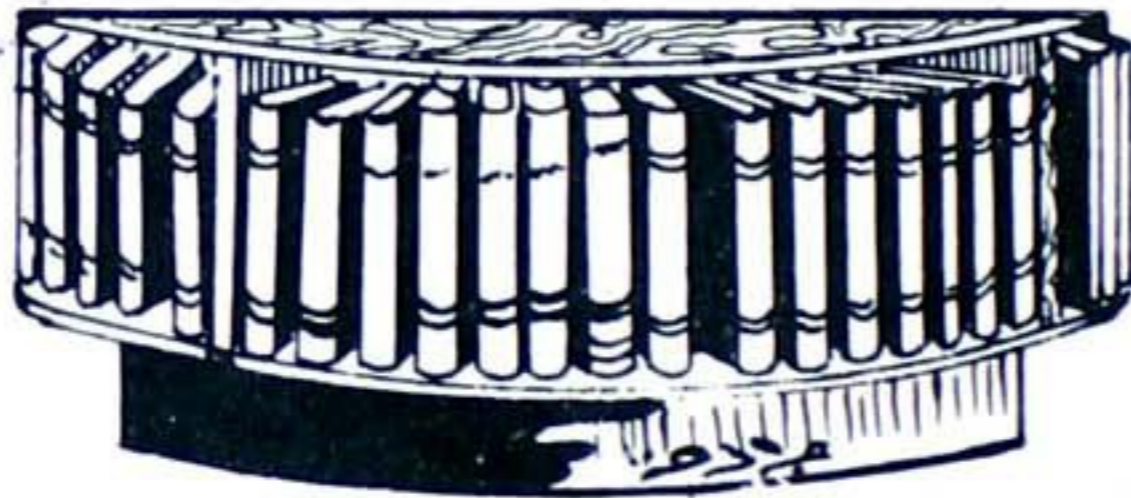
د. ن. 131

1965/3

قررت وزارة المعارف تدريس لهذا الكتاب بمدارسها ولطبعه على نفقتها

المطالع العرعر

للف الثالث المتوسط



تأليف

د. عز الدين فراج

د. بدوي طبانة

عبد الحسيب شحاتة

د. محمد رضا

بوزع مجاناً ولا يباع

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

طبعة الثالثة

1317 >

59970

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1965/3

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد خير الأنبياء والمرسلين وبعد :

فإننا نقدم كتاب المطالعة العربية للصف الثالث بالمدارس المتوسطة ، وقد وضعنا فيه كل خبراتنا الطويلة ، وتجاربنا التعليمية الكثيرة في علوم اللغة وآدابها ، وفي مجالات العلوم والفنون المختلفة ، ملتزمين بكل ما وضعته الوزارة من مواصفات وتوجيهات ، وكان أول أهدافنا تقويم أسنة التلاميذ وإمدادهم بما يغذى عقولهم ، ويصقل مواهبهم ، باختيار الموضوعات المناسبة التي تحقق هذا الغرض .

وقد عنينا بالموضوعات التي تقوى في تلاميذ هذه المرحلة الأخلاق الفاضلة والمثل العليا ، مع تقديم مواقف مشرفة تغريهم بالافتداء بها والنسج على منوالها .

وكان من أهدافنا توعية تلاميذ المرحلة المتوسطة بما كان لأمة الإسلام من أمجاد خالدة ، عظيمة ، وتقاليد سامية رفيعة ، وفتوحات واسعة ، ليدرك الشباب الجديد أنهم سلاله أمة عمرت بفكرها وحضارتها وعظمتها ولغتها وعقيدتها مساحات واسعة من الدنيا ، واعترف بفضلها على الإنسانية الأعداء قبل الأصدقاء ، ولهذا اخترنا موضوعات تشعر الجيل الجديد بالعزة والمجد والفخر ، وتوقظ فيه الأمل وروح العمل .

وعنى الكتاب بمعالم الوطن العربي ، وما به من عناصر الثروة والقوة ، وما به من صور الجمال ومظاهر الطبيعة الخلابة .

وقد شمل الكتاب موضوعات فنية ترقى الذوق ، وتنمي المشاعر ، وتقوى الإحساس بالجمال ، هذا بجانب موضوعات تشيد بأهمية العمل اليدوى في تشغيل أوقات الفراغ ، وفي رفع مستوى الإنتاج .

وقد عنى الكتاب بالموضوعات العلمية فى مختلف المجالات ، فمن أعماق البحار ، إلى عالم الفضاء ، إلى المزارع والمصانع ؛ ليلمس التلاميذ كيف استطاع العلم أن يحقق النفع والخير لكل الناس .

وبجانب ذلك قدّمنا قصصاً تصور كفاح بعض العلماء ، لتوضح كيف جاهدوا وصبروا ، وكيف ضحوا واستشهدوا فى سبيل خدمة الإنسانية ؛ لتكون حياتهم قدوة حسنة للأجيال الجديدة .

وعنينا عناية خاصة بموضوعات البيئة السعودية ، فقدّمنا بعضها من جوانبها العمرانية والاقتصادية والتاريخية . وقد قدم كل ما ذكر فى عبارة أدبية ، ترفع من مستوى تعبير الطالب .

ولهذا نهيب بالسادة المدرسين أن يراعوا فى اختيار موضوعات القراءة التنوع الذى يحقق كل الأهداف التربوية التى قصدناها من تقديم هذا الكتاب .

وقد أتينا - فى الغالب - عقب كل موضوع بمجموعة أسئلة تعين على فهم الأفكار الكلية والجزئية ، كما تنمى قدرة التلميذ على التذوق والنقد ، وتعيّنه على معرفة مظاهر الجمال فى العبارات المختلفة ، كما تزيد من ذخيره اللغوية وتدرّبه على حسن التعبير .

وشرحنا (فى هوامش الصفحات) الكثير من المفردات اللغوية ، ووضحنا بعض الإشارات التاريخية والجغرافية والمصطلحات والأعلام .

وينبغى على السادة المدرسين الاهتمام بالقراءة الجهرية ؛ لما لها من أهمية فى تقويم اللسان ، والقدرة على النطق السليم ، والتعبير الواضح الفصيح ، هذا مع قيام المدرس بقراءة بعض الفقرات كمثال لما يجب أن تكون عليه القراءة الجهرية ، وإذا صفت عبارات المدرس فى دروس القراءة ، وكانت فى جملتها سليمة ، وحرص على الأناة فى إلتمائها فإنها تنفذ فى الأسماع ، وتستقر فى الأذان .

وأملنا أن يشجع السادة المدرسون التلاميذ على القراءة الصامتة فى المنزل ، فلهذه القراءة أهمية تربوية وتعليمية ، إذ أن تكرارها يعود التلاميذ على القراءة الذاتية الحرة .

ولكى تحقق دروس القراءة أهدافها كاملة ، فعلى المدرس أن يقدم الموضوع لتلاميذه فى أسلوب شيق ، مع شرحه وتحليله ومناقشته ، ومع تصحيح ما يقع فيه التلاميذ من أخطاء .

وبجانب ذلك ينبغى أن يشجع المدرسون التلاميذ على القراءة الحرة التى لا تتقيد بموضوعات هذا الكتاب ، بل يشجع كل مدرس تلاميذه على قراءة الصحف والمجلات ، ويرغبهم فى البحث والاطلاع فى المكتبات العامة والمكتبات المدرسية والمنزلية .

وفى ما يلى نقدم التوجيهات التعليمية ، والتربوية ، والوسائل التطبيقية ، التى يجب اتباعها فى دروس المطالعة .

أولاً : يجب أن تسبق الدروس قراءة التلميذ لموضوعه قراءة منزلية ، ويحاول فهم أفكاره العامة وعناصره المهمة ، مع إدراك معانى الكلمات والعبارات الصعبة ، وهذا يجعله مدركاً لما يصعب عليه فهمه فى المنزل ، فيحاول استكمالها وتوضيحها فى أثناء الدرس .

ثانياً : ويبدأ الدرس فى المدرسة بمناقشة تستهدف الكشف عما فهم التلاميذ منه فهماً عاماً ، بإلقاء أسئلة تسجل فى كراسة إعداد الدرس . ولا ترتجل ارتجالاً فى أثناءه .

ثالثاً : يقسم موضوع القراءة إلى وحدات فكرية ، يناقشها المدرس مع تلاميذه ، مناقشة لغوية ، تعين على فهم معانى الكلمات والتعبيرات : وإبراز العبارات الأدبية الجميلة ، وطريقة استخدامها استخداماً سليماً ، مع توجيه أسئلة تفصيلية تبرز ما فى هذه الوحدة من حقائق رئيسية وأفكار فرعية .

رابعاً : يقرأ المدرس بعض الفقرات مراعيًا الإلقاء الصحيح ، والوقفات السليمة وإبراز الأحاسيس والمشاعر .

خامساً : تتبع مناقشة الوحدة قراءة جهرية من التلاميذ ، للتدريب على حسن الأداء .

سادساً : يربط المدرس وحدات الموضوع بعضها ببعض ، وهذا يساعد على فهم عناصره وتسلسل أفكاره وترتيبها ، مع تدريب التلاميذ على وضع عناوين فرعية لكل وحدة من هذه الوحدات .

سابعاً : يراعى أن يمر وقت الدرس بين استماع ، وقراءة جهرية ، وأخرى صامتة .

ثامناً : يراعى ألا يقف تعليم القراءة عند الدروس المخصصة لها ، بل يدرّب التلاميذ عليها فى فروع اللغة العربية المختلفة .

وندعو للجميع بالتوفيق والسداد .

المؤلفون

١ - من هدى القرآن

أ - وحدانية الله

من سورة النمل، من الآية ٥٩ : الآية ٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ

عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ^ط اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ^{٥٩} أَمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ^{٦٠}

مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ^ط إلهٌ مَعَ اللَّهِ ^ط بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ^{٦١}

أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ^ط وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا ^ط وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا ^ط

وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ^ط إلهٌ مَعَ اللَّهِ ^ط بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ^{٦٢}

(١) اصطفى : اختار .

(٢) بهجة : حسن .

(٣) يعدلون : يشركون مع الله غيره .

(٤) قرارا : ثابتة لا تميد بأهلها .

(٥) خلالها : فيما بينها .

(٦) رواسي : جبلا ثوابت .

(٧) البحرين : العذب والملح .

(٨) حاجزاً : مانعاً لئلا يختلط أحدهما بالآخر .

آمَنَ بِجُيُبِ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَبِكَيْشِفِ السُّوءِ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ
 الْأَرْضِ ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ آمَنَ يَهْدِيكُمْ فِي
 ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءِإِلَهُ
 مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ آمَنَ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
 وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ
 إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾

المعنى

قل يا محمد : الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اختارهم
 لرسالته ، وأسألهم متهكماً : أى الآلهة أفضل ؟ الله أم الخيالات

- (١) المضطر : المكروب الذى مسه الضر .
- (٢) السوء : الضر .
- (٣) خلفاء الأرض : سكانها يهتلك قوماً وينشئ آخريين .
- (٤) قليلاً ما تذكرون : تتعظون .
- (٥) بشرى : مبشرات بقدوم المطر .
- (٦) يبدأ الخلق : يكونه فى الأرحام من نطفة .
- (٧) ثم يعيده : أى بعد الموت .
- (٨) برهانكم : حججكم على أن غيره يقدر على شىء من ذلك .
- (٩) يشعرون : يعلمون .
- (١٠) أيان يبعثون : متى ينشرون من قبورهم .

التي يشركونها معه ؟ أم من خلق السموات والأرض على ما فيهما
من إبداع وحكمة ، وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبت به بساتين
جسيمة ما كنتم تستطيعون أن تنبتوا شجرها ... ؟ أإله مع الله ؟
بل هم قوم يميلون عن الحق إلى الباطل . أم من جعل الأرض
مكاناً للاستقرار وأوجد بين أصقاعها أنهاراً لترويتها ، وجعل
لها جبالاً تثبتها وترسيها ، وجعل بين البحرين العذب والملح
حاجزاً حتى لا يختلطا ... ؟ أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون
الحق ويشركون به .

أم من يستجيب للمضطر إذا دعاه ويكشف عنه سوء ،
ويجعلكم خلفاء الأرض تتصرفون فيها ... ؟ أإله مع الله ؟ قليلاً
ما تتذكرون نعمه ! .

أم من يهديكم وأنتم في ظلمات البر والبحر لاتدرون أين
تذهبون ؟ ومن يرسل الرياح مبشرات بالمطر المحي لكم
والأرض ... ؟ أإله مع الله ؟ تعالى الله وتنزه عما يشركون معه
من الأصنام .

أم من يبدأ خلق الكائنات ، ثم يعيده بعد أن تتلاشى ،
ومن يرزقكم من السماء والأرض أي بأسباب سماوية وأرضية .. ؟
أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . قل لا يعلم
جميع من في السموات والأرض الغيب غير الله وحده ، ولا
يعرفون متى يبعثون بعد الموت .

ب - الحق والباطل

من سورة الكهف (من آية ٣٢ - ٤٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ
وَحَفَفْنَا لَهُمَا بِالنَّخْلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا
وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۝٣٣ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤ وَدَخَلَ
جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ يُبَيِّدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَا

(١) واضرب لهم مثلاً رجلين : قصص عليهم يا محمد قصة رجلين : أحدهما غنى كافر ، والثاني فقير مؤمن ليكونا مثلاً يعْتَبِرُ به قومك .

(٢) جعلنا لأحدهما جنتين : أى جعلنا للغنى منهما بستانين ليمَّ تَنَعَّمَهُ بالتنقل بينهما .

(٣) من أعناب : من عنب .

(٤) وحففناهما بنخل : جعلنا النخل محيطاً بكرومهما للحفظ والثمر والزينه .

(٥) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا : كل جنة منهما أعطت خير ما يؤكل منها ولم تنقص منه شيئاً .

(٦) وكان له ثمر : أى كان لصاحب البستانين مال (غير ما فيهما) من ذهب وفضة وأولاد .

(٧) أعز نفراً : أقوى أنصاراً وأكثر أولاداً .

(٨) ظالم لنفسه : أضر نفسه بكفره بربه .

(٩) أن تبيد : أن تفتي .

أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدُّنَا إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا
 مُنْقَلَبًا ۝ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي
 خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا ۝ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ
 رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتُ مَا شَاءَ
 اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا قُلَّ مِنْكَ مَا لِيَ وَلَا لَكَ ۝ فَعَسَىٰ رَبِّي
 أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ
 فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ
 طَلَبًا ۝ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ
 خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ
 فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ۝ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ
 لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝

- (١) الساعة قائمة : القيامة حاصلة وواقعة .
- (٢) ولئن رددت إلى ربي : لو فرض ورجعت إلى ربي .
- (٣) منقلباً : مرجعاً وعاقبة .
- (٤) حسباناً : الحسبان هي الصاعقة ، وحسباناً : صواعق مهلكة .
- (٥) صعيداً زلقاً : أرض ملساء لا تثبت عليها قدم .
- (٦) أحيط بثمره : أهلكته الصواعق والآفات .
- (٧) خاوية على عروشها : مستخرّبة سقطت عروشها على الكرم .
- (٨) فئة : جماعة .
- (٩) الولاية : السلطان .
- (١٠) عقباً : عاقبة .

واضرب لهم يا محمد مثلاً : رجلين آتينا أحدهما بستانين من أعناب وأحطناهما بنخل ، وجعلنا وسطهما زرعاً ، كلا البستانين أعطى ثمره ولم ينقص منه شيئاً ، وأنبعنا له فيهما نهراً ، وكان للرجل أموال أخرى غير البستانين . فقال يوماً لصاحبه مفتخراً عليه : أنا أكثر منك مالا وأولاداً وأنصاراً ، ودخل بستانه - وهو ظالم لنفسه بعجبه وكفره - قائلاً : ما أظن أن تفنى هذه الجنة أبداً ، وما أظن أن القيامة كائنة ، ولئن رجعت إلى ربي - كما يزعمون - لأجدن خيراً منها عنده .

فقال له صاحبه : أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ؟. لكن أنا أقول : هو الله ربي ولا أشرك به أحداً ، فهلاً قلت حين دخلت جنتك هذه « ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله » معترفاً بعجزك ، شاكراً لأنعم ربي ؟ لأن « هذا القول هو علامة الإيمان ، واعتراف بفضل الله » إن ترنى أنا أقل منك مالا وولداً ، فإنى أرجو الله أن يمنحنى خيراً من جنتيك ويرسل عليهما صواعق من السماء فتصبح أرضا ملساء ، أو يغور ماؤها ويذهب فلا تستطيع أن تطلبه .

وقد تحقق ما قاله المؤمن ، فهلك مال الكافر ، وأصبح يُقَلَّبُ كَفَّيْهِ تَحَسُّراً على ما بذل فى عمارتها ، وندم على شريكه بالله ، ولم يستطع أحد من أعوانه وأنصاره أن ينصره ويحتفظ

له بجنته . عندئذٍ ثاب إلى رشده ، وعرف أن القوة كلها بيد الله ، وأن النصر له سبحانه وتعالى ، وأن العاقبة للمؤمنين .

ونحن إذا تدبرنا الآيات السابقة ، فإننا نراها توضح طريق الخير ونهايته الحميدة ، وطريق الشر وعاقبته الوخيمة ، فقد سلك المؤمن طريق الخير فاعتمد على ربه ووثق في نعمته وقدرته ففاز .

وسلك الكافر طريق الغرور وجحد فضل ربه ظاناً أن جنته لن تفتنى أبداً ، وكانت نهايته عبرة بانهزام باطله وذهاب جنته فعرف مقدار قدرة الله ، وعرف أن الغنى قد يؤدي بمرضى القلوب ، وضعاف الإيمان ، إلى البطر والجحود بنعمة الله .

لذا يجب على المؤمن أن يكون إيمانه قوياً لا يضععه الفقر أهلاً في راحة الضمير وحسن الجزاء .

الناقشة :

- ١ - ما المثل الذي ضرب به الله سبحانه وتعالى لعباده ؟ وما الغاية منه ؟ .
- ٢ - بم افتخر الغنى على الفقير ؟ وما سبب هذا الافتخار ؟
- ٣ - ما المراد بقوله تعالى : (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) ؟ .
- ٤ - في الآيات دليل على غرور الغنى الكافر ، ودليل على عمق إيمان الفقير وقناعته : وضح ذلك .

ج - عباد الرحمن

من سورة الفرقان (من آية ٦٣ : ٧٧)

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ

يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ
عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝
وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
ذَلِكَ قَوَامًا ۝
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝

(١) هوناً : بسكينة وتواضع .

(٢) قالوا سلاماً : قالوا قولاً يسلمون فيه من الإثم .

(٣) اصْرِفْ : أبعده .

(٤) غراماً : لازماً .

(٥) مقاماً : محل الإقامة .

(٦) لم يسرفوا : لم يجاوزوا حد الكرم .

(٧) ولم يقتروا : لم يضيقوا تضيق الشحيح .

(٨) قواماً : وسطاً .

(٩) أثاماً : عقاباً .

يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ
وَأَمَّنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ
إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَسَّوْا بِاللُّغُوبِ
مَسُّوا كِرَامًا ۖ (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا
صُمًّا وَعُمْيَانًا ۖ (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا
قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلتَّقِيِّينَ إِمَامًا ۖ (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا
وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۖ (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقْرَأُكُمْ مَقَامًا ۖ (٧٦)
قُلْ مَا يَعْبُؤُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ (٧٧)

- (١) مهاناً : ذليلاً .
- (٢) متاباً : حق التوبة .
- (٣) لا يشهدون الزور : لا يقيمون شهادة الزور .
- (٤) باللغو : بقبيح الكلام .
- (٥) كراماً : معرضين عنه .
- (٦) ذكروا : وعظوا .
- (٧) آيات ربهم : بالقرآن الكريم .
- (٨) لم يخروا عليها صمماً وعمياناً : لم يقيموا عليها غير واعين لها .
- (٩) قررة أعين : أولاد تقرُّ بهم أعيننا سروراً .
- (١٠) إماماً : قدوة .
- (١١) الغرفة : الدرجة العالية في الجنة .

المعنى الاجمالي

إن عباد الرحمن المنتسبين إليه يمشون على الأرض متواضعين بسكينة ووقار ، وإذا كلمهم الجاهلون قالوا لهم قولاً فيه سلام ورحمة ، الذين يبیتون ساجدين لعظمة ربهم قائمين في عبادته ، والذين يدعونه قائلين : ربنا ادفع عنا عذاب جهنم ، إن عذابها يلازم أعداءك ولا يفلتهم إنها ببئس المكان يُمكثُ فيه وبئس المحل يُقامُ به .

والذين إذا أنفقوا اعتدوا في الإنفاق وكانوا وسطاً بين الإسراف والتضييق ، لا يعبدون غير الله ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق . لا يرتكبون الزنا لأن من يفعل ذلك يُضَاعَفُ له العذاب يوم القيامة ويبقى فيه دائماً ذليلاً محتقراً ، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَأَصْلَحَ ، فَأُولَئِكَ يَقْلِبُ اللهُ سيئاتهم إلى حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً . والمؤمنون لا يشهدون زوراً وإذا مروا بقوم يخوضون فيما لا يعنيههم أكرموا أنفسهم بتجنب مشاركتهم فيه ، وإذا ذكروا بآيات ربهم لم يَجْمُدُوا حياها طرشاً وعمياناً ، والذين يقولون ربنا

(١٢) تحية وسلاماً : تحية من الله وسلاماً من الملائكة .

(١٣) يعبأ : يكثرث .

(١٤) لولا دعاؤكم : لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه .

(١٥) لزماً : عذاباً لازماً دائماً .

اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تسر به نفوسنا وترتاح إليه
 قلوبنا ، وأفض علينا العلم حتى يقتدى بنا الناس في أمر الدين .
 أولئك يشي بهم الله بالجنة جزاءً صبرهم خالدين فيها .
 فقل يا محمد ما يبالي الله بكم أيها الكافرون لولا عبادتكم فإنها
 صلة بينكم وبينه ، فقد كذبت بدينه ، فسوف يكون العذاب
 ملازماً لكم .

الناقشة :

١ - دعا الإسلام إلى التحلى بمكارم الأخلاق فكيف يتصرف
 المؤمن إذا :

(أ) أساء إليه أحد ؟

(ب) طُلب منه أن يشهد في قضية ما ؟

(ج) حضر مجلساً يتناول فيه أحد الحاضرين زميلاً
 غائباً بالسوء ؟

٢ - لِمَ تَوَعَّدَ اللهُ القاتل بالعذاب الأليم ؟ وما أثر هذه الجريمة
 على المجتمع ؟ .

٣ - ما أهم الصفات التي وُصِفَ بها عباد الرحمن ؟ .

٢ - الثلاثة الذين خلفوا

عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائداً كعب رضى الله عنه من بنيه حين عمى قال : سمعت كعب بن مالك رضى الله عنه يحدث بحديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك . قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك ، غير أنى قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنه ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير^(١) قريش حتى جمع الله تعالى بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها . وكان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى غيرها^(٢) حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً

(١) العير : القافلة التي تحمل البضائع .

(٢) ورى غيرها : يعنى أوهم الناس أنه خارج إلى جهة أخرى .

وَمَفَازًا^(١) وَاسْتَقْبَلَ عَدَدًا كَثِيرًا ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ
لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً^(٢) غَزَوْهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمْ الَّذِي يُرِيدُ ،
وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ يُرِيدُ
بِذَلِكَ الدِّيُونَ^(٣) قَالَ كَعْبٌ : فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ
ذَلِكَ سِيخْفَى بِهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ فَأَنَا
إِلَيْهَا أَصْعَرٌ^(٤) .

فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَطَفِقتُ
أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا وَأَقُولُ - فِي نَفْسِي -
أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى
اسْتَمَرَ بِالنَّاسِ الْجِدَّ^(٥) ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَادِيًا
وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا ، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ
وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَنَمَارَطَ^(٦)
الْغَزْوُ فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَجِلَ فَأَدْرِكَهُمْ فَيَالَيْتَنِي فَعَلْتُ ، ثُمَّ لَمْ
يُقَدِّرْ ذَلِكَ لِي فَطَفِقتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً^(٧) ، إِلَّا

(١) مَفَازًا - بفتح الميم - : الأرض الواسعة الحالية التي لا ماء فيها ولا عمارة :

(٢) أَهْبَةٌ - بضم الهمزة وسكون الهاء - : أي ليستعدوا بما يحتاجون إليه

في سفرهم .

(٣) أَصْعَرٌ : بالصاد والعين المهملتين يعني يختار الجلوس في الثمار والظلال .

(٤) الجِد : الاجتهاد في إصرار وسرعة فيما هم بشأنه من أمر السفر .

(٥) تَنَمَارَطَ : تقدم جيش الغزو وأسرع .

(٦) أُسْوَةٌ : قدوة والمقصود هنا مثيلاً في التأخر عن الغزو .

رَجُلًا مَغْمُوصًا^(١) عَلَيْهِ فِي النَّفَاقِ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ تَعَالَى
 مِنَ الضُّعْفَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ
 تَبُوكَ فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟
 فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِيمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ^(٢) وَالنَّظْرُ
 فِي عِطْفِيهِ^(٣) . فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بئس
 مَا قَلْتَ ! وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، فَسَكَتَ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا
 مُبْيَضًا^(٤) يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ^(٥) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ فَإِذَا أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي
 تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ^(٦) الْمُنَافِقُونَ . قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا
 بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا^(٧) مِنْ
 تَبُوكَ حَضَرَنِي بَشَى^(٨) فَطَفِيقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ : بِمِ

(١) مغموصاً عليه : مطعوناً في دينه .

(٢) برداه : مثني برد وهو الثوب المخطط .

(٣) النظر في عطفيه : الإعجاز والخيلاء .

(٤) مبيضاً : اسم فاعل : أي في لباس أبيض .

(٥) يزول به السراب : يميل به السراب ، والسراب ما تراه نصف النهار كأنه ماء .

(٦) لمزه : عابه ، ولمزه المنافقون أي قالوا إن الله غني عن صاع هذا .

(٧) قافلاً : راجعاً .

(٨) البث أشد الحزن قال الله تعالى حكاية عن نبيه يعقوب عليه السلام (إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله) ومعنى حضرني بثي (: عاودني الحزن الشديد .

أَخْرَجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي ،
 فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا رَاحَ
 عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَمْ أَنْجُ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا ، فَأَجْمَعْتُ
 صَدَقَةً^(١) وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا ، وَكَانَ إِذَا
 قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ
 لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ^(٢) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ
 وَيُخْلِفُونَ لَهُ . وَكَانُوا بَضْعًا^(٣) وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ
 وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى جِئْتُ .
 فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَى ، فَجِئْتُ
 أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لِي : مَا خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ
 قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ^(٤) ؟ قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّي وَاللَّهِ لَوْ جَدَسْتُ
 عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ :
 لَقَدْ أُعْطِيتُ (٥) جَدَلًا وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ
 الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ يُسَخِطُكَ عَلَيَّ

(١) أجمعت صدقة : عزمت عليه وهيات نفسي له .

(٢) المخلفون : الذين تخلفوا عن الخروج معه إلى تبوك .

(٣) بضعا : البضع ما بين الثلاث إلى التسع أو إلى الخمس من العدد ، أو ما بين الواحد إلى الأربعة ، أو من أربع إلى تسع ، أو هو سبع .

(٤) ابتعت ظهرك : اشتريت راحلتك .

(٥) أعطيت جدلا : أي براءة في الكلام .

وَإِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلِيًّا فِيهِ (١) إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ
عُقْبِي (٢) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاللَّهُ مَا كَانَ لِي مِنْ عُدْرٍ ، وَاللَّهُ مَا كُنْتُ
قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ
اللَّهُ فِيكَ . وَسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي :
وَاللَّهُ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنِبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ
اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ
السُّخْلَفُونَ ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبِكَ اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي (٣) حَتَّى أَرَدْتُ
أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكْذَبَ نَفْسِي .
ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيْتُمْ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ لَقِيْتَهُ
مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلُ مَا قُلْتَ وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ .
قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا : مَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ .
وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِظِيُّ ، قَالَ : فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ
قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ ، قَالَ فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي .
وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ
مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ . قَالَ : فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ - أَوْ قَالَ

(١) تجد عليّ فيه : تغضب علي بسببه

(٢) العقبي : جزاء الأمر ، أي يرجو من الله حسن عاقبة الصدق بأن يتوب
عليه ، وقد حقق الله رجاءه .

(٣) يؤنبونني : يلومونني أو يبيكونني .

تَغَيَّرُوا لَنَا - حَتَّى تَنكَرْتَ (١) لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ
بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً .

فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا (٢) وَقَعَدَا فِي بَيْتَيْهِمَا يَبْكِيَانِ ،
وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ (٣) وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرَجُ فَأَشْهَدُ
الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ
وَآتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَلَّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ
بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ أَمْ
لَا ؟ ثُمَّ أَصَلُّ قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى
صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي ؛ حَتَّى إِذَا
طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ (٤) جِدَارَ
حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ
عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشِدْكَ
بِاللَّهِ هَلْ تَعَلَّمُنِي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَسَكَتَ ،
فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ . فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ . ففَاضَتْ عَيْنَايَ (٥) وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ ،

(١) تنكرت : تغيرت

(٢) استکاناً : خضعاً .

(٣) أشب القوم : أصغرهم سناً أو أكثرهم نشاطاً .

(٤) تسورت جدار الحائط : تسلقته .

(٥) أنشدك بالله : أسألك أو استحلفك .

(٦) فاضت عيناه : امتلأتا بالدموع .

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِي (١) مِنْ نَبَطِ
 أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ
 عَلَيَّ كَعْبَ بْنِ مَالِكٍ ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَىَّ حَتَّى جَاءَنِي
 فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، وَكُنْتُ كَاتِبًا ، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا
 فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَّغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ
 اللَّهُ بِدَارِ هَوَانَ وَلَا مَضِيعَةً ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ فَقُلْتُ حِينَ
 قَرَأْتُهَا : وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُورَ (٢) فَسَجَرْتُهَا (٣)
 حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ (٤) الْوَحْيَ إِذَا
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ ، فَقُلْتُ : أَطَلَّقُهَا أَمْ
 مَاذَا أَفْعَلُ ؟ فَقَالَ : لَا بَلْ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبْنَهَا وَأَرْسَلْ إِلَى
 صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ : فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي : الْحَقِي بِأَهْلِكَ فَكُونِي
 عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ . فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ هِلَالِ
 ابْنِ أُمَيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ لَهُ : يَا رَسُولَ
 اللَّهِ إِنَّ هِلَالَ بَنِ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ

(١) النبطى - بفتح النون وفتح الياء الموحدة وكسر الطاء المهملة وياء النسبة -
 سمي بذلك لأنه يستنبط الماء أى يستخرجه وهو الفلاح أى الزارع .

(٢) التنور : الكانون يخبز فيه .

(٣) فسجرتها : فأوقدتها .

(٤) استلبث : أى أبطأ وتأخر .

أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ . فَقَالَتْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ
 مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى شَيْءٍ وَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ
 مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا ، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوْ اسْتَأْذَنْتَ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ فَقَدْ أَذِنَ لِامْرَأَةٍ
 هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ ؟ فَقُلْتُ : لَا اسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتَهُ فِيهَا ؟ وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌ ،
 فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ فَكَمَلْنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيتُ
 عَنْ كَلَامِنَا ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى
 ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ
 اللَّهُ تَعَالَى مِنَّا ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا
 رَحِبَتْ (١) سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ (٢) أَوْفَى عَلَيَّ سَلْعٍ (٣) يَقُولُ
 بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا
 وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ فَأَذَنَ (٤) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ ، فَذَهَبَ

(١) بما رحبت : على سعتها .

(٢) أى مناد ، قيل أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه والذي فى الصحيح أنه حمزة بن عمر الأسلمى .

(٣) أى طلع على جبل سلع المعروف بالمدينة المنورة ، وأوفى على الشيء : أشرف عليه .

(٤) فأذن : وأعلم .

النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا ، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ إِلَى
 رَجُلٍ فَرَسًا (١) وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي (٢) وَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ ،
 فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ
 صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبُشْرَاهُ ، وَاللَّهُ
 مَا أَمْلَكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، وَاسْتَعْرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبَسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ
 أَتَاءً (٣) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا
 فَوْجًا يُهْنِئُونِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِي : لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ
 حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ
 حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهْرُولُ (٤)
 حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي ، وَاللَّهُ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ
 فَكَانَ كَعَبٌ لَا يَنْسَاهَا لَطْلِحَةَ . قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ :
 أَبَشِّرُ بِخَيْرٍ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ ، فَقُلْتُ : أَمِنْ
 عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ مِنْ عِنْدِ
 اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ

(١) راكب الفرس : الزبير بن العوام ويحتمل أن يكون أبا قتادة الأنصاري
 رضى الله تعالى عنهم ، والركض : استحثاث الفرس للعدو . والمعنى أنه جاء إلى
 وهو راكب فرساً يستحثها للجري بسرعة .

(٢) قبلى : تجاهى وقيل إن الساعى هو حمزة بن عمر الأسلمى .

(٣) أتأمم رسول الله : أقصده

(٤) يهرول : الهرولة بين العدو والمشى ، والمعنى يسرع إلى .

وجهه حتى كأنَّ وجهه قطعةُ قمرٍ وكنَّا نعرفُ ذلك منه ، فلما
 جلستُ بينَ يديه قلتُ : يا رسولَ اللهِ إنَّ من توبتي أن
 أنخلعَ (١) من مالي صدقةً إلى اللهِ وإلى رسوله . فقال رسولُ اللهِ
 صلى اللهُ عليه وسلم : أمسِكْ (٢) عليك بعضَ مالكِ فهو خيرٌ لك
 فقلتُ : إنِّي أمسِكُ سهمي الذي بخيبرَ وقلتُ : يا رسولَ اللهِ
 إنَّ اللهُ تعالى إنما أنجانِي بالصدقِ وإنَّ من توبتي ألاَّ أحدثَ
 إلاَّ صدقًا ما بقيتُ ، فوالله ما علمتُ أحدًا من المسلمين أبلاءَ
 اللهُ تعالى في صدقِ الحديثِ منذُ ذكرتُ ذلك لرسولِ اللهِ صلى اللهُ
 عليه وسلم أحسنَ مما أبلاني (٣) اللهُ تعالى ، والله ما تعمَّدتُ كذبةً
 منذُ قلتُ ذلك لرسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إلى يومِ هذا وإنِّي
 لأرجو أن يحفظني اللهُ تعالى فيما بقي ، قال : فأنزل اللهُ
 تعالى « لقد تاب اللهُ على النبيِّ والمهاجرينَ والأنصارِ الذين اتبعوه
 في ساعةِ العسرةِ » حتى بلغ : إنَّهُ بهم رءوفٌ رحيمٌ . وعلى
 الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقتُ عليهم الأرضُ بما رحبتُ
 حتى بلغ : « اتقوا اللهُ وكونوا مع الصادقين » قال كعب : والله
 ما أنعم اللهُ عليَّ من نعمةٍ قطُّ بعدَ إذ هداني اللهُ للإسلامِ أعظمَ
 في نفسي من صدقي رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ألاَّ أكونَ

(١) أنخلع من مالي : أنزع نفسي منه ، أو أخرج منه ، أو أتركه .

(٢) أمسك عليك : احبس عليك .

(٣) أبلاني : أي أنعم علي وأكرمني ومنه قوله تعالى (وفي ذالكم بلاء من ربكم عظيم) .

كَذَّبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَّبُوا : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ
 كَذَّبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
 عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ (١) وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ،
 يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى
 عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ « قَالَ كَعْب : كُنَّا خَلْفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ
 أَمْرِ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ
 حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِذَلِكَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 « وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا » وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ مِمَّا خَلَفْنَا
 تَخَلَّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ
 حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ « متفق عليه .

(١) رجس : قدر .

٣ - الوحدة الإسلامية العربية (*)

الوَحدةُ الإسلاميَّةُ العربيَّةُ وآمالنا فيها ، وإنها لآمالٌ عظيمةٌ ستُحقَّقُ ما دام في الأمةِ الإسلاميَّةِ العربيَّةِ عِرْقٌ يَنْبِضُ ، وَعُضْوٌ يَتَحَرَّكُ ، وَجَارِحَةٌ تَحْسُ ، لا يُوجدُ اليَوْمَ مُسْلِمٌ عَرَبِيٌّ مُخْلِصٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَأَبْنَاءِ الْعَرَبِ ، إِلَّا وَحْبٌ هَذِهِ الْوَحدةِ قَدْ تَغْلَغَلَ فِي فُؤَادِهِ ، وَأَمْتَزَجَ بِرُوحِهِ وَاخْتَلَطَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، وما هذا الْمَوْقِفُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ الْآنَ إِلَّا أُسٌّ مِنْ أُسُسِ هَذِهِ الْوَحدةِ ، وَدِعَامَةٌ مِنْ دِعَائِمِهَا ، وَإِنَّا لا نَرْضَى بِتَاجٍ لِلْعَرَبِ غَيْرِ تَاجِ هَذِهِ الْوَحدةِ ، وَلا نَقْبَلُ حَيَاةً لِلْعَرَبِ غَيْرَ حَيَاةِ هَذِهِ الْوَحدةِ ، لَهَا نَعِيشُ ، وَفِي سَبِيلِهَا نَمُوتُ .

لَقَدْ عَرَفَ أَعْدَاءُ الْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ خَطَرَ هَذِهِ الْوَحدةِ عَلَيْهِمْ ، فَحَاكُوا خُيُوطَ الدَّسَائِسِ ، وَنَصَبُوا أَشْرَاكَ الْحِيَلِ ، وَاتَّخَذُوا مِنْ سِيَّاسَةٍ (فَرَّقْ تَسُدْ) أَصُوبَ سَهْمٍ سَدَّدُوهُ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ ، « فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ » .

يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ الْعَرَبُ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ لا حَقَّ إِلَّا لِلقُوَّةِ ، وَأَنَّ لا حُكْمَ إِلَّا لِلسَّيْفِ ، وَمَا الْاِحْتِجَاجَاتُ إِلَّا سَرَابٌ يَحْسِبُهُ الظَّمَّانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً .

• من كلمة للمرحوم محمد سعيد عبد المقصود .

لُغَةُ الْمَدَافِعِ وَالْقُنَابِلِ وَالْقَنَا
يُسْفَى الْخِطَابُ بِهَا وَالْاِسْتِفْهَامُ
لَا الْاِحْتِجَاجُ وَلَا التَّظَلُّمُ نَافِعٌ
كَذَبَ الْيَرَاعُ وَصَدَّقَ الصَّنْصَامُ

لَا قُدْرَةَ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِالتَّضَامُنِ ، وَلَا عِزَّةَ لَهُمْ
إِلَّا بِالتَّأَلُّفِ ، وَلَا رُقَىَّ لَهُمْ إِلَّا بِالتَّكَاتُفِ ، لَا مَجْدَ إِلَّا بِالتَّأَزُّرِ ،
لَا سَعَادَةَ إِلَّا بِالتَّعَاوُنِ ، وَمَا التَّضَامُنُ ، وَالتَّأَلُّفُ وَالتَّكَاتُفُ ،
وَالتَّأَزُّرُ وَالتَّعَاوُنُ إِلَّا الْوَحْدَةُ ، الْوَحْدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ هِيَ
كُلُّ شَيْءٍ وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ . إِنَّ الْمُسْلِمَ الْعَرَبِيَّ عَرَبِيٌّ أَيْنَمَا حَلَّ
وَحَيْثُمَا اسْتَقَرَّ ، الْعَرَبِيُّ الْمُسْلِمَ عَرَبِيٌّ مُسْلِمٌ إِنْ أَنْجَدَ أَوْ أَتَّهَمَ ،
وَإِنْ أَمَّصَرَ أَوْ أَعْرَقَ ، إِنَّ الْعَرَبِيَّ الْمُسْلِمَ وَطَنُهُ بِلَادُ الْعَرَبِ
وَإِلْسَامِ ، وَقَوْمُهُ الْعَرَبُ ، وَبِلَادُ الْإِسْلَامِ وَطَنٌ لِكُلِّ عَرَبِيٍّ
يَجْرِي فِي شَرَايِينِهِ دَمُ الْعُرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ .

إِنَّ بِلَادَ الْعَرَبِ . . . كَلَّ لَا يَتَجَزَأُ . إِنْ بِلَادَ الْعَرَبِ . . . قِطْعَةٌ
وَاحِدَةٌ لَا تُفْصَلُ وَلَا تُقَطَّعُ وَإِنَّ الْأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَقْبَلُ
التَّفْرِقَةَ وَلَا الْاِنْفِصَامَ ، إِنْ الْجَزِيرَةَ الْعَرَبِيَّةَ خَالِيَةً مِنْ أَيِّ حَاجِزٍ
طَبِيعِيٍّ يَقْطَعُهَا ، أَوْ يَقْسِمُهَا ، أَوْ يَفْصِلُهَا ، فَمَا بَالُنَا نَخْضَعُ
لِتَقْسِيمِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَرَى أَنَّ تَمْزِيْقَنَا ضَرُورِيٌّ لِحَيَاتِهِ ،
وَلَا نَرَى أَنَّ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ وَاجِبٌ لِبَقَائِنَا وَحَيَاتِنَا .

إن بلاد العرب والمسلمين خلقت للوحدة ، فيجب أن تكون لما خلقت له اليوم ، وغداً وبعد غدٍ ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

إن العرب من أصل واحد ، ومن سلالة واحدة ، ومن دم واحد ، وإن من العار المشين أن يتفرق العرب أو تتجزأ بلاد العرب . إن تفرق العرب قضاءً على العرب ، وإن تجزئة بلاد العرب ضياع لبلاد العرب والإسلام ، وإن تقسيم البلاد العربية داء فتاك ، سيذهب ببلاد العرب من أيدي العرب ، وعند ذلك : ويل للعرب من أعداء العرب .

وأيُّم الحق لو اقتدر أعداء العرب على العرب لقطعوا منهم الأعناق ، ولبتروا منهم الأوداج (١) ، ولقطعوا منهم الأوصال؛ ليكتسحوا بلاد العرب ، وليقضوا بها على البقية الباقية من العرب وأبناء العرب والمسلمين ، يجب أن نعرف هذا جيداً ، ويجب أن نلقنه لأطفالنا في حُجور أمهاتهم ، ولِمُراهقيننا في مدارسهم ، ولشبابنا في حياة جهادهم الإسلامي العربي .

إن الخطر مُداهم لنا ، وشره مُحيط بنا ، وسهده مُسدد إلينا ، ولا خلاص لنا إلا بتشديد صرح الوحدة العربية الإسلامية ، إن الوحدة العربية الإسلامية هي الدواء الناجع ،

(١) الأوداج : جمع ودج ، وهو عرق في العنق

وَالْبَلْسَمُ (١) الشَّافِي ، مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ .

الناقشة :

١ - اشرح معنى العبارة الآتية ، واذكر مرادفاً لمعنى كل كلمة تحتها خط .

لا قدرة للعرب والمسلمين إلا بالتضامن ، ولا عزة لهم إلا بالتآلف ، ولا رقي لهم إلا بالتكاتف ولا مجد إلا بالتآزر .

٢ - هات مرادفاً لكل كلمة من الكلمات الآتية يوضح معناها « الأوداج - يسفى - البلسم » .

(١) البلسم : الدواء .

(٢) العضال : الذي يعسر الشفاء منه .

٤ - وثبة وفجر جديد

في المملكة العربية السعودية

قبل مولد المملكة العربية السعودية ، كان يدور بين الناس في المجالس أحاديثٌ مُتشابهة ، كان أحدهم مثلاً يبدأ الحديث قائلاً :

أرأيتم كيف يُحاربُ الجهلاء الشيخ الإمام ، ويسخرون من دعوته ؟

فيجيبه آخر :

إي والله رأيت ... لقد جنوا على الحقِّ كلَّ جناية ، فدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب لم تأتِ إلا لتخلص من الجاهلية والوثنية .

فيقول ثالث :

لقد كان كبار آل سعود أنصاراً لهذه الدعوة .

فيجيب رابع :

لقد علمتُ أن الفتى عبد العزيز جاد في استرجاع مجد آبائه ، وأن المُخلصين من أبناء الجزيرة يعقدون عليه كبير الأمل في رفع راية الحقِّ وتخليص الناس مما يرزحون تحته من بدعٍ وضلالات .

المراجع : مقال للأستاذ منصور مدني في مجلة الزيت ١٩٤٩ « بتصرف » .

التفت عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود
إلى الخاصة من أتباعه قائلاً :

لقد حانت ساعة العمل ، سنستعيد الرياض ، ونستخلصها
من حكم ابن رشيد ، ولكننا أفراد معدودون ، ولا حول لنا
من عتاد ومثونة غير أنى أذكركم بقول الله تعالى « كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ... وسيحقق الله الحق بحوله .

وتم لعبد العزيز ما أراد ، فقد دانت له معظم مدن نجد ،
وانبثق نور الهداية يعم قلب الجزيرة ، وما أن استتب له
الأمر حتى توجه إلى الإصلاح الداخلي للدولة وبنائها البناء
الصحيح ، بيد أنه لم يلبث أن لمس المعارضة من الدولة
العثمانية جارته ، في الشرق ، والأشراف ، جيرانه في الغرب ،
وحاول المسالمة فلم يسلم ، فعقد العزم على توحيد أقطار
الجزيرة تحت راية واحدة .

امتدت رقعة المملكة العربية السعودية حتى شملت جل
أرض الجزيرة العربية ، ولم يكن لها آنذاك دخل تعتمد عليه
سوى ما يرد لها من عطاءات الحجيج وموارد أخرى ضئيلة ،
فاتجهت أنظار الملك عبد العزيز إلى استثمار الثروات الطبيعية ،
وما أغنى أرض الجزيرة بها ، فانفجر الذهب الأسود يتدفق
غزيراً من مكامنه في باطن الأرض ، واكتشفت ثروات معدنية

بِكَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةٍ ، وَاتَّجَهَتْ النِّيَّةُ إِلَى الْبِنَاءِ وَالْإِصْلَاحِ ،
وَاسْتِغْلَالِ هَذِهِ الثَّرَوَاتِ الْهَائِلَةِ فِيمَا يَعُودُ عَلَى الْبِلَادِ بِالنَّفْعِ
وَالْخَيْرِ .

وَالآنَ ، وَقَدْ مَضَى عَلَى تَوْحِيدِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَكْثَرُ مِنْ
نِصْفِ قَرْنٍ ، قَيَّضَ اللَّهُ لَهَا مِنْ آلِ سُعُودٍ مَنْ يُكْمِلُ الرِّسَالَةَ ،
وَيَمْضِي بِهَا قُدَمَاءً فِي مَدَارِجِ التَّقَدُّمِ وَالْأَزْدِ هَارٍ ، فَتَغَيَّرَتْ
مَعَالِمُ كَثِيرَةٌ مِنْ مُدُنِ الْمَمْلَكَةِ نَتِيجَةً تَطَوَّرَ الْعُمَرَانُ ، وَحُلُولِ
الْحَدِيثِ مَحَلِّ الْقَدِيمِ ، وَأُنشِئَتْ الْمَعَامِلُ وَالْمَصَانِعُ ، وَشُقَّتْ
الطَّرِيقُ ، وَحُفِرَتْ الْقَنَوَاتُ ، وَأُسِّسَتْ الْمَدَارِسُ وَالْجَامِعَاتُ ،
وَأُقِيمَتِ الْمُسْتَشْفَيَاتُ ، وَنُفِّذَتْ أَكْبَرُ تَوْسِيعَةٍ لِلْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ
فِي تَارِيخِهِمَا ، وَازْدَهَرَتِ التِّجَارَةُ ، فَدَبَّتْ الْحَرَكَةُ فِي أَرْجَاءِ
الْجَزِيرَةِ ، وَعَمَّتْ مُدْنَهَا انْتِفَاضَةً أَزْهَرَتْ ، وَتَوَلَّدَتْ عَنْ
حَضَارَةِ إِسْلَامِيَّةٍ مُوَاجِبَةٍ لِتَطَوُّرَاتِ الْعِلْمِ وَمُنْجَزَاتِ الْعَصْرِ
وَمُتَطَلِّبَاتِهِ .

الناقشة :

١ - مادور العاهل الكبير عبد العزيز آل سعود في قيام
المملكة العربية السعودية ؟

٢ - ظهرت في المملكة العربية السعودية مظاهر حضارية كثيرة
في عهد آل سعود ... اذكر بعض هذه المظاهر .

۳ - عبر بأُسلوبك عن معنى كل مما يأتى :

(ا) انبثق نور الهداية .

(ب) تخليص الناس مما يرزحون تحته من بدع .

(ج) مدارج التقدم والرقى .

٥ - (دعوة الإصلاح)

وإمامها محمد بن عبد الوهاب

إمام الدعوة : هو الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان ابن علي بن محمد ، وينتهي نسبه إلى نزار بن معد بن عدنان .
وُلِدَ فِي بَلَدَةِ الْعَيْنَةِ مِنْ بُلْدَانِ الْعَارِضِ بِنَجْدِ سَنَةِ ١١١٥ هِجْرِيَّةً ، (١٧٠٢ م) وَنَشَأَ بِهَا ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، وَحَفِظَهُ ، وَأَتَقَنَهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ الْعَاشِرَةَ مِنْ عُمُرِهِ . ثُمَّ اشْتَغَلَ بِطَلْبِ الْعِلْمِ ، فَقَرَأَ مَبَادِيَّ الْعُلُومِ وَالْفِقْهِ الْحَنْبَلِيَّ عَلَى وَالِدِهِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَكَانَ حَادِّ الذِّكَاةِ ، سَرِيعَ الْحِفْظِ وَالْفَهْمِ ، قَالَ عَنْهُ أَخُوهُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ (كَانَ أَبُوهُ يَعْجَبُ مِنْ فَهْمِهِ ، وَيَعْتَرِفُ بِالِاسْتِفَادَةِ مِنْهُ رَغْمَ صِغَرِ سِنِّهِ) ، وَوَالِدُهُ هُوَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْوَهَّابِ مُفْتَى الْعَيْنَةِ وَقَاضِيهَا ، وَجَدُّهُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ ، هُوَ مُفْتَى جَمِيعِ الدِّيَارِ النَّجْدِيَّةِ .

وَمَا بَلَغَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ سِنَّ الرُّشْدِ قَدَّمَهُ وَالِدُهُ فِي إِمَامَةِ الصَّلَاةِ ، فَأَخَذَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ إِمَامًا . ثُمَّ طَلَّبَ مِنْ وَالِدِهِ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِإِدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ ، فَوَافَقَهُ ، وَأَدَّى الْفَرِيضَةَ ،

• للأستاذ الكبير حسن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي . من مقالة نشرت في مجلة العربي .

وَأَعْتَمَرَ عُمْرَةَ الْإِسْلَامِ ، وَبَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ ذَلِكَ سَافَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ
الْمُنَوَّرَةِ ، عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَأَقَامَ بِهَا قَرِيباً
مِنْ شَهْرٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْعُيَيْنَةِ ، وَتَزَوَّجَ بِهَا ، وَشَرَعَ يَقْرَأُ عَلَى
وَالِدِهِ الْفَيْقَهَ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .

ثُمَّ سَافَرَ إِلَى الْحِجَازِ لِيَزِدَادَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَبَدَأَ يَتَرَدَّدُ ،
وَيَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ وَالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ .

ثُمَّ رَجَعَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى وَطَنِهِ ، وَمَكَثَ بِهِ سَنَةً ثُمَّ سَافَرَ
إِلَى الْبَصْرَةِ ، بِالْعِرَاقِ ، وَقَرَأَ بِهَا كَثِيراً مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ
وَالْفِقْهِ وَالنَّحْوِ ، وَكَانَ يُلَازِمُ هُنَاكَ أَحَدَ عُلَمَاءِ الْبَصْرَةِ الْكِبَارِ ،
وَهُوَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْمَجْمُوعِيُّ الْبَصْرِيُّ ، وَكَانَ خِلَالَ إِقَامَتِهِ
بِالْبَصْرَةِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، وَنَبْدِ الْإِشْرَاقِ
بِهِ ، وَهَجْرِ الْبِدْعِ ، وَأَخَذَ يُصْرِحُ بِذَلِكَ لِكَثِيرٍ مِنْ جُلَسَائِهِ
بِالْبَصْرَةِ قَائِلاً لَهُمْ :

(إِنْ الْعِبَادَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ ، وَلَا يَجُوزُ صَرْفُ شَيْءٍ مِنْهَا لِسِوَاهِ) .

وَقَدْ اسْتَحْسَنَ شَيْخُهُ الْمَجْمُوعِيُّ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَأَخَذَ الشَّيْخُ
مُحَمَّدٌ يَقْرُرُ لِأُسْتَاذِهِ تَوْحِيدَ الْعِبَادَةِ ، وَيُوضِّحُ لَهُ مَعْنَى
(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) .

ثُمَّ - كَمَا يَحْدُثُ دَائِماً لِلدُّعَاةِ الصَّادِقِينَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ
الَّذِينَ يُخَالِفُونَهُمْ وَيَعْمَلُونَ مَا يُنْهَوْنَ عَنْهُ - عَمِلَ أَعْدَاؤُهُ مِنْ

مُخَالَفِيهِ عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَخَرَجَ مِنْهَا فِي يَوْمٍ شَدِيدِ
الْحَرِّ ، مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ مُنْتَصَفَ الطَّرِيقِ بَيْنَ
الْبَصْرَةِ وَالزَّبِيرِ اشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ حَتَّى كَادَ يَمُوتُ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ
يُدْعَى (أَبَا حَمِيدَانَ) مِنْ أَهْلِ الزَّبِيرِ ، وَكَانَ يَرَكِبُ حِمَارَهُ ،
فَوَجَدَ عَلَى الشَّيْخِ أَمَارَاتِ الْهَيْبَةِ وَالْوَقَارِ ، فَسَقَاهُ مَاءً ، وَحَمَلَهُ
مَعَهُ عَلَى حِمَارِهِ حَتَّى وَصَلَ بَلَدَةَ « الزَّبِيرِ » مِنْ أَعْمَالِ الْعِرَاقِ ،
فَمَكَثَ الشَّيْخُ بِهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ رَغِبَ فِي السَّفَرِ إِلَى الشَّامِ ، لَكِنَّهُ
لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ النَّفْقَةَ الَّتِي تَكْفِيهِ لِتِلْكَ الرَّحْلَةِ .

فَرَجَعَ إِلَى وَطَنِهِ (نَجْدٌ) ، مَرًّا فِي طَرِيقِهِ بِبَلَدَةِ الْأَحْسَاءِ ،
وَحَلَّ بِهَا ضَيْفًا عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيِّ الْأَحْسَائِيِّ ،
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى وَطَنِهِ ، حَامِلًا زَادًا كَثِيرًا مِنَ الْعِلْمِ وَسِلَاحًا قَوِيًّا
مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، وَقَصَدَ (حَرِيمَلَاءَ) مِنْ قُرَى نَجْدِ ، حَيْثُ قَدْ
انْتَقَلَ وَالِدُهُ إِلَيْهَا ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ يَقْرَأُ وَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، ثُمَّ بَدَأَ
يَخْلُو بِنَفْسِهِ ، وَعَكَّفَ عَلَى دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَكُتِبَ
السُّنَّةُ ، وَتَفْسِيرُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَشُرُوحِهِمْ ، بِإِمْعَانٍ وَتَدْبِيرٍ .
فَأَفَادَ مِنْ ذَلِكَ فَائِدَةً كَبِيرَةً ، ثُمَّ عَكَّفَ عَلَى مُطَالَعَةِ كُتُبِ
شَيْخِ الْإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ ، وَكُتِبَ تَلْمِيذُهُ الشَّيْخُ
مُحَمَّدُ بْنُ قَيْمِ الْجَوْزِيَّةِ ، فَازْدَادَ بِهَا عِلْمًا وَتَحْقِيقًا وَفَهْمًا ،
وَقَدْ كَتَبَ الشَّيْخُ بِخَطِّ يَدِهِ كَثِيرًا مِنْ مُؤَلَّفَاتِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ
ابْنِ تَيْمِيَّةَ ، لَا يَزَالُ بَعْضُهَا حَتَّى الْآنَ مَوْجُودًا بِالْمُتَحَفِ

البريطاني بلندن وغيره ، وكان خلال إقامته بحرملاء ينهى
الناس عن الإشراف بالله ، وينكر البدع التي كانت منتشرة في
ذلك العهد ، وكان قويا في إنكاره ، فطلب إليه أبوه أن يتمهل
في الدعوة ، خوفاً عليه .

وبعد وفاة والده عام ١١٥٢ هـ الموافق ١٧٤٠ م بدأ يعلن
دعوته ، وأخذ يبعث برسائله إلى بلدان نجد ، يدعو الناس من
خلالها إلى عبادة الله وحده ، وينهاهم عن التعلق بغيره من
الأنبياء والصالحين والأشجار والأصنام ، واجتهد في الأمر .
وانضم إليه أناس من أهل حرملاء ، استجابوا لدعوته .
وانطلقوا يدعوون الناس معه ، فاشتهر أمره في قرى نجد . ووفد
إليه أناس من تلك القرى ، لتلمذة على يديه ، وطلب العلم
عن طريقه ، وألف كتابه (التوحيد) الذي هو حق الله على
العبيد . وانتشر هذا الكتاب في نجد كلها .

ثم اضطر الشيخ إلى الرحيل من (حرملاء) ، بعدما حاول
بعض الجهلة والموالي أن يتسلقوا داره ليقتلوه ، لما هو عليه
من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانتقل إلى (العيينة)
واستقبله أميرها بالترحيب ، وأمر الناس أن يمثلوا أمره ،
ويقبلوا قوله ، وكان بالعيينة « كغيرها من قرى نجد » الكثير
من القباب والأوثان التي يعظمها الجهال ، وينسبون إليها الكثير

من الأكاذيب ، فقام الشيخ ببيان حقيقة التوحيد لأمر
العيينة ، وطلب منه أن يزيل تلك الأوثان والقباب ، لمخالفتها
عقيدة التوحيد الصافية ، فاستجاب الأمير لذلك ، وخرج
الشيخ ومعه الأمير ورجال كثيرون ، وهدموا ما هنالك من
القباب والأوثان ، وتولى الشيخ بنفسه هدم قبة زيد بن الخطاب
بيده ، ثم جاءت امرأة إلى الشيخ واعترفت لديه بالزنا ،
وتكرّر اعترافها وإقرارها ، وسأل عنها ، فوجدتها سليمة العقل
جائزة التصرف ، فأقام عليها حدّ الزنا وهو الرجم ، فانتشر
بذلك خبره ، وخشى أهل الضلال على واقعهم من هذه الدعوة
الجديدة التي بدأت تنطلق وتجمع الأنصار حولها ، فشكوا
الشيخ إلى حاكم الأحساء والقطيف آنذاك ، فاستجاب لهم ،
وكتب إلى أمير العيينة كتاباً يطلب فيه إخراج الشيخ من
بلدته وقطع مرتبته فأطاع أمره ، وطلب من الشيخ مغادرة
العيينة . فغادرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب متوجّهاً إلى
أمر الدرعية قرب الرياض ، وحل بها ضيفاً على أحد تلاميذته ،
وهو الشيخ (أحمد بن سويلم العريني) وذلك في عام ١١٥٨ هـ
١٧٤٥ م . فلما علم بمقدمه أمير الدرعية محمد بن سعود أسرع
بالمسير إليه ، وقابله بالحفاوة والبشر ، وقال للشيخ : أبشر
أيها الشيخ بالنصر والمنعة .

فقال الشيخ : وأنا أبشرك إن شاء الله بالأجر والعز والتمكن والغلبة ، وهذه كلمة لا إله إلا الله ، من تمسك بها ونصرها غنم في الدنيا وربح في الآخرة ، وهي كلمة التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأقام الشيخ يدعو إلى دين الله ، ويعلن بطلان ما فيه أكثر أهل زمانه من إشراك بالله ، وتعلق بغيره من الأوثان والأحجار والأولياء والصالحين ، والإمام محمد بن سعود يؤيده وينصره .

وكان (العهد التاريخي) بينهما عندما قال الإمام محمد ابن سعود للشيخ : لا شك عندي أن ما دعوت إليه أنه دين الله الذي أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه ، وأن ما عليه اليوم أهل نجد من هذه العبادات الباطلة ، هو كما ذكرت ، نفس ما كان عليه المشركون الأولون من الكفر بالله ، فأبشر بنصرتك وحمايتك ، والقيام بدعوتك ، ولكن أريد أن أشرط عليك شرطين :

الأول : نحن إذا قمنا بنصرتك ، وجاهدنا معك ، ودان أهل نجد للإسلام ، وقبلوا دعوة التوحيد ، أخاف أن ترحل عنا ، وتستبدل بنا غيرنا .

والثاني : إن لي على أهل الدرعية قانوناً آخذه منهم وقت حصاد الثمار ، وأخاف أن تقول : لا تأخذ منهم شيئاً .

فقال الشيخ : (أَمَّا الشَّرْطُ الْأَوَّلُ فَابْسُطْ يَدَكَ أَعَاهِدُكَ ،

الِدَّمَ بِالِدِّمِّ ، وَالْهَدْمَ بِالْهَدْمِ) .

وَأَمَّا الثَّانِي : فَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْكَ الْفُتُوحَاتِ فَيُعَوِّضَكَ

عَنِ الْغَنَائِمِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا .

وَتَمَّ الْعَهْدُ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، عَلَى إِظْهَارِ دِينِ اللَّهِ ،

وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ ، وَمُحَارَبَةِ الشَّرْكِ فِي كُلِّ صُورِهِ ، وَإِخْلَاصِ
الْعِبَادَةِ لِلَّهِ .

ثم لما تكالب أعداء الدعوة عليها ، وانتقلت الدعوة إلى

مرحلة الدفاع عن النفس ، ودامت الاشتباكات طوال واحد

وعشرين عاماً ، انتشرت بعدها الدعوة إلى الله ، وأطمأن الناس

إلى واقعهم الجديد ، وتوحدت قري نجد جميعها - بعد عهد

طويل من الفرقة والاختلافات - تحت لواء واحد ، هو لواء

العقيدة الصحيحة ، وفي عام ١٢٠٦ هـ الموافق ١٧٩١ م ، انتقل

الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى رحمة الله عن عمر يناهز

التسعين عاماً ، قضاها داعياً إلى الله ومجاهداً في سبيله .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ، طريقتهم هي

طريقة أهل السنة والجماعة ، من إخلاص العبادَةِ لله ونفسيها

عَمَّنْ سِوَاهُ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ .

- ١ - إلام كان يدعو الإمام محمد بن عبد الوهاب ؟ وكيف كان ينشر دعوته ؟ .
- ٢ - اشرح ما لاقاه الإمام محمد بن عبد الوهاب من كد وجهاد في نشر دعوته .
- ٣ - يمكن أن نلخص دعوة هذا الإمام الكبير بأنها دعوة إلى ما كان عليه السلف الصالح . زد هذه العبارة وضوحا وتفسيرا .
- ٤ - عبّر بأسلوبك عن معنى كل مما يأتي : (ا) الدم بالدم .
(ب) تترحل عنا . (ج) السلف الصالح .

٦ - الناسك وابن عرس

قال دبشليم الملك لبيديا الفيلسوف : اضرب لى مثل الرجل العجلان فى أمره من غير روية ولا نظر فى العواقب . قال الفيلسوف : إنه من لم يكن فى أمره متشبثا ، لم يزل نادماً ، ويصير أمره إلى ما صار إليه الناسك من قتل ابن عرس ، وقد كان له ودودا . قال الملك وكيف كان ذلك ؟ .

قال الفيلسوف : زعموا أن ناسكا من النساك كان بأرض جرجان ، وكانت له امرأة جميلة فمكثا زمانا لم يرزقا ولدا ، ثم حملت منه بعد الإياس . فسرت المرأة وسر الناسك بذلك ، فحمد الله تعالى ، وسأله أن يكون الحمل ذكرا . وقال لزوجته : أبشرى ، فإنى أرجو أن يكون غلاماً ، لنا فيه منافع ، وقرّة عين ، أختار له أحسن الأسماء وأحضر له سائر الأدباء . فقالت المرأة : ما يحمك أيها الرجل على أن تتكلم بما لا تدرى أيكون أم لا ؟ ومن فعل ذلك أصابه ما أصاب الناسك الذى أراق على رأسه السمن والعسل . قال لها : وكيف كان ذلك ؟ قالت : زعموا أن ناسكا كان يجرى عليه من بيت رجل تاجر فى كل يوم رزق من السمن والعسل ، وكان يأكل منه قوته وحاجته ، ويرفع الباقي ، ويجعله فى جرة ، فيعلقها فى وتد من

ناحية البيت ، حتى امتلأت . فبينما الناسك ذات يوم مستلق
 على ظهره ، والعكازة في يده ، والجرة معلقة فوق رأسه ، تفكر
 في غلاء السمن والعسل ، فقال : سأبيع ما في هذه الجرة بدينار ،
 واشترى به عشر أعنز فيحبلن ويلدن في كل خمسة أشهر بطنًا ،
 ولا تلبث إلا قليلا حتى تصير غنمًا كثيرة ، إذا ولدت أولادها ،
 ثم حزر على هذا النحو لخمس سنين فوجد ذلك أكثر من أربعمئة
 عنز ، فقال : أنا اشترى بها مائة من البقر ، بكل أربع أعنز
 ثورًا أو بقرة ، واشترى أرضًا وبذرًا ، واستأجر أكرة ، وأزرع
 على الثيران ، وأنتفع بالبان الإناث ونتاجها . فلا تأتي على
 خمس سنين إلا وقد أصبت من الزرع مالا كثيرا ، فأبني
 بيتًا فاخرًا ، واشترى إماء وعبيدًا ، وأتزوج امرأة سالحة
 جميلة ، ثم تأتي بسلام سري نجيب ، فأختار له أحسن الأسماء
 فإذا ترعرع أدبته ، وأحسنت تأديبه ، وأشد عليه في ذلك .
 فإن يقبل مني ، وإلا ضربته بهذه العكازة ، وأشار بيده إلى
 الجرة فكسرها فسال ما كان فيها على وجهه .

وإنما ضربت لك هذا المثل لكي لا تعجل بذكر ما لا ينبغي ذكره ،
 وما لا تدري أيصح أم لا يصح فاتعظ الناسك بما حكى زوجته .

ثم إن المرأة ولدت غلامًا جميلًا ففرح به أبوه ، وبعد أيام
 حان لها أن تتطهر ، فقالت المرأة للناسك : اقعد عند ابنك

حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود . ثم إنها انطلقت إلى
 الحمام ، وخلفت زوجها والگلام . فلم يلبث أن جاءه رسول
 الملك يستدعيه ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس
 داجن عنده ، كان قد رباه صغيراً ، فهو عنده عدیل ولده .
 فتركه الناسك عند الصبي ، وأغلق عليهما البيت ، وذهب مع
 الرسول . فخرج من بعض أحجار البيت حية سوداء ، فدنت
 من الغلام ، فضربها ابن عرس ، ثم وثب عليها فقتلها ، وامتلأ
 فمه من دمها ، ثم جاء الناسك ، وفتح الباب فتلقاها ابن عرس
 كالمبشر له بما صنع من قتل الحية ، فلما رآه ملوثاً بالدم وهو
 مذعور ، طار عقله ، وظن أنه قد خنق ولده ، ولم يتثبت في
 أمره ، ولم يترو فيه ، حتى يعلم حقيقة الحال ، ويعمل بغير
 ما ظن من ذلك ، ولكن عجل على ابن عرس ، وضربه بعكازة
 كانت في يده على أم رأسه ، فمات .

ودخل الناسك فرأى الغلام سليماً حياً ، وعنده أسود مقطوع .
 فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة ، لطم على رأسه .
 وقال : ليتني لم أرزق هذا الولد ، ولم أغدر هذا الغدر . ودخلت
 امرأته ، فوجدته على تلك الحال . فقالت له : ما شأنك ؟
 فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس ، وسوء مكافأته له .
 فقالت : هذه ثمرة العجلة .

فهذا مثل من لا يتثبت في أمره ، بل يفعل أغراضه
بالسرعة والعجلة .

الناقشة :

- ١ - قارن بين تصرف الناسكين وبين رأيك في كل منهما .
- ٢ - ما رأيك في موقف امرأة الناسك ؟ ولم ؟ .
- ٣ - ضرب ابن عرس المثل الأعلى في الوفاء . وضح ذلك .

٧ - أثر الأم في نشأة الطفل .

الأمُّ الفاضلةُ أئمنُ كَنزٍ في هذه الدنيا ؛ لأنها هي القدوةُ التي يُنَسَّجُ الأَطْفَالُ على غِرَارِهَا في العادات والأخلاق ، فالطفلُ صورةٌ من أمِّه قبل كل شيءٍ ، لأنه قَضَى طفولته بين يديها ، فهو من صُنِعَ هَاتينِ اليَدَيْنِ ، عنها أَخَذَ اللغةَ التي يتكلم بها ، والعاداتِ التي يَسْلُكُهَا بِالِاحْتِذَاءِ والتقليدِ .

الأمُّ هي التي تَطْبَعُ الطفلَ على حَمِيدِ السَّجَايَا وَكَرِيمِ الشَّمَائِلِ من رِعَايَةٍ وَحَقُوقٍ ، وَأَمَانَةٍ واحترامٍ لمن هُم أَكْبَرُ منه ، ومن عطفٍ وتآخٍ مع مَنْ هُم دُونَهُ ، فَإِنِ أَتَى عَمَلًا طَيِّبًا « كَأَن يَصْدُقَهَا فِي الْقَوْلِ » حَنَتْ عَلَيْهِ وَغَمَّرَتْهُ بِعَطْفِهَا ، وَشَجَّعَتْهُ عَلَى عَمَلِهِ لِتُرْسُخِ فِي نَفْسِهِ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ - فَضِيلَةَ الصِّدْقِ - حَتَّى إِذَا شَبَّ صَارَتْ لَهُ شَعَارًا لَا يَبْتَغِي بِهِ بَدِيلًا ، فَإِنُ وُجِدَتْ آنِيَةً مَكْسُورَةً ، وَسَأَلَتْ مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ وَأَجَابَهَا بِأَنَّهُ هُوَ ، فَلَا تُعَنِّفْهُ ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَلُوِّمَهُ ، فَتَقْضِي عَلَى الشَّجَاعَةِ الْأَدْبِيَّةِ فِي نَفْسِهِ ، وَتَجْعَلَهُ يَفِرُّ مِنْ احْتِمَالِ الْمَسْئُولِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى ، بَلْ تُكَافِئْهُ عَلَى صِدْقِهِ بِمِطْعَةٍ مِنَ الْحَلْوَى أَوْ شَيْءٍ يُحِبُّهُ ، وَلَا تَنْسِي بَعْدَ هَذَا أَنْ تُرْشِدَهُ « بِرَفْقٍ » إِلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهِ ، وَتَنْصَحَهُ « فِي هَوَادَةٍ

• للدكتورة نعمات أحمد فؤاد « بتصرف » .

وَلِيْنٍ « بِاتِّبَاعِ الْخَطَّةِ الَّتِي تَرَسَّمُهَا لَهُ ، وَهُوَ لَا شَكَّ فَاعِلٌ مَا دَامَتْ تَقْنَعُهُ بِالْحَسَنِ أَنْ هَذَا هُوَ الْخَيْرُ وَذَلِكَ هُوَ الشَّرُّ .

وَالْأُمَّ هِيَ الَّتِي تُعْطِفُ الطِّفْلَ عَلَى إِخْوَتِهِ ، وَتَغْرُسُ فِي نَفْسِهِ مَحَبَّتَهُمْ ، وَهَذَا لَهُ أَثَرُهُ فِي مُسْتَقْبَلِ أَيَامِهِمْ ، إِذْ يَكُونُونَ مُتَحَابِّينَ مُتَضَامِنِينَ ، وَالْأُمَّ اللَّبِيقَةُ لَا تَجْنَحُ إِلَى تَمْيِيزِ أَحَدِ الْأَطْفَالِ عَنِ الْآخَرِينَ فِي مَأْكَلٍ أَوْ مَشْرَبٍ عَلَى مَرَأَى مِنْهُمْ ، فَتُبْغِضُهُ بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ ، بَلْ تُسَوِّي بَيْنَهُمْ فِي الْقِسْمَةِ ، وَالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ .

وَإِنْ لَنَا فِي النِّسَاءِ الْعَرَبِيَّاتِ لِأُسْوَةٍ حَسَنَةٍ ؛ فَقَدْ كُنَّ يُرْقِصُنَ أَطْفَالَهِنَّ فِي صِغَرِهِمْ بِأَهَارِيْجٍ رَائِعَةٍ تَزْخَرُ بِالْحَمَائِسِ وَالْعِزَّةِ . وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طُفُولَتِهِ الْمُبَارَكَةِ كَانَتْ تُرْقِصُهُ أُخْتُهُ فِي الرِّضَاعِ ابْنَةُ السَّيِّدَةِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ بِهَذَا النَّشِيدِ الْجَمِيلِ الَّذِي فَسَّرَتْهُ الْأَيَّامُ :

يَا رَبَّنَا أَبَقِ لَنَا مُحَمَّدًا حَتَّى أَرَاهُ سَيِّدًا مُسَوِّدًا

وَقَدْ سُمِّيَتْ النِّسَاءُ الْعَرَبِيَّاتُ اللَّائِي أَنْجَبْنَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا يَحِقُّ أَنْ يَفْتَخِرَ بِهِمُ التَّارِيخُ وَيَجْعَلَهُمْ عِطْرَ صَحَائِفِهِ « الْمُنْجِبَاتِ » ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ أُمُّ الْبَنِيْنَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخُرَشَبِيِّ الْأَنْمَارِيَّةِ ، وَتُسَمَّى أُمُّ الْكَمَلَةِ ، وَوَلَدَتْ الرَّبِيعَ وَعِمَارَةَ وَقَيْسًا

وَأَنْسًا أَبْنَاءَ زِيَادِ الْعَبْسِيِّينَ ، وَقَدْ سُئِلَتْ عَنْ بَنِيهَا ، أَيُّهُمْ
أَفْضَلُ ؟ فَقَالَتْ (الرَّبِيعُ) ، لَا ، بَلْ عِمَارَةُ ، لَا ، بَلْ قَيْسٌ ،
لَا ، بَلْ أَنْسٌ ، ثَكَلْتُهُمْ ، إِنْ كُنْتُ أَدْرِي أَيُّهُمْ أَفْضَلُ ! هُمْ
كَالْحَلْقَةِ الْمُفْرَغَةِ لَا يُدْرِي أَيْنَ طَرَفَاهَا) .

وَنَظَرَ أَبُو سَفْيَانَ مَرَّةً إِلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ صَبِيٌّ ، فَتَوَسَّمُ (١) فِيهِ
الْخَيْرَ ، وَقَالَ : « إِنْ ابْنِي هَذَا لَعَظِيمُ الرَّأْسِ ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ أَنْ
يَسُودَ قَوْمَهُ » فَقَالَتْ هِنْدُ أُمُّ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْآثَرِ : قَوْمُهُ ! ثَكَلْتُهُ
إِنْ لَمْ يَسُدِّ الْعَرَبَ قَاطِبَةً .

وَكَانَ لَهَا مَا أَرَادَتْ ، فَسَادَ مُعَاوِيَةَ الْعَرَبَ قَاطِبَةً ، بَلْ
سَادَ الْعَرَبَ وَالْعَجَمَ ، فَاسَّسَ الدَّوْلَةَ الْأُمَوِيَّةَ ، وَكَانَ مَلِكًا
عَرَبِيًّا عَلَى طِرَازِ كِسْرَى فَارِسَ ، إِلَّا أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُ بِصِفَتِهِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبِوَصْفِهِ مَلِكَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، وَكَأَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ
تَنْظُرُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، حِينَ قَالَتْ جُمَلَتَهَا الْخَالِدَةَ الَّتِي تَكْفُلُ
الْمُسْتَقْبَلَ بِتَحْقِيقِهَا .

فَانظُرْ إِلَى هَذِهِ الرُّوحِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي خَلَقَتْ مِنَ الْغُلَامِ
رَجُلًا كَبِيرًا أَقَامَ دَوْلَةً كُبْرَى بِرَغْمِ الْفِتَنِ وَالْخُطُوبِ ...

لِللَّهِ دَرَكٌ يَا شَاعِرَ النَّيْلِ (٢) ، لَقَدْ جَمَعْتَ الْحِكْمَةَ كُلَّهَا فِي بَيْتِكَ الْخَالِدِ :

(١) تَوَسَّمُ : تَخِيلُ أَوْ تَوَقَّعُ .

(٢) حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ .

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق .

شَبَّتْ نَارُ الْحَرْبِ بَيْنَ قَبِيلَتَيْنِ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، فَأَعْطَتْ إِحْدَى الْأُمَّهَاتِ وَلَدَهَا رُمْحاً ، وَدَفَعَتْ بِهِ إِلَى الْمَيْدَانِ ؛ فَقَالَ لَهَا : قَصِيرٌ يَا أُمَّاهُ ، فَقَالَتْ الْأُمُّ الشُّجَاعَةُ : « تَقَدَّمْ فَيَطُولَ » !!

وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَدْ حَاصِرَ الْحَجَّاجُ مَكَّةَ ، وَشَدَّدَ عَلَيْهَا الْحِصَارَ ، حَتَّى يَأْسَ عَبْدُ اللَّهِ مِنَ مُوَاصَلَةِ الْقِتَالِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا التَّسْلِيمُ أَوْ الْمَوْتُ ؛ فَقَالَ « يَا أُمَّاهُ ، لَقَدْ انْفَضَّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِي ، وَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا مَنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِلَّا صَبْرَ سَاعَةٍ ، وَالْقَوْمُ يَعْرِضُونَ عَلَيَّ مَا أَشْتَهَى مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَا رَأَيْكَ ؟ » .

فَقَالَتْ : أَقْدِمُ يَا بُنَيَّ غَيْرَ هَيَّابٍ ، فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ... يَا بُنَيَّ لَا يَلْعَبَنَّ بِكَ صَبِيَانُ بَنِي أُمِيَةِ ... الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَشْتَهُونَ ، فَسَمِعَ الْإِبْنَ كَلَامَهَا وَوَعَاها ، وَخَرَجَ إِلَى الْمَيْدَانِ بِقَلْبٍ مِنْ حَدِيدٍ ، يَصُولُ وَيَجُولُ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي يَدِهِ سَيْفٌ وَلَا فِي جُعبَتِهِ رُمْحٌ إِلَى أَنْ قُتِلَ ، وَبَلَغَهَا أَنَّ الْحَجَّاجَ قَدْ مَثَلَ بِهِ ، فَخَرَجَتْ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ ، وَقَالَتْ : « أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الْحَجَّاجِ عَنِي أَنَّ الشَّاةَ لَا يَضُرُّهَا سَلْخُهَا بَعْدَ ذَبْحِهَا .. ؟ أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الْحَجَّاجِ عَنِي أَنَّ الْمُمَثَّلَ

به المصلوب هو حَفِيدُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَأَنَّهُ هُوَ أَيْضاً
ابْنُ الزَّبِيرِ أَوْلِ رَجُلٍ سَلَّ سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَلْيُفِقْ مِنْ غَفْلَتِهِ ،
وَلْيَلْبَسْ ثَوْبَ إِيمَانِهِ .

وإذا بالحجاجِ يَأْمُرُ بِدَفْنِهِ ، وَيَحْتَفِلُ بِتَشْيِيعِ جَنَازَتِهِ ؛
ويقول :

« طَاطِئُوا رُءُوسَكُمْ يَا رِجَالُ إِجْلَالاً لِمَوْقِفِ البُطُولَةِ » .

الناقشة :

- ١ - لماذا كانت الأمُّ الفاضلة أئمن كنز في هذه الدنيا ؟
- ٢ - اذكر بعض الوسائل الصحيحة السليمة التي تتبعها الأمُّ
الصالحة في تربية أطفالها .
- ٣ - كيف تهدي الأمُّ طفلها إلى آداب المائدة ؟ .
- ٤ - اكتب موضوعاً إنشائياً بعنوان :
الأمُّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

٨ - أمجاد العرب

اعترف العلماء والفلاسفة والمؤرخون في العالم كله ،
بفضل العرب على الحضارة الأوروبية الحديثة ، وأجمعوا على
أنه لولا وجود العرب لتأخرت هذه الحضارة عدة قرون ،
وأجمعوا أيضاً على أن أوروبا مدينة بالشئ الكثير للعرب ،
إذ حصلوا مصباح العلم مشرقاً منيراً ، في زمن كان فيه العلم
في بلدان أوروبا ضعيفاً هزيباً ، واعترف « جوستاف لوبون (١) »
بهذه الحقيقة في وضوح أكثر فقال :

كانت كتب العرب المرجع الوحيد لعلوم الطبيعة والكيمياء
والفلك في أوروبا مدة تزيد على خمسة قرون ، أما كتب الطب
ذاتها فقد ظلت المرجع الأساسي والرئيسي ثمانية قرون حتى
لقد استمرت جامعة مونبليه تستشهد بأراء ابن سينا إلى أواخر
القرن الماضي .

وقد خصصت جامعة بريستون الأمريكية أكبر جناح
في أجمل بناء ، لعرض مآثر الطبيب العربي « أبي بكر الرازي »
الذي يعد أول واضع لعلم الطب التجريبي ، إذ كان يجري

(١) جوستاف لوبون مستشرق ومفكر فرنسي كبير . . ألف كتاب « حضارة

العرب » .

تجاربه على الحيوانات ليختبر تأثير الأدوية فيها ، ثم يُسجل جميع ملاحظاته عليها .

(٢) وأبو بكر الرازي هو أيضاً أول من وضع طريقة العلاج بالمُشاهدة التي تُجرى اليوم ... كان يدع مريضه يذكر قصته ثم يسأله عن أحواله مُفصلة ، ثم يسأله عن إصاباته السابقة بالمرض ، ثم يدون كل ذلك في سجل خاص ، فكان الرازي أول من عرف مرض الحصبة والجُدري . وأول من فكر في العلاج النفسي (٣)

أما الفيلسوف والطبيب ابن سينا . فقد أبدع في وصف الأعضاء ودراسة أمراضها وآفاتها .

واعلم ان الفيلسوف والكبير هو هومبولد ويعترف الفيلسوف الألماني الكبير « هومبولد » أن العرب هم واضعو علم الطبيعة بعد أن عرفوا كثيراً من النباتات الطبية . ولا يزال كثير منها مستعملاً حتى اليوم ، وينطقه الغربيون الآن بالنطق العربي مع بعض تحريف بسيط فيه .. نذكر منها على سبيل المثال المن والمر والمسك والقطن .

ولم تكن الجراحة عند العرب في القرون الوسطى متخلفة . إذ كانت تُستخدم في العلاج كما نفع اليوم .

وقد كتب أبو القاسم ، طيب البلاط الملكي في قرطبة أيام أن كانت في يد العرب ، كتباً في الجراحة والتوليد .

وَصَفَّهَا الْعَالَمُ الْأُورُوبِيُّ بِأَنَّهَا كَانَتْ النَّبْعَ الْمُشْتَرَكَ الَّذِي
أَخَذَ مِنْهُ جَمِيعُ الْجُرَّاحِينَ الَّذِينَ ظَهَرُوا بَعْدَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ .

* * *

أَمَّا الْمُسْتَشْفِيَّاتُ فَانْتَشَرَتْ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ، مِنْ فَارَسِ
إِلَى مُرَاكَشِ ، وَمِنْ شَمَالِ سُورِيَّةَ إِلَى مِصْرِ .

وَكَانَ أَوَّلُ مُسْتَشْفَى قَامَ عَلَى أُسَاسٍ عِلْمِيٍّ هُوَ هَذَا الَّذِي
أَسَّسَهُ ابْنُ طُولُونٍ بِالْقَاهِرَةِ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ الْمِيْلَادِيِّ وَبَقِيَ حَتَّى
الْقَرْنِ الْخَامِسِ عَشَرَ :

وَعُرِفَتْ عِنْدَ الْعَرَبِ الْمُسْتَشْفِيَّاتُ الْمُتَنَقِّلَةُ .

وَفِي خِلَالِ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ ، تُعْطِينَا الْكُتُبُ التَّارِيخِيَّةُ
الْإِسْلَامِيَّةُ مَعْلُومَاتٍ كَثِيرَةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَمَلِ فِي هَذِهِ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ
حَيْثُ كَانَ كِبَارُ الْأَطْبَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذِهِ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ ، يُلْقُونَ
مُحَاضِرَاتٍ وَدُرُوسًا عَلَى الطَّلَبَةِ الَّذِينَ جَاءُوا لِتَعَلُّمِ الطَّبِّ ، مَعَ
إِجْرَاءِ امْتِحَانَاتٍ ، وَمَنْحِ إِجَازَاتٍ (١) عِلْمِيَّةٍ .

وَفِي الْقَاهِرَةِ بَنَى السُّلْطَانُ قِلَاطُونُ سَنَةَ ١٢٨٥ م مُسْتَشْفَى
الْمَنْصُورِ ، وَهُوَ أَضْمَحُ مُسْتَشْفَى فِي الْقُرُونِ الْوُسْطَى ، كَانَ
بِهِ وَقْتِيذٌ أَقْسَامٌ مُنْفَصِلَةٌ لِلْأَمْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَأُخْرَى لِلذَّاقِهِيْنَ ،
وَبِهِ مَعَامِلٌ وَعِيَادَاتٌ خَارِجِيَّةٌ ، وَفِيهِ حَمَّامَاتٌ وَمَكْتَبَةٌ وَجَامِعٌ ،

(١) إِجَازَاتٌ : شَهَادَاتٌ تَحُولُ مَزَاوِلَةَ الْمِهْنَةِ .

وأقيمت فيه مطابخ لتقديم الغذاء للمرضى بلا أجر . وكان يُعطى لكل ناقه (١) عند خروجه من المستشفى بعض المال . حتى لا يضطر إلى العمل في فترة نقاهته ... أما المصابون بالأرق فكان يُرفه عنهم بالموسيقى الخفيفة ، أو برواة القصص المحترفين . وكان عند العرب مستشفيات خاصة للمجانين ، كما كان عندهم عيادات خيرية يستطيع الفقراء زيارتها للفحص والعلاج . مجاناً . في أيام محددة . من كل أسبوع .

الناقشة :

- ١ - لولا العرب لتأخرت الحضارة الأوروبية الحديثة عدة قرون أقم الدليل على صحة هذه العبارة .
- ٢ - كان « الرازي » واضع أساس الطب التجريبي . ما الدور الذي قام به في هذا المجال ؟
- ٣ - ما التقليد الذي وضعه الرازي عند فحص مرضاه ؟
- ٤ - كان العرب أول من اهتم بالعلاج في المستشفيات .. اذكر بعض مآثر العرب في هذا المجال .

(١) الناقه : الذي بدأ الشفاء ويحتاج إلى رعاية .

٩ - الأمن في المملكة

عندما نتحدث عن الأمن في المملكة العربية السعودية ...
فعلينا أن نشير إلى الوضع الذي كانت عليه الجزيرة العربية
قبل أن يوحد معظمها جلالة المغفور له الملك عبد العزيز
ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود في دولة واحدة .

كان على الإنسان الذي تفرض عليه ظروفه التنقل من
مدينة إلى أخرى أن يضع نصب عينيه أنه سيكون عرضةً للنهب
والسلب من البدو الذين يقطعون الطرق أمام المسافرين . وحتى
قوافل الحجاج التي كانت تقطع الطريق من جدة إلى مكة .
ومن مكة إلى المدينة ، كثيراً ما تعرضت لغارات قاسية من
البدو ، فسُرقت أمتعة الحجاج ، وسلبت أموالهم ، وكانوا
عرضة للقتل إذا قاوموا .

وبعد أن أصبحت الجزيرة في حكم آل سعود ، منذ
خمسة وأربعين عاماً ، عرفت الأمن والاستقرار . ولقد استطاع
البيت السعودي أن يخلق نوعاً فريداً من الأمن في ربوع
المملكة ، معتمداً في ذلك على العدل بين الرعية ، ذلك العدل
القائم على تنفيذ شرع الله ، وبث الوعي الديني في صفوف
الشعب .

يحدث - أحياناً - وسط زحام الآلاف من الحجاج في المسجد الحرام أو المسجد النبوي أن يفقد أحدهم حافظة نقوده ، أو ساعته ، أو قلمه ، أو أيّاً مما يملك ، وبمجرد إخطاره دوائر الأمن يَجِدُ - فَوْرًا - كل اهتمام للبحث عن مفقوداته ، وسرعان ما تُسَلِّمُ إليه في خلال ساعات من تبليغه .

إن عشرات الألوف من حجاج المسلمين - في موسم الحج بخاصة - يقفون أمام هذه الظاهرة ، والدّهشةُ تعقد ألسنتهم ، وتستولى على مشاعرهم علامات الاطمئنان والارتياح ، وكلما حاولوا الوصولَ إلى سرّ هذا الأمن المستتب (١) ، أجابهم حكم المملكة القائم على العدل في ظل الشريعة الإسلامية ، التي وضعت لكل مخالفة عقوبة تقضى على الجريمة في الحال .

لقد أصبح الفردُ السعودي يدرك ، بوعيه ، مقدارَ العقوبة التي حدّتها الشريعةُ الإسلامية لكل جريمة ترتكب ، لذا نراه يبتعدُ نَفْسَهُ عن ارتكاب أيّة جريمة . ومن هنا كان سرُّ الأمن والابستتباب في ربوع البلاد ، حيث غمر الإيمان قلوب أبنائها .

الناقشة :

- ١ - ما الوضع الذي كانت عليه الجزيرة العربية قبل الحكم السعودي ؟
- ٢ - حقق البيت السعودي الأمن في البلاد ؛ فما سر ذلك ؟
- ٣ - وضحْ حال الحجيج قبل وبعد الحكم السعودي .

(١) المستتب : التام المستقر الموطن الأركان .

١٠ - فن البيع

إن أول شرط لنجاح البائع ، أن يُحِبَّ عَمَلَهُ ، وأن يُوجِّهَ إليه كلَّ اهْتِمَامِهِ ، حتى يُؤدِّيَهُ في سُهولةٍ وَيُسْرٍ ، وعن رِضاً وارتياح ، على أن يكون البائع - بجانب ذلك - مُتَفَائِلاً مَرِحاً ، مُطْمَئِنِّ النفس ، مُرْتاحَ الخاطر . أمّا إذا كان ضَيِّقَ الصدر ، مُتَبَرِّماً (١) بِعَمَلِهِ وَسِلْعِهِ ، فعليه أن يَبْحَثَ لِنَفْسِهِ عن عَمَلٍ آخَرَ ، لا يَتَّصِلُ بِالبَيْعِ ، ولا بِمُعَامَلَةِ النَّاسِ .

والابتسامَةُ على وَجْهِ البائعِ ضرورةٌ من ضروراتِ هذه المِهْنَةِ ، لا غِنَى عنها ، فبِدُونِهَا لا يَسْتَقِيمُ له عَمَلٌ ، وبغَيْرِهَا يُصْبِحُ كسارَةً من غيرِ طُعْمٍ ، وكقِطَارٍ من غيرِ فحمٍ .

والبائعُ الذي يَتْرُكُ لقلقه العِنانَ ، بسببِ فُقدانِهِ إحدى الصَّفَقَاتِ ، يضعُ العِراقيلَ (٢) أمامَ نَفْسِهِ ، في مَبِيعَاتِهِ القادمة . ويَحْدُثُ أحياناً أن تَهْبِطَ مَبِيعَاتُ أَحَدِ الباعَةِ المَهْرَةِ ، هبوطاً مَفاجئاً ، يصلُ إلى ثُلثِ مَبِيعَاتِهِ العادِيَةِ ، ففي مثلِ هذهِ الحالِ ، تَقْتَضِي السِّيَاسَةُ الحَكِيمَةُ لمديرِ المَوْسَسَةِ أو مُديرِ المَبِيعَاتِ ، ألا يُرْسِلَ خِطَاباً شَدِيدَ اللِّهْجَةِ إلى هذا البائعِ ،

(١) متبرماً : شاكياً ساخطاً .

(٢) العِراقيلُ : العقبات والصعاب .

إنما يجب أن يبحث عن سبب هذا التغير وهذا الهبوط في بيع السلع ، وسوف يكشف مدير المؤسسة ، أن السبب عاطفي أو نفسي ، وسيكشف أن البائع قلق ، وأنه ليس في حالة نفسية مستقرة ، فرمما تكون زوجته أو أحد أولاده مريضا ، أو يكون مشغول البال بسبب بعض متاعبه المنزلية ، أو يكون طبيبه الخاص قد أنبأه بأنه مريض بالقلب ، أو يكون غارقاً في الديون . ومهما يكن من أمر هذه المتاعب فإن إرسال خطاب شديد اللهجة ، لتأنيب هذا البائع ، يضر أكثر مما يفيد .

وأفضل الوسائل لعلاج مثل هذه الحالة أن يدعو مدير المبيعات البائع نفسه ، ليتناول الشاي معه ، ثم يتحدث إليه في رفق ولين ، ويذكره بما أحرزه (١) في الماضي من نجاح ، ليخلق الطمأنينة في صدره ، وليودع الثقة في قلبه .

إن مثل هذا البائع في موقف دقيق ، يحتاج إلى بعض العطف والنصح . وفي الإمكان أن تُعاد إليه كفايته ، ويزداد إخلاصه ، إذا عومل بشيء من الحنان والرفق بين الروساء والزملاء في الوقت المناسب .

وماذا يستطيع البائع أن يفعل عندما يبذل قصارى جهده (٢) لتحقيق صفقة من الصفقات ثم يفشل ؟ إن أكفاً بائع في

(١) أحرزه : ناله .

(٢) قصارى جهده : كل جهده . غايته وآخره .

العالم مُعْرَضٌ للفشل كلَّ يوم . إنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ مُقَرَّرٍ عليه عندئذٍ ، ألاَّ يُبْدِيَ أَيَّ مَظْهَرٍ من مَظَاهِرِ الغَضَبِ ، أو الشُّعُورِ بِالهَزِيمَةِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَنْ يَنْفَعَ فِي قَلِيلٍ أو كَثِيرٍ ، كما يَجِبُ عَدَمُ المُبَالِغَةِ فِي عَرَضِ الطَّلَبِ حَتَّى يَصِلَ الأَمْرُ إِلَى مَرْتَبَةِ الاسْتِجْدَاءِ ، فَإِنْ مِثْلَ هَذَا المَوْقِفِ ، يُثِيرُ الشُّكُوكَ حَوْلَ السَّلْعَةِ ، وَيُضْعِفُ مِنْ قِيَمَتِهَا ، وَيُدْفَعُ النَّاسَ إِلَى تَرْكِهَا .

وإنَّ البَائِعَ المُتَحَمِّسَ لِعَمَلِهِ ، الرَّاغِبَ فِي تَقَدُّمِهِ ، يَجِدُ فِي عَامِهِ السَّابِقِ ، وَشَهْرِهِ المَاضِي ، وَأُسْبُوعِهِ الفَائِتِ ، وَأَمْسِهِ القَرِيبِ ، تِجَارِبَ نَافِعَةٍ ، تُمَكِّنُهُ مِنْ تَجَنُّبِ الأَخْطَاءِ وَالإِفَادَةِ مِنْهَا ، فَإِذَا اسْتَعْرَضَ خُلَاصَةَ هَذِهِ التِّجَارِبِ ، وَطَبَّقَهَا عَلَى مَا يَعْرَضُ لَهُ مِنْ مَصَاعِبَ وَعَقَبَاتٍ ، أَمَكَّنَهُ أَنْ يَخْرُجَ ظَافِراً (١) مِنْ أَكْثَرِ مَعَارِكِ البَيْعِ .

الناقشة :

- ١ - ما أول شرط لنجاح البائع في عمله ؟ .
- ٢ - ما الأسباب العاطفية والنفسية التي تسبب نقص إنتاج البائع ؟ .
- ٣ - كيف يعامل مدير المبيعات البائع إذا انخفضت مبيعاته ؟ .

(١) ظافراً : ناجحاً .

١١ - الخليفة العالم عبد الله المأمون

لم تشهد المملكة العربية في عصورها السالفة عهداً حافلاً
بأسباب الحضارة ومظاهر الرقي كعهد الرشيد ، وابنه المأمون .

كان المأمون من مفاخر الدولة العباسية علماً وفضلاً ،
وسياسة ونُبلاً ، علمه أبوه فأجاد تعلّمه ، ورباه فأحسن
تربيته ، وخرّجه على أيدي كبار العلماء وأئمة العصر ، فشبَّ
علماً مهذباً ، مُحباً للبحث والنظر في كتب الأوائل ، فصيح
اللسان ، حاضر البديهة ، قويّ الحجّة ، مُغرماً بالجدل .

تولّى الخلافة سنة ثمانٍ وتسعين ومائة ، فوجه عنايته
للعلم ، وعقد المجالس للمناظرة فيه ، وأكرم العلماء ، وأعلى
مجالسهم ، وأجزَلَ لهم العطاء .

وكان بين المسلمين وأهل قبرس - في عهد الرشيد -
خصامٌ وقتال ، فلما أفضت الخلافة إلى المأمون ، هادن ملكها ،
وتودّد إليه ، ليُرسلَ له خزانة كتب اليونان ، وكانت
مجموعةً في بيتٍ لا يظهرُ عليه أحدٌ فيما قيل ، فلما طلبها :
جمع الملكُ بطانته ، وذوى الرأي عنده ، واستشارهم في حملِ

الخِزَانَةِ إِلَى خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَشَارُوا بِأَلَّا تُحْمَلَ إِلَيْهِ ،
إِلَّا وَاحِدًا مِنْهُمْ أَقْنَعَهُ بِإِرْسَالِهَا ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْمَأْمُونِ ،
فَاغْتَبَطَ بِهَا ، وَسُرَّ سُرورًا عَظِيمًا .

ثُمَّ صَالَحَ الْمَأْمُونُ مَلِكَ الرُّومِ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ مَا عِنْدَهُ مِنْ
كُتُبِ الْقَدَمَاءِ ، وَأَرْسَلَ بُعوثًا مِنْ ثِقَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى
لِنَسْخِ مَا يَضِنُّ مَلِكُ الرُّومِ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ الْكُتُبِ ، فَاجْتَمَعَ
لِلْمَأْمُونِ بِذَلِكَ خِزَانَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَوْقَ مَا حُمِلَ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرْقِ
وَالْغَرْبِ ، وَقَدْ سَمَّاها : بَيْتَ الْحِكْمَةِ .

وَأَنْصَرَفَتْ هِمَّتُهُ أَيَّمَا أَنْصِرَافٍ إِلَى نَقْلِ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ
وَالْعُلُومِ وَالصَّنَاعَاتِ مِنَ اللُّغَاتِ الْإِغْرِيْقِيَّةِ وَالسَّرْيَانِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ
وَالْهِنْدِيَّةِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَعَدَّ ذَلِكَ مِنْ آكِدِ أَعْمَالِهِ وَأَنْبَلِ
أَغْرَاضِهِ ، رَغْبَةً فِي رَفْعِ شَأْنِ أُمَّتِهِ ، وَإِعْزَازِ جَانِبِهَا .

وَنَبَغَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْحِكَمَاءِ وَالْبُلْغَاءِ وَالْكَتَّابِ فِي عَصْرِهِ وَعَصْرِ أَبِيهِ
- مَنْ هُمْ فَخْرُ الزَّمَانِ ، وَحِلْيَةُ الدَّهْرِ ، وَعَلَى كُتُبِهِمْ وَمُؤَلَّفَاتِهِمْ -
فِي مُخْتَلَفِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ - شَيْدَ الْأُورُوبِيُونِ حَضَارَتِهِمِ الْمَائِلَةَ
أَمَامَنَا الْآنَ .

وظَلَّ الْمَأْمُونُ يَنْهَضُ بِأَمَّتِهِ ، وَيَعْمَلُ عَلَى رِفْعَةِ شَأْنِهَا ،
وَيَنْشُرُ الْعِلْمَ فِي أَنْحَائِهَا ، حَتَّى وَصَلَ بِهَا إِلَى أَسْمَى الْغَايَاتِ ،
وَأَحْلَاهَا أَعْلَى مَكَانٍ .

وكان ذا وَلَعٍ بِإِنشاءِ القُصورِ الفَخمَةِ ، التي تَدُلُّ على عَظَمَةِ
المُلِكِ ، وَأُبَّهَةِ السُّلطانِ ، فكان المُشْرِفُ على بَغدادَ من دِجْلَةَ ،
يُشاهدُ تلكَ القُصورَ من بُعدٍ بَعِيدٍ ، فَإِذا تَأَمَّلَها : رَأى بَعْضَها
مَظَلِيًّا بِالطَّلَءِ الأَبيضِ النَّاصِعِ ، كَأَنَّهُ الفِضَّةُ الصَّافِيَةُ البَراقَةُ ؛
وبَعْضَها نِصفُهُ الأَسفَلُ أَخضَرُ كَأَنَّهُ الزَّرْعُ النَّاضرُ ؛ ونِصفُهُ
الأَعلى أَصفرُ ، كَأَنَّهُ الذَّهَبُ اللَّامعُ ؛ وفوقَ تلكَ القُصورِ قِبابٌ
عَجيبَةٌ ، عليها صُورٌ من الذَّهَبِ ، يَكادُ سَنا بَرِقِها يَذهَبُ
بِالأَبصارِ ، ثم تَبدُو لِلعُيونِ حَدائِقُ فيحَاءِ ، يَقصُرُ النَّظَرُ عن
بُلُوغِ مَدَهاها ، تَجري إليها الجَدَولُ من بُحيرَاتٍ واسِعَةٍ بَدِيعَةٍ ،
تَنصَبُ فيها المِياهُ - كالفِضَّةِ الذَّائِبَةِ - من أَفواهِ الحِيتانِ
والتُّيرانِ والنُّسورِ والسَّباعِ المُختلِفَةِ المَصنُوعَةِ من المَرمرِ
المُلوَّنِ البالِغِ حَدِّ الإِتقانِ ، وقد تَشابَكَتِ الأشجارُ ، وتَعانَقَتِ
الأَغصانُ ، وامتَدَّتِ الظُّلالُ ، وبَدَتِ الطُّرُقُ كَأَنَّها مَفروشةٌ
بِالخَمائلِ السُّنْدُسيَّةِ ، وَمِن حَولِها الأَسوارُ البعيدةُ ، قد اعترَشَ
عليها الأياسِمينِ ، وتَعَلَّقَ بها الوردُ والنُّسرِينِ .

وَوافَتُهُ مَنيَّتُهُ في السَّنَةِ الثامنةِ عَشْرَةَ بَعْدَ المائَتينِ مِنَ الهِجرةِ ،
فكانتِ وِفاتُهُ خَسارَةً عَظِيمَةً للإِسلامِ وَالْحَضارَةِ .

الناقشة :

١ - لماذا كان المأمون مفخرة من مفاخر الدولة العباسية ؟ .

٢ - تعد نشأة المأمون نشأة نموذجية تحتذى ... كيف كان ذلك ؟

٣ - كان المأمون محباً للعلم والعلماء ... فيم يتشمل هذا ؟

٤ - انتفع الأوروبيون في بناء حضارتهم بما ترك العرب من مؤلفات ... علام يدل هذا ؟

٥ - ازدهر فن العمارة في عهد المأمون أيما ازدهار ؛ ما شواهد هذا الازدهار ؟

١٢ - الاستعمار والامة العربية

أهدافنا وأهداف الاستعمار واضحة .
أهدافنا أن نتحرر ، فلا يكون لأحد سلطان علينا في ديارنا .
وأن نتوحد ، لتكون وحدتنا عصمة لنا ، ووقاية من طمع
الطامعين فينا .

وأن تكون كل خيرات بلادنا ، من الزرع والضرع ، وثمرات
الأرض والبحر والمنجم ، خالصة لنا ، لا يُشارِكنا فيها بغير
إرادتنا أحد غيرنا .

وأن يتقلص ظل الاستعمار من كل بلد يبسط عليه
الاستعمار ظله ، ليعيش الناس جميعاً أحراراً سادة ، يتمتعون
بالعزة والكرامة .

إن الأمة العربية قد استيقظت من سباتها (١) .

إن الشرق كله قد نهض من كبوته .

إن كل أبناء الأمة العربية العريقة ، كل الذين يعيشون
على أرض الوطن العربي الكبير الممتد من ساحل الأطلسي إلى
الخليج العربي ، قد أقسموا أن يعيشوا كما يريدون لأنفسهم ،
لا كما يريد لهم عدوهم .

(١) سبات : نوم .

إن الأمة العربية - وهي أكثر من مائة مليون من البشر - تريد أن تحقق وجودها ، وأن تشعر بمكانها ، وأن تنتفع بكل إمكاناتها ، لتكون بين الأمم أمة موحدة حرة ، ذات رأي وإرادة ، ذات جيش ورأية ، ذات قوة يعتدل بها ميزان السلام في العالم .

العربي في الجزائر ، وفي تونس ، وفي ليبيا . والمصري والسوداني في وادي النيل . والسوري ، واللبناني ، والفلسطيني ، والأردني ، والعراقي ، والسعودي ، واليمني . كل أولئك أمة واحدة ، ليس بين أرض بعضهم وبعض حدود ولا فواصل ، أبوهم واحد ، ولسانهم واحد ، وعقيدتهم واحدة ، وأهدافهم واحدة ، فمن حقهم أن يعيشوا أمة واحدة .

ذلك هو هدفنا الأول : أمة عربية متحدة في وطن عربي موحد .

وبلادنا هذه ، التي تضم أغنى كنوز الدنيا ، في مائها ، وصحرائها ، وزرعها ، وضرعها ! تملك من أسباب الغنى ما يهيئ لها مستوى رفيعاً من العيش ، يجب أن تبلغه . فلنستخدِم كل ما نملك من وسائل الإنتاج في البر والبحر ، في الماء والصحراء ، وفي جوف المنجم . لنستخرج ثرواتنا بأيدينا ، ومن أجل أنفسنا ، فيرتفع مستوى معيشتنا .

نحن أمة ذات ماضٍ حافلٍ بالمجد ، وحاضرٍ مشرقٍ بالأمل ،

وَعَدِ سَعِيدٍ بِالْكَفَاحِ وَالْعَمَلِ ، فَمَنْ حَقَّقْنَا أَنْ نَعْمَلَ لِئَنْصَلَ أَمْجَادَ (١)
 مَاضِينَا ، بِأَمَالِ حَاضِرِنَا وَمُسْتَقْبَلِنَا ، نَحْنُ أُمَّةٌ ذَاتُ عَقِيدَةٍ وَمِثْلِ
 إِنْسَانِيَةٍ عُلْيَا ، تَوْمَنُ بِالْحَرِيَّةِ ، وَبِالْأُخُوَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَبِالْمُسَاوَاةِ
 بَيْنَ الْبَشَرِ ، وَتَوْمَنُ إِلَى ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ حِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْمُرُوا
 الْأَرْضَ ، مَنَحَهُمْ فِي أَوْطَانِهِمْ كُلِّ سَبَابِ الْعَيْشِ ، وَكُلِّ
 سَبَابِ التَّحَرُّرِ وَالِاسْتِكْفَاءِ (٢) ، وَكُلِّ سَبَابِ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ ،
 فَلَيْسَ مِنْ حَقِّ أَحَدٍ أَنْ يَسْلُبَهُمْ حَقَّ الْعَيْشِ ، أَوْ حَقَّ الْحَرِيَّةِ ،
 أَوْ حَقَّ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ ، وَمَنْ حَقَّهُمْ أَنْ يَنْشُرُوا أَفْكَارَهُمْ وَمَبَادِئَهُمْ
 بَيْنَ أُمَّمِ الْأَرْضِ .

وَالآنَ مَاذَا يَرِيدُ الْاسْتِعْمَارُ مِنَّا ؟ إِنَّهُ يُرِيدُ أَلَّا تَتَحَقَّقَ (٣)
 آمَالُنَا ، يُؤَلِّمَهُ أَنْ نَتَحَرَّرَ ، وَأَنْ نَتَوَحَّدَ ، وَأَنْ تَكُونَ خَيْرَاتُ
 بِلَادِنَا لَنَا ، وَأَنْ تَكُونَ مَقَادِيرُنَا بِأَيْدِينَا ، وَأَنْ نَكُونَ طُلَّابَ
 مَجْدٍ (٤) وَدُعَاةَ حَضَارَةٍ .

وَتلكَ أَهْدَافُنَا وَهذهَ أَهْدَافُهُ ، وَمَنْ أَجَلِ ذَلِكَ يَصْطَنَعُ
 الْاسْتِعْمَارَ الْأَسْبَابَ لِحَرْبِنَا ، لِيَمْنَعَ وَحَدَّتْنَا ، وَيَسْلُبَنَا (٥) حُرِّيَّتَنَا
 وَيَغْتَصِبَ (٦) أَرْزَاقَنَا ، وَيَسْتَدِيلَ رِقَابَنَا (٧) .

(١) أَمْجَادُ : عِظَامٌ - مَكْرَمَاتٌ - مَفَاخِرٌ .

(٢) الْاسْتِكْفَاءُ : الْاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْغَيْرِ .

(٣) تَتَحَقَّقُ : تَمُّ .

(٤) مَجْدٌ : عِظْمَةٌ وَشَرَفٌ .

(٥) يَسْلُبُنَا حُرِّيَّتَنَا : يَخْتَلِسُهَا وَيَجْرِدُنَا مِنْهَا .

(٦) يَغْتَصِبُ أَرْزَاقَنَا : يَأْخُذُهَا ظُلْمًا ، وَيَنْتَزِعُهَا قَهْرًا .

(٧) يَسْتَدِيلُ رِقَابَنَا : يَسْتَعْبِدُنَا ، وَيَسْخَرُنَا ، وَيَتَصَرَّفُ فِيْنَا حَسَبَ إِرَادَتِهِ .

لن يستطيع الاستعمار أن يحقق أهدافه ، ما دامت الوحدة العربية هي وسيلتنا وهدفنا وغايتنا .

الناقشة :

١ - ما أهداف الأمة العربية ؟ وما أهداف الاستعمار ؟ .
وهل هناك تعارض بينهما ؟ . وضح ذلك .

٢ - ما خصائص الأمة العربية ؟ .

٣ - منح الله الأمة العربية كل أسباب التحرر . اشرح ذلك .

١٣ - العلم يكشف ٠٠٠ معالم الجريمة

لقد اعتمد رجال الأمن في كشف الجرائم ، وتعقب الجناة والقبض عليهم ، على أساليب علمية بحتة ، واستخدموا لتحقيق غايتهم كل ما أخرجته عقول العلماء من أجهزة فنية وطرق علمية .

أراد رجال الأمن تعقب الجناة والقبض على المجرمين ، فاستخدموا اللاسلكي ، فأعدوا سيارات خاصة ، بها أجهزة استقبال لاسلكية ، وبنوا محطة لاسلكية خاصة برجال الشرطة والأمن ، ووُزعت السيارات على مناطق المدينة ، فإذا حدثت جناية في ناحية ، وحاول الجناة الهرب والإفلات من يد الشرطة ، بلغت الحادثة وأوصاف الجناة باللاسلكي إلى محطة الإذاعة الخاصة بالشرطة ، فتبادر المحطة إلى إذاعة هذه الرسالة ، ويتلقاها كل رجال الشرطة في سياراتهم المنتشرة ، فيتربصون المجرمين الذين عرفوا أوصافهم ، ويدققون الملاحظة في تتبعهم ، فلا يلبثون أن يضعوا أيديهم على الجاني في أية منطقة حاول أن يفر إليها ويختبئ فيها .

حدث أن سطت عصابة من اللصوص على متجر جوهري بلندن ، وبعد أن أتم اللصوص سرقتهم ، اتجهوا بسياراتهم إلى خارج المدينة محاولين الهرب .

وفي دقائق معدودات ، أرسل الخبرُ إلى المحطة اللاسلكية التابعة لرجال الشرطة ، فأذاعته بدورها ، وتلقته السياراتُ التابعة لها ، المتفرقة في أنحاء المدينة ، فاندفعت بمن فيها تطاردُ الجناة حتى قبضت عليهم قبل مغادرة المدينة .

واستطاع العلمُ من بقعةِ الدَّمِ التي يتركها الجاني في مكانِ الحادث ، أن يستدلَّ منها على أشياء كثيرة ، تُنيرُ الطريقَ أمامَ المُحقِّقين .

فالدَّمُ البَشْرِيُّ أربَعُ فصائلَ رئيسية ، فإذا دلَّ الفحص الكيماوي على أن بقعةَ الدم تنتمي إلى فصيلةِ حَرَفِ أَلْفِ ، في حين أن دَمَ المُتَّهَمِ يَنْتَسِبُ إلى فصيلةِ ب ، فلا يُمكنُ أن تكونَ بينهما أيةُ علاقة . أمَّا إذا ثَبَتَ أن دَمَهُ من دَمِ البُقعةِ ، كان ذلك بدايةً لاسْتِكْمَالِ البَحْثِ والتدقيق .

ويقوم الدِجْهْرُ (الميكروسكوب) بدورِ خَطِيرٍ ، إذ يُستخدَمُ في فحصِ الشَّعْرِ وبصمات الأصابع ، والكتابة التي تدورُ حولِ صِحَّةِ التَّوْقِيعِ ، نَظْرًا لأنَّ المَزُورين من ألدِّ أعداءِ الإنسانِية ، وهم على جانبٍ كبيرٍ من الحِدْقِ والبراعة ، وفي وَسْعِهِمْ أن يُقلِّدوا أيَّ إِمضاءٍ تقليدًا مُتَقَنَّا ، ولكنهم يَفْشلون في ناحيةٍ واحدة ، وهي الجَرَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لخطوطِ الإِمضاءِ ، لأنَّ المَزورَ في تقليدهِ الإِمضاءِ لا يَكْتُبُهَا بِنَفْسِ طَلَاقَةٍ صاحبها وخطَّه الطبيعي .

وعلى ذلك فالوقوفات والفجوات الصغيرة التي لا تبدو للعين
المجردة في الإمضاء المزور تظهر بجلاء تحت المجهر .

* * *

وقد يجد العلم قيمة كبرى لأشياء تبدو لنا تافهة ، فقد
وجد رجال الشرطة جثة فتاة قد عدا عليها البلي في غابة كثيفة ،
وكان معظم أنسجة الجسم قد ذهب ، ولكن بقي عليها بعض
الملابس ، وحبل حول عنقها ، يتصل بقيد في يديها .

ولما استخدمت الأشعة السينية في البحث ، أمكن تحديد
طول قادة الفتاة وعمرها ووزنها ، ولما أعلن عن أوصافها في
الصحف ، جاء أبواها يلهثان بحثاً عن فتاتيهما .

ثم ثبت بعد ذلك أن حلقة الحبل حول عنقها كانت
ضيقة إلى حد يكفي لخنقها ، وظهر ذلك بتجربته على مائة
وخمس وعشرين فتاة من نفس طول الضحية ووزنها ، ثم أظهر
فحص المجهر نوع الحبل بالدقة ، فعرف المصنع الذي أخرجه ،
وعرف المحققون من أبويها أنها بارحت منزلها من ثلاثة أشهر
قبل العثور على جثتها . وقرر الخبراء الزراعيون بعد تقدير
نوع الطقس من حرارة ورطوبة أن جسد الفتاة ظل ملقى قرابة
الثلاثة أشهر ، وقد اعتصروا تلك الحقيقة من فحص
الحشائش المتعفنة تحت جثة الفتاة ، ووضع الدافع إلى كل
هذا ، بعد أن اكتشفت عظام دقيقة لجنين في أحشائها .

وَأَنْطَلَقَ رِجَالُ الشَّرْطَةِ يَبْحَثُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، حَتَّى وَضَعُوا
أَيْدِيَهُمْ عَلَى شَابٍّ كَانَ لِلْفَتَاةِ بِهِ صِلَةٌ ، وَضَاقَ عَلَيْهِ الْخِنَاقُ
حِينَ وَجِدَتْ عِنْدَهُ قِطْعَةً حَبْلٍ تُشْبِهُ ذَلِكَ الَّذِي خُنِقَتْ بِهِ الْفَتَاةُ ،
وَبِهَذَا الْحَبْلِ اقْتِيدَ الشَّابُّ إِلَى ظَلَامِ السَّجْنِ .

* * *

وَهَلْ تُصَدِّقُ أَنَّ شَعْرَتَيْنِ تَرَكَهُمَا قَاتِلٌ فِي مَكَانِ الْجَرِيمَةِ
تَكْشِفُ عَنْهُ ، وَتُزِيحُ السُّتَارَ عَنْ جَمِيعِ مَعَالِمِ الْجَرِيمَةِ ؟ !! .

لَقَدْ وَقَعَتْ جَرِيمَةٌ قَتَلٍ فِي أَحَدِ أَحْيَاءِ لَنْدَنِ الْفَقِيرَةِ ، حَيْثُ
وَجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةٌ عِنْدَ مَطْعَمِ الْفَجْرِ وَقَدْ سُلِبَ مَالُهَا
وَحُلِيَّتُهَا ، وَعُثِرَ عَلَى شَعْرَتَيْنِ مِنْ رَأْسِ رَجُلٍ بِجَانِبِ جُثَّةِ
الْقَتِيلَةِ ، قَدْ تَكُونَانِ لِلْقَاتِلِ ، وَرَبَّمَا لَا تَكُونَانِ ، وَكَانَتِ الْقَرِينَةُ
الْأُخْرَى ، شَهَادَةً عَابِرِ سَبِيلٍ بِأَنَّهُ رَأَى فِي الصَّبَاحِ الْمُبَكَّرِ رَجُلًا
يَرْتَدِي مَعْطَفًا طَوِيلًا أَثْنَاءَ خُرُوجِهِ مِنْ زُقَاقِ الْقَتِيلَةِ ، وَلَكِنَّهُ
لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُدَلِّيَ بِأَوْصَافٍ أُخْرَى عَنْهُ ، وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْبَيِّنَاتُ
الْمُبْهَمَةَ مِمَّا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ كَثِيرًا ، بَيِّنَةٌ أَنَّ رِجَالَ الشَّرْطَةِ جَمَعُوا
الشَّعْرَتَيْنِ وَأَرْسَلُوهُمَا إِلَى خَبِيرٍ فِي الشَّعْرِ ، فَتَعَرَّفَ الْخَبِيرُ مِنْهُمَا
عَلَى مَعْلُومَاتٍ كَثِيرَةٍ ، فَقَدْ ظَهَرَ مِنْ فَحْصِهِمَا تَحْتَ الْمِجْهَرِ
(الْمَيْكْرَسُكُوبِ) أَنَّهُمَا لِرَجُلٍ أَبْيَضِ الشَّعْرِ فِي الْخَمْسِينَ مِنْ
عَمْرِهِ .

وَدَلَّ فَحَصُّ أَطْرَافِ الشَّعْرَتَيْنِ ، عَلَى أَنَّ صَاحِبَهُمَا قَصَّ
شَعْرَ رَأْسِهِ أَخِيرًا ، كَمَا تَعَرَّفَ الْخَبِيرُ - مِنْ وَجُودِهِ لِبَعْضِ
آثَارِ الْعَرَقِ فِي الشَّعْرَتَيْنِ - بِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ بَدَيْنُ الْجَسْمِ ، يَعْرِقُ
بِسُرْعَةٍ ، فَرَأَى رِجَالَ الشَّرْطَةِ فِي هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ مَا يَكْفِي
لْمُعَاوَنَتِهِمْ فِي مُهْمَتِهِمْ ، فَطَافُوا عَلَى حَلَّاقِي النَّاحِيَةِ يَسْأَلُونَهُمْ :
هَلْ قَصَّ أَحَدُهُمْ مِنْذُ أُسْبُوعٍ شَعْرَ رِجْلِي بَدَيْنُ فِي الْخَمْسِينَ مِنْ
عَمْرِهِ ، أَسْمَرَ اللَّوْنُ ، يَرْتَدِي مِعْطَفًا طَوِيلًا أَسْوَدَ ؟ . وَبَعْدَ أَنْ
طَرَقُوا أَبْوَابَ نَحْوِ ثَلَاثِينَ حَانُوتًا لِلْحَلَّاقَةِ ، قَالَ صَاحِبُ
الْحَانُوتِ الْأَخِيرِ : إِنَّهُ يَذْكُرُ ذَلِكَ ، وَأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ فُلَانُ .
فَذَهَبَ رِجَالُ الشَّرْطَةِ لِمُقَابَلَةِ الرَّجُلِ ، وَبَعْدَ تَحْقِيقَاتِهِمْ مَعَهُ
اعْتَرَفَ بِجَرِيمَتِهِ .

الناقشة :

- ١ - كيف يستطيع العلم أن يعرف القاتل ، إذا ترك بقعة دم
من دمه ، أو بضع شعرات من شعره ، بجانب القاتل ؟ .
- ٢ - ما دور اللاسلكي في تعقب الجناة ؟ .
- ٣ - ما أهمية فصائل الدم عند البحث عن الجناة ؟ .

١٤ - ولدى *

وَلَدِي أَنَامِلُكَ الطَّرِيَّةُ زَيْنَتُ عَشِيِّ بَرَفَةٍ طَائِرٍ مُتَنَقِّلٍ
وَيَكَادُ سَمْعِي مِنْ هَدْيِكَ (١) فِي الضُّحَى

يَنْدَى بِأَلْفِ خَمِيلَةٍ (٢) أَوْ جَدْوَلٍ
شَيْدَتَ لِي أَمَلًا أَعِيشُ بِظِلِّهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَصَفَ الزَّمَانُ بِمَاءِهِ لِي
كَالدَّوْحَةِ (٣) الْجَرْدَاءِ كُنْتُ فَأُورِقْتُ

أَغْصَانُهَا لَمَّا حَلَلْتُ بِمَنْزِلِي
وَلَدِي وَمَا أَحْلَى نِدَاءَكَ فِي فَمِي

وَجْهَهُ الرَّبِيعِ لَدَى النِّدَاءِ يَهْشُ لِي
تَغْفُو قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي مَهْدِ الْكَرَى (٤)

وَيَظَلُّ قَلْبِي كَالسَّرَاجِ الْمَشْعَلِ
فَلَرُبَّ حَلْمٍ كَالشِّتَاءِ مُقَطَّبِ

عَبَثْتُ أَنَامِلُهُ بِجَفْنِ مُسْبَلِ (٥)

(٥) للدكتور الشاعر : عارف قياصة .

(١) الهديل : صوت الحمام .

(٢) الخميعة : الشجر الضخم الكثيف .

(٣) الدوحة : الشجرة العظيمة .

(٤) الكرى : النعاس .

(٥) مسبل : مرنخى .

أَخْشَى عَلَيْكَ حَفِيفَ أَجْنَحَةِ الصَّبَا
وَشَدَا خُدُودِ الزُّنْبُقِ الْمُتَبَتِّلِ

وَلَوْ أَنَّيَ اسْتَطِيعُ حِفْظَكَ فِي دَمِي
لَفَتَحْتُ قَلْبِي ثُمَّ قُلْتُ لَكَ ادْخُلِي

يَا سَاكِبَ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ وَوَاهِبَ الْأَمَلِ الْعَظِيمِ
وَمَنْبَعِ الْجُودِ الْعَلِيِّ

يَا مُبْدِعَ الْوَتْرِ الْجَمِيلِ يَسِيلُ بِأُ
لَحْنِ الْكَّحِيلِ عَلَى لِسَانِ الْبُلْبُلِ

يَا كَاسِيًا زُغْبَ الطَّيُورِ وَمَانِحًا
غَضَّ الزُّهُورِ مَطَارِفًا مِنْ مُخْمَلِ

نَضْرُ بَيْتِنَاكَ السَّخِيَّةِ قَلْبَهُ
وَأَنْزِلْ لَهُ دَرْبَ الْحَيَاةِ وَذَلِّلْ



١٥ - التاجر الصادق

خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى سُوقِ النَّاسِ ،
فَرَأَاهُمْ يَتَسَاوَمُونَ وَيَتَبَايَعُونَ فَاسْتَمَعَ إِلَيْهِمْ ، وَرَأَى صُورَ تَبَايُعِهِمْ
وَأَصْنَافَ الْمَبِيعَاتِ ، فَقَالَ :

يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ ، يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ ، فَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ ، بَل
وَمَدُّوا أَبْصَارَهُمْ اسْتِجَابَةً لِنِدَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْصَاتًا
لِمَا يَقُولُ ، وَأَنْتَظَرًا لِمَا يُلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ إِرْشَادٍ وَتَعْلِيمٍ ، فَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ التَّجَارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا
إِلَّا مَنْ اتَّقَى وَبَرَ وَصَدَّقَ (١) » .

بِهَذَا نَصَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّجَارَ ، وَالتَّجَارُ لَهُمْ
بِأَصْلِ مِهْنَتِهِمْ مَكَانَةٌ ، عَظِيمَةٌ فَهَمْ يُحْصِلُونَ أَرْزَاقَهُمْ وَارزَاقَ
أَوْلَادِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ عَنْ طَرِيقٍ شَرِيفٍ ، وَحَسْبُهُمْ أَنْ الْقُرْآنَ جَعَلَ
التَّجَارَةَ ابْتِغَاءً مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَأَمَرَ بِهَا عَقِبَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ ،
وَقَرَنَ بِهَا ذِكْرَ اللَّهِ .

قَالَ تَعَالَى : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
وَابْتَغُوا (٢) مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

(١) اتقى الله : أى اتقى سخطه وغضبه فلم يظلم أحداً من خلقه ، (وبر)
أى لم يحنث فى يمينه إذا حلف (وصدق) فلم يكذب ولم يغش .

(٢) ابتغوا : اطلبوا .

وجزاء التجار ... إذا سلمت أيديهم وخلصت نياتهم ،
وصدقت ألسنتهم ... عند الله عظيم ، وقد صحَّ في الخبر :
« التاجر الصدوق يُحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء ».

ولكن من الناس من تدفعه محبة الربح والحرص على جمع
المال ، إلى اقتحام سبل تسقط منزلته عند الله ، وتجعل له في
نظر الناس كالحَيوانِ المُفترس الذي لا يتورع عن جيفة
ولا يأنف من خسيصة ، ومن هنا يدخل عليه الفجور ، وتُنزع
منه الثقة ، ويكون مآله الكساد ، ثم البوار (١) .

يلجأ بعض التجار إلى الغش في السلع المعروضة ، بإخفاء
عيوبها وإظهار محاسنها ، وقد مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم برجل
يبيع الطعام فأعجبه ظاهره ، فأدخل يده فيه فوجد به بللاً
فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء (٢) ،
فقال عليه الصلاة والسلام : (هَلَّا أَبْقَيْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى
يَرَاهُ النَّاسُ ! « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ») .

حملة تفتيشية على مواد التموين ، يقوم بها النبي محمد صلى
الله عليه وسلم من أربعة عشر قرناً ، ويضبط فيها الغش ، ويحقق
فيه ، ثم يُصدرُ حكمه العادل على الغاش فيُخرجه من جماعة

(١) البوار : الحلاك .

(٢) أصابته السماء : أى نزل عليه المطر .

المسلمين ، ويرى في ذلك أن الغش لواحد من المسلمين غش
لجماعتهم « من غشنا فليس منا » .

ويلجأ بعض التجار إلى نقص الكيل والميزان ، وهي
علة قديمة ، ينزع إليها بعض التجار في كل عصر وفي كل
مكان ، فهذا رسول الله شعيب يدعو قومه إلى عبادة الله ، ثم
يقول : « قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ : فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ،
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » « وَيَقَوْمِ
أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ .
وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » .

والتاجر الأمين لا يرسل من الإشاعات والأراجيف ما يخفي
به السعر الطبيعي ، ليحقق بذلك غرضه من زيادة السعر والكسب
بل يبيع سلعته بالسعر الطبيعي المتعارف بين الناس وفي
هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ جَلَبَ طَعَاماً فَبَاعَهُ
بِسَعْرِ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّهُ تَصَدَّقَ بِهِ » ، وفي رواية « فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ
رَقَبَةً » ، وكما لا يجوز اضطناع الأسعار وتزييف الأخبار
عنها ، لا يجوز كذلك « النجش » وهو المعروف بالمزايدة
العلنية المفتعلة ، يقيمها بعض التجار الغاشين إيهاماً للبسطاء
بأنها بضائع رخيصة بسبب الحجز عليها أو تصفيتها أو
مصادرتها أو ما يشبه ذلك ، وإيقاعاً لبعض الناس في حبال
المطامع وأشرار الخديعة ، وفي كل هذا غش للمسلمين وهو

أمرٌ نهانا الدين عنه ، ولأن هذا كله أكلٌ لأموال الناس بالباطل ،
وسرقةٌ خفيةٌ في ثوبِ المعاملة المبنية على النصح والأمانة .

ويلجأ بعض التجار إلى الترويج الكاذب وتأكيدِه بالأيمانِ
الفاجرة ، وهذا خِدَاعٌ ، وتسخيرٌ لاسمِ الله الكريم في الكذبِ
والخِدَاعِ والغشِّ ابْتِغَاءَ عَرَضٍ زائلٍ وربحٍ كاسدٍ ، وإيذاءً
لخلقِ الله في مُعاملةٍ هي ابْتِغَاءٌ من فَضْلِ الله ، وفي ذلك يقولُ
النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « اليَمِينُ الكاذِبَةُ منْفَقَةٌ للسلعةِ
مَمْحَقَةٌ لِلبركةِ » أي أنها تُرَوِّجُ السلعةَ فُتُبَاعُ بِثَمَنِ فاحشٍ ،
ولكنها تَنْزَعُ البركةَ وتُضَيِّعُهَا .

الناقشة :

- ١ - قام النبي صلى الله عليه وسلم بحملة تفتيشية في السوق ...
كيف تم ذلك ؟ وماذا قال عندما وجد تاجراً غشاشاً ؟
- ٢ - ما الأمور التي يجب توافرها في التاجر ؟
- ٣ - ما رأيك في الترويج الكاذب والتأكيد بالأيمان الفاجرة ؟
وماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ؟

١٦ - خديجة بنت خويلد

نشأت خديجة بنت خويلد في بيت ثري ، محبوبة من أبويها لذكائها وحسن تصرفها ، وكانت رائعة الجمال ، وبعد موت زوجها تفرغت لتجارتها ، فربحت ربحاً وافراً ، وكانت « خديجة » قد رأت في منامها حلماً ، فسره لها ابن عمها « ورقة بن نوفل » من أنها ستتزوج نبياً .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم معروفاً قبل النبوة بالطهارة ، والأمانة ، والصدق ، والرزانة ، فلم يعرف عنه عبث الصبيان ، ولا لهو الشبان ، ولم يسمع عنه في حياته هزرة ، ولا انقياد لشهوة ، وكانت هذه الصفات العظيمة ، وما إليها من الخلال الكريمة ، حافزاً قوياً للسيدة خديجة إلى أن تبعته في تجارة لها إلى الشام ، وأرسلت معه خادمها ميسرة ليقوم بخدمته فربحت التجارة ربحاً عظيماً وقص ميسرة على خديجة ما رآه في الرحلة من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأمانته وأن سحابة كانت تظله عليه الصلاة والسلام من حر الشمس ... وكانت خديجة قد رأت في منامها حلماً فسره لها ابن عمها ورقة ابن نوفل من أنها ستتزوج نبياً فدفعتها كل ذلك إلى أن تدعوه إلى الزواج منها مع امتناعها عن غيره من كبار قومها وقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الزواج المبارك .

وَعِنْدَمَا نَزَلَ « جِبْرِيلُ » عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَاعَاتِ النَّبُوءَةِ الْأُولَى فِي غَارِ حِرَاءَ ، أَقْرَأَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُقْرَأَهُ مِنْ آيَاتِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ ، وَالنَّبِيُّ جَالِسٌ وَحْدَهُ بَيْنَ شِعَابِ الْجَبَلِ ، لَا أَنْيَسَ وَلَا سَدِيرَ ، وَلَا مُعِينَ وَلَا نَصِيرَ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ . ثُمَّ انْصَرَفَ « جِبْرِيلُ » ، وَعَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى زَوْجِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ ، زَوْجَتِهِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ تَكْبِرُهُ سِنًّا ، فِي دَهْشٍ وَذُهُولٍ مِمَّا سَمِعَ وَرَأَى فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ قَالَتْ :

- أَيْنَ كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ ؟ لَقَدْ أُرْسِلْتُ كَثِيرِينَ لِيَلْبَحْثَ عِنْدِكَ .
قَصَّ عَلَيْهَا النَّبِيُّ كُلَّ مَا حَدَّثَ فَارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهَا ابْتِسَامَةٌ مُشْرِقَةٌ ، وَقَالَتْ :

- أَبَشِّرْ سَتَكُونُ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ .

وَانْطَلَقَتْ خَدِيجَةُ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا « وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ » ، وَكَانَ رَجُلًا عَلِيمًا ، نَافِذَ الْعِلْمِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَدَقَائِقِهَا وَأَخْبَارِ النَّبُوءَةِ الْأُولَى ، فَأَخْبَرَتْهُ خَبَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ وَرَقَةُ :

وَالَّذِي نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ ، لَسُنَّ صَدَقْتَنِي يَا خَدِيجَةُ ، لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ (١) الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى ، وَإِنَّهُ لَنَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَقُولِي لَهُ : فَلْيَثْبُتْ .

(١) النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ : جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَرَجَعَتْ خَدِيجَةٌ بِقَوْلِ وَرَقَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
تَحْمِيلُ الْبُشْرَى ، فَوَجَدَتْهُ نَائِمًا .

وعزَّ عليها أن تُوقِظَه ، فَجَلَسَتْ بِالْقُرْبِ مِنْهُ مُنْتَظِرَةٌ ،
تَكَادُ نَفْسُهَا تَذُوبُ مِنْ لَهْفَةٍ عَلَيْهِ وَحُبٍّ وَحَنَانٍ ، ثُمَّ إِذَا بِهِ
فَجَاءَ يَنْتَفِضُ مِنْ فِرَاشِهِ ، وَتَتَشَاوَلُ أَنْفَاسُهُ ، وَيَتَسَاقَطُ الْعَرَقُ
مِنْ جَبِينِهِ . وَظَلَّ عَلَى ذَلِكَ فَتْرَةً قَبْلَ أَنْ تُعَاوِدَهُ سَكِينَتُهُ ،
وَتَنْتَظِمَ أَنْفَاسُهُ ، وَيَبْدُو عَلَيْهِ كَأَنَّمَا يُضْغَى إِلَى مُحَدِّثٍ غَيْرِ
مَرْتِيٍّ ، ثُمَّ يَتَلَوُّ فِي بَطْنِهِ كَأَنَّهُ يَسْتَعِيدُ دَرَسًا أُلْقِيَ عَلَيْهِ .

« يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ .
وَالرُّجْزَ (١) فَاهْجُرْ . وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَسْتَكْثِرَ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ . »

وَتَلَقَّتْهُ « خَدِيجَةُ » مِنْ صَحْوِهِ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا ، وَحَدَّثَتْهُ
بِمَا سَمِعَتْ مِنْ « وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ » فَنَظَرَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - إِلَيْهَا مَلِيًّا نَظْرَةً تَفِيضُ شُكْرًا وَامْتِنَانًا ، ثُمَّ قَالَ :

« انْتَهَى يَا خَدِيجَةُ عَهْدُ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ ، فَقَدْ أَمَرَنِي
جَبْرِيْلُ أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى عِبَادَتِهِ ،
فَمَنْ ذَا أَدْعُو؟ وَمَنْ ذَا يَسْتَجِيبُ؟ فَهَتَفْتُ فِي لَهْفَةٍ وَإِيمَانٍ :

« أَنَا أَسْتَجِيبُ يَا مُحَمَّدُ ، فَادْعُنِي قَبْلَ أَنْ تَدْعُو أَيَّ
إِنْسَانٍ ، وَإِنِّي مُصَدِّقَةٌ بِرِسَالَتِكَ ، مُؤْمِنَةٌ بِرَبِّكَ . »

(١) الرجز : التدر - وسوسة الشيطان .

وَوَقَفَتْ خَدِيجَةٌ « الزَّوْجَةُ الْمُحِبَّةُ الْمُؤْمِنَةُ » إِلَى جَانِبِ
زَوْجِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُشَجِّعُهُ ، وَتَنْصُرُهُ ، وَتَشُدُّ أَرْزَهُ ،
وَتُعِينُهُ عَلَى احْتِمَالِ الْأَذَى وَالْاضْطِهَادِ ، وَلَمْ تَتَرَدَّدْ خَدِيجَةٌ فِي
الْخُرُوجِ مَعَ زَوْجِهَا ، وَقَامَتْ مَعَهُ تَتَّبِعُ خَطَوَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

وَأَقَامَتْ مَعَهُ وَمَعَ صَاحِبِهِ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ
سَنَوَاتٍ ، تَذُوقُ أَهْوَالَ الْحِصَارِ ، وَاللَّوَانَ الْاضْطِهَادِ ، رَاحَتْ
تُكَافِحُ الْوَهْنَ (١) الَّذِي أَخَذَ يَدْبُ إِلَى جَسَدِهَا مُنْذُ جَاوَزَتْ
السِّتِينَ ، مُتَشَبِّهَةً (٢) بِالْحَيَاةِ فِي نِضَالٍ رَائِعٍ ، لِكَيْ تَظَلَّ إِلَى
جَانِبِ رَجُلِهَا فِي مَعْرَكَةِ الْفَدَاةِ الَّتِي يُقَابِلُ فِيهَا جَبْرُوتَ الْوَثْنِيَّةِ
الْمُتَأَصِّلَةِ ، وَجُمُوعَ الْقُرَشِيِّينَ ذَوِي الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَالِ .

وَقَدْ فَشِلَ حِصَارُ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُسْلِمِينَ أَمَامَ إِيْمَانِهِمُ الْقَوِيُّ
الرَّاسِخُ .

عَادَ مُحَمَّدٌ وَصَحْبُهُ إِلَى مَكَّةَ ، فَتَحَامَلَتْ خَدِيجَةٌ حَتَّى بَلَغَتْ
فِرَاشَهَا ، وَقَدْ اسْتَنْفَدَ الْجِهَادُ مَا بَقِيَ عِنْدَهَا مِنْ قُوَّةٍ . وَرَقَدَتْ
هُنَاكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَزَوْجُهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
جَانِبِهَا ، لَا يُفَارِقُهَا لَحْظَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، ثُمَّ أَسْلَمَتْ
الرُّوحَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّجُلِ الَّذِي أَحَبَّهُ مِنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي
لَقِيَتْهُ فِيهِ ، وَالَّذِي صَدَّقَتْهُ ، وَأَمَنْتَ بِهِ مِنْذُ سَمِعْتَ بِرِسَالَتِهِ .

(١) الوهن : الضعف .

(٢) متشبهة : متعلقة .

١ - ما الذى رآه ميسرة وأثار عجبها فى رحلته إلى الشام مع
النبي صلى الله عليه وسلم ؟ .

٢ - وقفت السيدة خديجة موقفاً مشرفاً عندما أقامت مع
النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه ... فى شعب أبى طالب
ثلاث سنوات تذوق مرارة الحصار ، صف هذا الموقف .

٣ - عبر بأسلوبك عن معنى كل مما يأتى :

(أ) استنفد الجهاد ما بقى عندها من قوة .

(ب) تعاوده السكينة وتنتظم أنفاسه .

(ج) فى دهش وذهول .

(د) أسلمت الروح .

٤ - هات مرادفاً لكل كلمة من الكلمات الآتية :

الرجز - الوهن - الخلال الكريمة .

١٧ - عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد (١)

(لحافظ إبراهيم)

سئل رسول الله

سئل قاهر (٢) الفرس والرومان هل شفعت

له الفتوح ؟ وهل أغنت توأليها ؟

غزاً فأبلى (٣) وخيلُ الله قد عُقِدت
باليمن والفرج والنصر والبشرى نواصيها (٤)

ما واقع الروم إلا فر قارحها (٥)
ولا رمى الفرس إلا طاش راميتها

ولم يجز بلدة إلا سبغت بها
الله أكبر تدوى في نواحيها

عشرون موقعة (٦) مرت محجلة
من بعد عشر بنان الفتح يحصيتها

(١) كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين في فتح الشام ، فجاءه البريد ينعى أبا بكر ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ، وأنه أمر بعزل خالد ، وإسناد إمارة الجيش إلى أبي عبيدة بن الجراح . وكان وصول البريد إلى الشام والمسلمون على حصار دمشق . فكتم الأمر عن خالد حتى تمت الموقعة ، وقد قال عمر لخالد بعد عزله : « ما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افقتن الناس بك ، فخفت أن تفتن الناس » وبقي خالد إلى آخر أيامه مطيعاً لعمر ، وقبل موته أوصى بأولاده .

(٢) قاهر الفرس والرومان : أي خالد بن الوليد .

(٣) أبلى : اجتهد في الحرب .

(٤) نواصيها : جمع ناصية : مقدم الرأس .

(٥) قارحها : القوى المكتمل منهم .

(٦) محجلة : واضحة مشرقة بالانتصار . ومعنى البيت : أن خالداً ظفر في

ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح .

بِسَوْكِ قِيَادَتِهَا

ونخالدٌ - في سبيل الله - مُوقِدُهَا

يقاسى حرها

ونخالدٌ - في سبيل الله - صَالِيهَا (١)

أتاه أمرُ أبي حفص (٢) فَقَبَّلَهُ تَأْوِيلُهُ

كما يُقَبَّلُ آيَ الله تَالِيهَا

واستقبل العزلَ في إِبَانِ سَطْوَتِهِ

ومجده ، مُستريحَ النَّفْسِ هَادِيهَا

فَاعْجَبَ لِسَيِّدِ مَخْزُومِ (٣) وَفَارِسِهَا

يوم النِّزَالِ إذا نادى مَنَادِيهَا

يَقْوُدُهُ حَبْشِيٌّ (٤) في عِمَامَتِيهِ

وَلَا تُحَرِّكُ مَخْزُومٌ عَوَالِيهَا (٥)

ألقى الْقِيَادَ (٦) إلى الْجِرَّاحِ (٦) مُتَثَلًا

وَعِزَّةُ النَّفْسِ لَمْ تُجْرَحْ حَوَاشِيهَا

وَانْضَمَّ لِلْجُنْدِ يَمْشِي تَحْتَ رَايَتِهِ

وبالحياة - إذا مَالَتْ - يُفْدِيهَا

(١) صاليتها : يقاسى حرها وشدها .

(٢) أبو حفص : عمر بن الخطاب .

(٣) مخزوم : قبيلة خالد .

(٤) حبشي : هو بلال بن رباح ، وهو الذي نفذ أمر عمر في خالد بأن جره

من عمامته ووضعها في رقبتة ثم أرجعها إلى رأسه ثانية ؛ وقال « نطيع أمراءنا ونكرم ساداتنا » .

(٥) عواليها : رماحها ، كناية عن الثورة على عمر والانتصاف لخالد .

(٦) ألقى القيادة : الضمير يعود على خالد بن الوليد .

(٧) الجراح : هو أبو عبيدة بن الجراح .

رُفِيتَ فِي نَفْسِهِ

وما عَرَّتَهُ شَكْوَكُ فِي خَلِيفَتِهِ
ولا أَرْتَضَى إِمْرَةَ الجِراحِ تَمْوِيهَا (١)

فخالدُ كان يَدْرِي أَن صاحِبَهُ (٢)
قَدْ وَجَّهَ النَفْسَ نَحْوَ اللَّهِ تَوْجِيهاً

فَمَا يُعَالَجُ مِنْ قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ
إِلا أَرادَ بِهِ لِلناسِ تَرْفِيهاً (٣)

الناقشة :

١- كم موقعة لخالد ذكرها الشاعر؟ وليم ووصفت بأنها محجلة؟

٢- ما الذي دفع الخليفة عمر بن الخطاب إلى عزل خالد عندما تولى الخلافة؟

٣- كيف استقبل خالد أمر الخليفة؟

٤- وضح صفات عمر بن الخطاب التي ذكرها الشاعر في بيتيه الأخيرين . . .

- (١) تمويهاً : إظهار ما يخالف الباطن .
- (٢) صاحبه : أي عمر بن الخطاب .
- (٣) ترفيهاً : راحة ونعيماً .

١٨ - الرجل المهذب

يُمْكِنُ أَنْ تَعْرِفَ الرَّجُلَ الْمُهَذَّبَ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي لَا يُسَبِّبُ
آلِماً لِأَحَدٍ ، فَعَلَى أَيْ وَجْهِ قَلْبَتِ هَذَا التَّعْرِيفِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُ
تَعْرِيفاً جَامِعاً شَامِلاً .

إِنَّ أَوَّلَ مَا يَهْتَمُّ بِهِ الرَّجُلُ الْمُهَذَّبُ ، هُوَ إِزَالَةُ الْعُقَبَاتِ الَّتِي
تَعْتَرِضُ كُلَّ مَنْ يَعِيشُونَ حَوْلَهُ ، أَوْ يَتَّصِلُونَ بِهِ ، لِكَيْ تَسِيرَ
حَيَاتُهُمْ طَلِيقَةً فِي طَرِيقِهَا الْعَادِي .

نَرَاهُ يَتَجَنَّبُ كُلَّ تَعَارِضٍ وَصِدَامٍ فِي الْآرَاءِ وَالْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ ،
لَأَنَّهُ يَحْتَرِمُ آرَاءَ الْآخَرِينَ وَمَشَاعِرَهُمْ .

نَرَاهُ يَغْمُرُ زَمَلَاءَهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِهِ ، مَانِحاً إِيَّاهُمْ كُلَّ اِهْتِمَامِهِ .
نَرَاهُ رَقِيقاً مَعَ الْخَجُولِينَ ، وَدِيعاً مَعَ الْمُحِبِّينَ لِلْعَزَلَةِ ،
رَحِيماً مَعَ الْمُخْطِئِينَ .

نَرَاهُ لَا يُعِيرُ سَمْعَهُ إِلَى وِشَايَةِ وَاشٍ ، أَوْ قَوْلِ حَاقِدٍ ، وَنَرَاهُ
مُدَقِّقاً فِي مَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ الدَّافِعَةِ إِلَى تَصَرُّفَاتِ مَنْ يَعِيشُونَ حَوْلَهُ ،
مُفَسِّراً إِيَّاهَا عَلَى وَجْهِهَا الْحَسَنِ ، لَا عَلَى وَجْهِهَا السَّيِّئِ .

نَرَاهُ لَا يَتَحَدَّثُ عَنِ نَفْسِهِ إِلَّا لِحُضُورِ مَلْحَةٍ ، وَلَا يَشْعُرُ
عِنْدَ الْحَدِيثِ مَعَهُ بِسَأْمٍ أَوْ مَلَلٍ .

وَنَرَاهُ فِي مُنَازَعَاتِهِ لَا يُبْدِي خِسَّةً أَوْ فَظَاطَةً ، وَلَا يُخْطِئُ
فِي حَقِّ الْآخَرِينَ فِي أَثْنَاءِ مُنَاقَشَاتِهِ بِإِشَارَاتٍ مَشِينَةٍ ، أَوْ بِأَقْوَالٍ نَابِيَةٍ .

ونراه مُحترِماً للنظم والقوانين والتقاليد ، حتى ولو لم يكن في أعماقِ نفسه موافقاً عليها ، أو مُعتقداً بصحتها .
وبقدر ما نجدُه بسيطاً متواضعاً ، نجدُه فعّالاً مؤثراً ،
وبقدر ما نجدُ أقواله وأفعاله تَسيلُ إلى الإيجاز ، نجدُها فاصلةً وقاطعةً وواضحة .

المناقشة :

- ١ - ما سلوك الرجل المهذب عند حديثه مع الناس ؟
- ٢ - ما موقف الرجل المهذب من النظم والقوانين والتقاليد ؟
- ٣ - كيف يعامل الرجل المهذب زملاءه ؟

١٩ - الفارس المثلث

كانت نساء العرب يُسارعن ، إذا ما بدأت الحرب والقتال ، إلى مساعدة المجاهدين والمقاتلين ، فكانت كتائبهن تسير مع الجيش أو خلفه ، وتقوم بإعداد الطعام ومداواة الجرحى ، وحراسة المعسكر ... إذا ما خرج الرجال للنضال والقتال .

وذات مرة - بينما كان المحاربون العرب في صفوف القتال - تقدمت فرقة من جنود الروم نحو المعسكر الذي كانت تحرسه خولة بنت الأزور وبقية المجاهدات من النساء ، وراحت هذه الفرقة تحاصرهن حتى أصبحن في أسرٍ مُحقق .. عند ذلك راحت بنت الأزور تُثير حبيتهن وتُحرك شجاعتهن ، وهي تقول :

يا بناتِ العرب : أتقبلن لأنفسكن عارَ الرومِ وذُلَّهُم ؟!
أتقبلن أن يكون أولادكن عبيداً لأعدائكن ؟!

فصحن جميعاً في صوتٍ واحدٍ قائلات :

لن نقبلَ هذا الذلَّ ، وهذا العارَ ، يا بنتَ الأزور .

وعادت خولة تقول :

أين إذن شجاعتكن التي يتحدث بها الناس ؟ . . والله

يَابَنَاتِ الْعَرَبِ : الْقَتْلُ وَالْفَنَاءُ ، خَيْرٌ لَنَا مِنَ الْخُضُوعِ لِأَسْرِ
الرُّومِ وَذُلِّهِمْ .

فصاحت إحداهن تقول :

صَدَقْتَ وَاللَّهِ يَا بِنْتَ الْأَزُورِ . . . نَحْنُ وَاللَّهِ فِي الشَّجَاعَةِ كَمَا
ذَكَرْتُ ، وَلَكِنَّ غِيَابَ السَّيْفِ يَفْعَلُ فِعْلَهُ فِي النُّفُوسِ .

فصاحت بنتُ الأزور تقول :

يَابَنَاتِ الْعَرَبِ : أَحْمِلْنَ أَعْمِدَةَ الْخِيَامِ لِنُهَاجِمٍ بِهَا رِجَالَ
الرُّومِ ، فَلَعَلَّ اللَّهَ يَنْصُرُنَا ، فَتَسْتَرِيحُ مِنْ هَذَا الْعَارِ .

فصحن جديعا في صوتٍ واحد :

نَحْنُ طَوْعُ أَمْرِكِ يَا خَوْلَةَ ... هَيَّا بِنَا يَا بِنَاتِ الْعَرَبِ .
وَنَخَلَعُ هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدَاتُ أَعْمِدَةَ الْخِيَامِ ، وَاتَّجِهْنَ بِهَا فِي
قُوَّةٍ وَعِزْمٍ نَحْوِ جُنْدِ الرُّومِ الْمُحَاصِرِينَ لِهِنَّ .
وَجَعَلْنَ يَضْرِبْنَ بِأَعْمِدَتَيْهِنَّ فِي قُوَّةٍ وَعِزْمٍ وَبَأْسٍ ، وَبِنْتُ
الْأَزُورِ تَتَقَدَّمُ الصَّفُوفَ وَهِيَ تَصِيحُ فِيهِنَّ قَائِلَةٌ :

الموتُ أَفْضَلُ مِنْ ذُلِّ الْأَسْرِ وَعَارِهِ .

وبعد جولةٍ ، أو جولاتٍ ، كُتِبَ لِهِنَّ السَّلَامَةُ ، وَفَرَّ
جُنْدُ الْأَعْدَاءِ هَارِبِينَ ، فَلَحِقَتْ خَوْلَةٌ وَمِنْ مَعَهَا بِجَيْشِيهِنَّ
وهي تقولُ لقومها :

- كنا في موقف نختار فيه أحد أمرين ، إما أن نختار الموت مع الشرف والكرامة ، وإما أن نختار الحياة مع الذل والهوان ، فاخترنا الأول وقلنا :

- رَبِّ جَرِيءٍ كُتِبَتْ لَهُ السَّلَامَةُ ، وَرَبِّ جَبَانٍ لَقِيَ حَتْفَهُ (١) فِي مَكْمَنِهِ (٢) .

وكان لبنت الأزور موقفٌ أشدُّ من ذلك الموقف وأعظم ، فعندما أسر الروم أخاها ضرارا تنكرت في ثوب فارس ، وأخذت مكانها في صفوف المقاتلين المجاهدين .

وعندما اشتدَّ القتالُ ، شاهد المسلمون فارساً ملثماً ، يلقي بنفسه في صفوف الأعداء ، ثم يعود وسيفه ملطخ بالدماء ، ثم يعود فيكرُّ عليهم مرّةً أخرى ، فيقتل من يقتل . فصاحت جنود المسلمين تقول :

- مَنْ يَكُونُ هَذَا الْفَارِسُ الْمُلْتَمُّ ؟
فِيَجِيبُهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ :

- لَنْ يَكُونَ هَذَا إِلَّا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ .. سَيْفَ اللَّهِ الْمَسْلُوبِ (٣) .
ولكن سرعان ما شاهدوا خالداً بين الصفوف فسألوه :

(١) لقي حتفه : مات من غير قتال ولا ضرب .

(٢) مكمنه : مخبئه ، وهو المكان الذي يختفي فيه .

(٣) المسلول : المجرّد من غمده .

- دَنَ هَذَا الْفَارِسُ الْمُلْتَمُّ (١) يَا خَالِدَ ؟ .

فَأَجَابَهُمْ :

- وَاللَّهِ إِنِّي لِأَشَدُّ مِنْكُمْ إِعْجَابًا بِهِ وَبِشَجَاعَتِهِ .

فَقَالَ رَافِعُ بْنُ عُمَيْرَةَ :

- أَرَاهُ يَتَقَدَّمُ فِي شَجَاعَةٍ نَادِرَةٍ ، وَإِنَّهُ يَطْعَنُ يَمِينًا وَشِمَالًا ..

أَخْشَى أَنْ يَتَكَاثَرَ عَلَيْهِ الْأَعْدَاءُ فَيَفْتَكُوا بِهِ .

فَصَاحَ خَالِدٌ فِي جُنْدِهِ يَقُولُ :

احْمِلُوا حَمَلَةً قَوِيَةً مَعَ هَذَا الْفَارِسِ الْمُلْتَمِّ الشَّجَاعِ .

وَهَجَمَتْ جِيُوشُ الْعَرَبِ عَلَى جُنْدِ الرُّومِ هَجْمَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ

حَتَّى تَقَهَّقَرَ جَيْشُ الرُّومِ وَاخْتَلَّتْ كِتَابَتُهُ (٢) .

عِنْدَ ذَلِكَ . . تَقَدَّمَ رَافِعُ بْنُ عُمَيْرَةَ نَحْوَ هَذَا الْفَارِسِ

الْمُلْتَمِّ وَقَالَ نَزَرُ

- اللَّهُ دَرَكٌ مِنْ فَارِسٍ بَدَلَ مُهْجَتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَظْهَرَ

شَجَاعَتَهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، أَرْفَعَ نِقَابَكَ ^{الذَّامِ} وَاکْشَفَ لَنَا عَنْ اسْمِكَ ،

وَلَكِنَّ الْفَارِسَ لَمْ يُجِبْهُ ، فَزَادَهُ ذَلِكَ دَهْشًا وَحَيْرَةً .

وَلَمْ يَبْسُ رَافِعٌ فَعَادَ يَقُولُ لَهُ :

(١) الملتئم : المحجب .. الذي يضع النقب على بعض أجزاء الوجه .

(٢) كتابته : الفرق المحاربة .

- أَيُّهَا الْبَطَلُ الشَّجَاعُ أَخْبِرْنَا مِنْ أَنْتَ ، وَأَظْهِرْ لَنَا اسْمَكَ
تَزِدُّ تَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا ، وَلَكِنَّ هَذَا الْفَارِسُ الْمُلْتَمِّمَ بَقِيَ صَامِتًا
لَا يَتَكَلَّمُ ، فَاقْتَرَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْهُ وَقَالَ :

- وَيُحِكُ لَقَدْ شَغَلَتْ بِفَعْلِكَ هَذَا قَلْبِي وَقُلُوبَ الْجُنْدِ
جَمِيعِهِمْ ، أَرْفَعُ قِنَاعَكَ وَخَبِّرْنِي مَنْ أَنْتَ .

فَرَفَعَ الْفَارِسُ الْمُلْتَمِّمُ قِنَاعَهُ ، فَإِذَا الْجَمِيعُ فِي دَهْشٍ زَائِدٍ ..
يَا اللَّهُ ، إِنَّهَا فَتَاةٌ مِنْ فَتَيَاتِ الْعَرَبِ .
هَزَّتْ رَأْسَهَا وَقَالَتْ :

- فَتَاةٌ مِنْ فَتَيَاتِ الْعَرَبِ ، بِنْتُ الْأَزُورِ وَأُخْتُ ضَرَارِ .
فَصَاحَ خَالِدٌ قَائِلًا :



الْفَارِسُ الْمُلْتَمِّمُ « خَوْلَةُ بِنْتُ الْأَزُورِ » وَهِيَ عَائِدَةٌ بَعْدَ قِتَالِهَا مَعَ الرُّومِ فَوْقَ جَوَارِحِهَا

- بُورِكُ فَيْكِ يَا بِنْتَ الْأَزُورِ .

المناقشة :

١ - ماذا فعلت « خولة بنت الأزور » عندما وقعت في أسر الروم ؟ .

٢ - ماذا كان موقف خولة بنت الأزور عندما تنكرت في ثوب فارس ، وأخذت مكانها في صفوف المقاتلين ؟ .

٢٠ - الريف (*)

الريفُ أهدأُ حياةً وأهنأُ عيشةً ، والطبيعةُ تتجلى فيه في أبهى مظاهرها ، وأجل مناظرها ، والذين نشئوا في الريفِ : يحنون إليه ، وإلى أهله ، وإلى مزارعه . وهناك يجدون الروابط الوثيقة بين أهل الريف ، كما يجدون المعاملة المقرونة بالموَدَّة والصِّفاء ، وكان أهل القرية أسرةً واحدةً يتعاون أفرادها ، ويتبادلون عذب الحديث وشائق السمر .

وقد عبَّر الكاتبُ في القطعة التالية عن الريفِ ومآثره وجماله ، وعمَّا يشيعُ بين أهله من ودٍّ وإخاءٍ :

أدر كتنى سامةً (١) .. فزعتُ منها (٢) إلى الريف ، أرجو أن أجد بين مروجِه (٣) المنبسطة راحةً لصدري المنقبض .

إنا نحنُ الفلاحين أبناء الفلاحين - نبتنا في المزارع ، وحول جداول المياه ، لنستنشق الهواء طليقاً لا يحبسهُ شيء ، ونستقبل الشمس سافرةً (٤) ليس من دونها حجاب ، ونرى حيث سيرنا أهلاً وعشيرةً ، إذا مرض أحدُهم عُذناه ، وإذا مات شيَعناه ، وإذا مسه ضرٌّ مسنا ، وإذا غضب نهضنا معه غضاباً .

(*) للشيخ مصطفى عبد الرزاق : شيخ الأزهر سابقاً .

(١) السامة : الملل .

(٢) فزعت إلى الريف : التجأت إليه .

(٣) المرج : الموضع الذي ترعى فيه الدواب .

(٤) سافرة : لا يحجبها شيء .

نحن أسرة واحدة . . . وإن فرقتنا المنازل ، وإخوة
متقاربون . . . وإن ميز بيننا الفقر والغنى ، يحترم صغيرنا
كبيرنا ، ويعطف كبيرنا على صغيرنا .

لا جرم (١) أن كانت معيشة المُدُن تورثنا وحشة وضجراً (٢)
بما تُخرجنا عما نفهم من معاني الحياة ، وأكبر ما نفهم من
معاني الحياة : الحرية ، والروابط الاجتماعية القوية .

ولا جرم أنا نجد نشاطنا وراحتنا في هذه القرى الساذجة
العامرة بقوم طيبة قلوبهم ، خالية نفوسهم من شوائب (٣)
التكلف المدني ، في هذا الريف نحس أنس العائلة ، وعز
العشيرة ، ونذوق حلاوة النشاط المثمر في ظل الحرية الغالية .

أيتها الأرض المباركة : حيا الله رحابك (٤) الخصبة ،
فقد كانت أطيب مهد لعهد الطفولة ، وإن أكبر آمالنا أن
نعيش فيك إلى جنب قومنا الفلاحين ، سعداء بحريتنا ،
سعداء بأخلاقنا .

(١) لا جرم : حقاً .

(٢) الضجر : التبرم ، وعدم الرضا .

(٣) شوائب التكلف : يريد ما أدخل على العادات فأخرجها عن أصلتها .

(٤) الرحبة : الأرض الواسعة ، وجمعها رحاب .

الناقشة :

- ١ - تحدث عن الروابط الاجتماعية التي تربط بين سكان الريف كما تفهم من القطعة ؟ .
- ٢ - بين مظاهر الحرية في الريف كما أوردتها الكاتبة ؟ .
- ٣ - وصف الكاتبة أهل الريف بصفات . بينها واذكر أثرها في حياتهم .
- ٤ - لماذا وجد الكاتبة راحتها في الريف ؟ .
- ٥ - رأى الكاتبة رأيا في « أثر معيشة المدن » .
(أ) اذكر دليل الكاتبة على رأيه .
(ب) هل توافق الكاتبة على ما رأى ؟ ولماذا ؟ .

٢١ - عالم البحار

عَالَمُ الْبَحَارِ عَالَمٌ زَاخِرٌ بِأَحْيَاءِ وَكَائِنَاتٍ ، اِخْتَلَفَتْ أَجْنَاسُهَا
وَتَنَوَّعَتْ أَشْكَالُهَا ، وَتَبَايَنَتْ أَلْوَانُهَا ، وَتَعَدَّدَتْ مَظَاهِرُهَا .

إِنَّ التَّأَمُّلَ فِي غَرَابَةِ حَيَاتِهَا وَطِبَاعِهَا ، وَدَقَّةِ تَكْوِينِهَا :
مُتَعَةٌ لِلنَّفْسِ . . مَا بَعْدَهَا مُتَعَةٌ . وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ : فِيهَا الْبِرْهَانُ
السَّاطِعُ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ وَعَظَمَتِهِ .

وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَحْيَاءِ وَالْكَائِنَاتِ ، تُقَدِّمُ لِلإِنْسَانِ النِّفْعَ
الكَثِيرَ وَالْخَيْرَ الْعَمِيمَ .

وَتَتَأَثَّرُ الْحَيَاةُ فِي مِيَادِ الْبَحَارِ بِمَدَى عُمُقِهَا وَبُعْدِهَا عَنِ
سَطْحِ الْبَحْرِ ، وَبِمَدَى تَوَافُرِ الضُّوئِ ، فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْمِيَاءِ
الْقَرِيبَةِ مِنْ سَطْحِ الْبَحْرِ وَجَدْنَا فِيهَا الضُّوئَ مُتَوَافِرًا ، وَوَجَدْنَا
جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ حَيَوَانَاتِهَا مُثَبَّتًا فِي الْأَرْضِ كَالْحَيَوَانَاتِ
الْمَرْجَانِيَّةِ .

أَمَّا الْمِيَاءُ الْعَمِيقَةُ الْبَعِيدَةُ عَنِ سَطْحِ الْبَحْرِ فَتَجِدُهَا عَامِرَةً
بِحَيَوَانَاتٍ بَحْرِيَّةٍ ، بَعْضُهَا هَائِمٌ عَلَى وَجْهِهِ ، وَبَعْضُهَا قَادِرٌ
عَلَى السَّبَاحَةِ مَتَى أَرَادَ .

وَإِذَا انْتَقَلْنَا إِلَى مَنطِقَةِ الْأَعْمَاقِ ، وَجَدْنَا الْمِيَاءَ فِيهَا ثَابِتَةً ،
تَكَادُ لَا تَتَحَرَّكُ ، وَخَالِيَةً تَمَامًا مِنَ التِّيَّارَاتِ الْمَائِيَّةِ ، وَدَرَجَةُ
حَرَارَتِهَا مُنْخَفِضَةٌ ، وَعَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ طُولَ الْعَامِ ، أَمَّا قَاعُ

البحر فمُغَطِّي مادة هلامية ، حُبَيباتُها دقيقةٌ لا تحتمِلُ أيَّ ضغطٍ فوقها ... وأَيَّةُ مادةٍ تَسْقُطُ عليها تَغُورُ بين طَيَّاتِها .

وقاعُ البحرِ عديمُ الضَّوءِ ، عامرٌ بالحيواناتِ المفترسةِ والحيواناتِ التي تعيشُ على بقايا الطبقاتِ العليا ، وبه كثيرٌ من الحيواناتِ المُضيئةِ ، وبعضُ هذه الحيواناتِ . . أعمى ، وللبعضِ عيونٌ كبيرةٌ مرفوعةٌ على أعوادٍ ، ترى على أبعادٍ كبيرةٍ . والأسماكُ التي تعيشُ في منطقةِ الأعماقِ ، ذاتُ هياكلٍ خفيفةٍ ، أي أنها أخفُّ وزناً من هياكلِ الأسماكِ التي تعيشُ في المياهِ القريبةِ من السطحِ ، فهذه الهياكلُ تتكونُ من موادٍّ أخفِّ وزناً في العادةِ من المركَّباتِ الجيريةِ التي تُكوِّنُ هياكلَ وعظامَ الأسماكِ والحيواناتِ التي تعيشُ على مقربةٍ من سطحِ الماءِ . وقبل أن يهبطَ الغواصُّ إلى قاعِ البحرِ ، يلبسُ ملبسه الخاصَّةَ التي تتكونُ من سِترةٍ واحدةٍ ، مصنوعةٍ من المطاطِ ، يرتديها من الرقبةِ ، وللغواصِّ حِذاءانِ خفيفانِ مُناسبانِ ، وخوذةٌ تُوضعُ فوقَ رأسِهِ ، وتُثبتُ بإحكامٍ فوقَ الكَتيفينِ . وفي الخوذةِ فتحتانِ من الزجاجِ المَتينِ أمامَ العينينِ ، ليراقبَ منهما ما حوله من أسماكٍ وكائناتٍ .

وبعد أن يرتدي الغواصُّ لباسَهُ وخوذتَهُ وحِذاءَهُ ، ينزلُ إلى قاعِ البحرِ ، وعند ذلك . . لا يربطُهُ بالعالمِ الخارجِيٍّ غيرُ أنابيبِ الهواءِ التي تمدهُ بما يلزمه منه .

والغواصُّ الذي يَنْزِلُ إلى أعماقِ البحرِ . . دخیلٌ ، تمقته
 الأسماكُ الشريرةُ وكثيرٌ من حيواناتِ البحارِ ، فأسماكُ القرشِ
 القويةُ الأنيابِ ، الكبيرةُ الحجمِ ، تُهاجمُه بلا رحمة ،
 كما لا تترددُ في قطعِ الجبالِ المهتزةِ التي تربطُه بسفينتهِ
 التي نزلَ منها ، ولا يتأخرُ عن قضمِ أنابيبِ الهواءِ التي يتنفسُ
 بها . ولهذا كان عليه أن يدافعَ عن نفسه ، وعن أنابيبِ الهواءِ
 التي تحمِلُ له الحياةَ والبقاءَ .

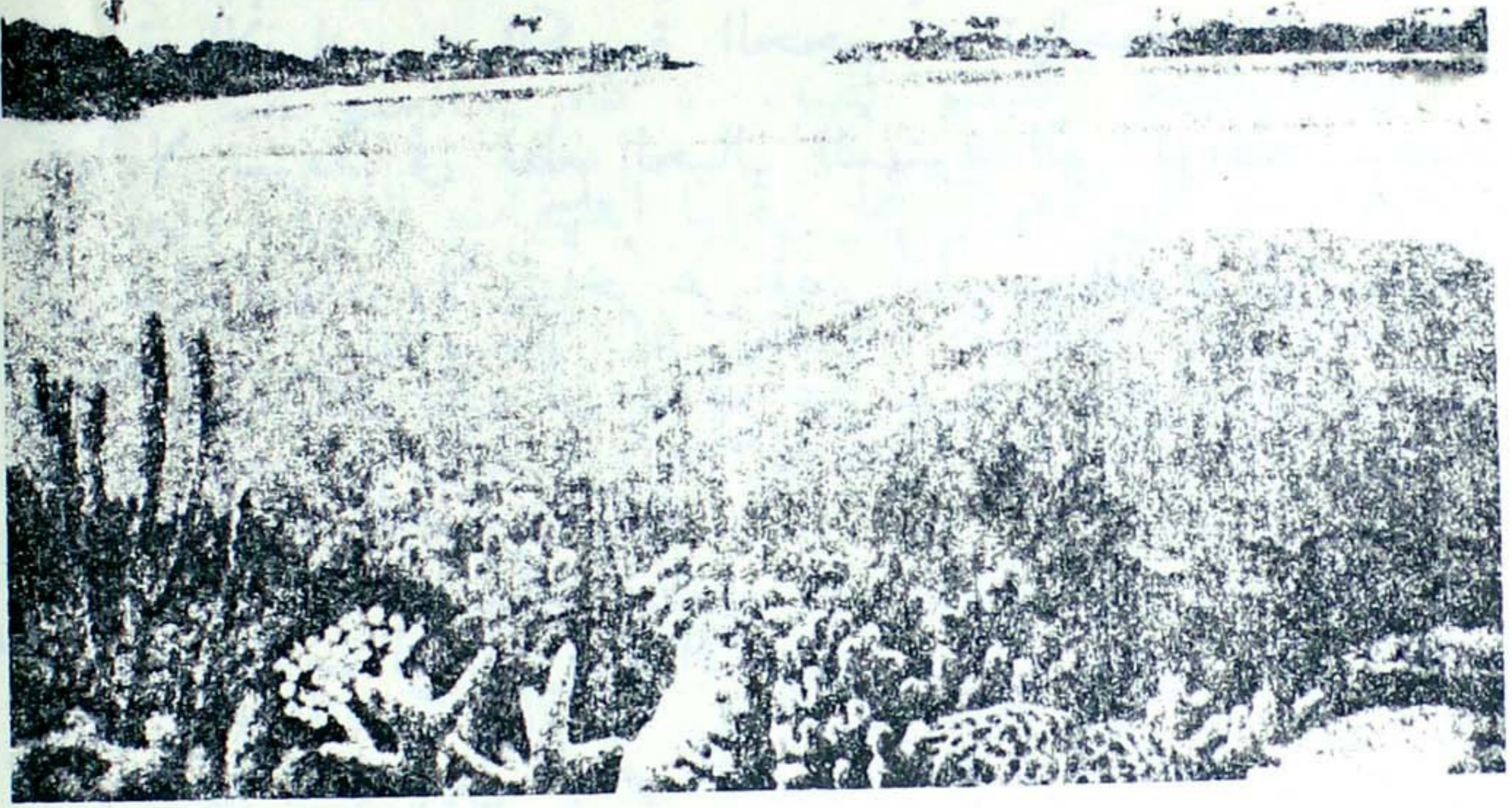
ومن الأسماكِ الشريرةِ الأخرى ، التي يجبُ على الغطاسِ
 أن يحذرَها : ثعابينُ البحرِ الكبيرة ، فسترةُ الغطاسِ المصنوعةُ
 من المطاطِ ، لا تحميه من هجماتها ، ومع أن ثعبان البحرِ
 ليس في ضخامةِ سمكِ القرشِ وقوته ، إلا أنه في إمكانه أن
 يقضمَ (١) ذراعَ الغطاسِ .

وهناك عدةُ قصصٍ مثيرةٍ عن المبارزاتِ التي دارت « بين
 الغطاسينِ وهذه الأسماكِ المتوحشةِ » تحت سطحِ الماءِ ، لم يكن
 النصرُ فيها دائماً حليفَ الغطاسينِ ، ولكن هذه هي الحال ،
 فأينما كان الخطرُ ، تبعه الإنسانُ ، وسار في ركابه .

ها هو ذا أحدُ الغواصينِ يقصُّ قصةَ صراعه (٢) مع أخطبوطٍ
 في قاعِ البحرِ فيقول :

(١) يقضم : يعض ويقطع .

(٢) صراع : كفاح ومقاومة .



« نزلتُ إلى قاعِ البحرِ ، وكان الماءُ صافياً ، فشعرتُ بأنني
أتعثرتُ في سيرى ... ظننتُ في بدايةِ الأمرِ أنني تعثرتُ في حبلِ
الغوصِ ، ولكن سرعانَ ما تنبّهتُ للحقيقةِ الدخيفةِ ، إنني
أمامَ أخطبوطٍ قوى ، وسرعانَ ما لقيتُ نفسي مُحاطاً بأذرعيهِ ،
وقد نهَضَ من القاعِ ليفتِكَ بي .

كان لا بُدَّ من عمَلِ حازمِ ، فاهتدَّتْ يَدِي - بحركةٍ
سريعةٍ - إلى صمامِ الهواءِ الداخلى ، وفتحتُهُ داخلَ ثيابي
المصنوعةِ من المطاطِ ، وسرعانَ ما انتفختُ كما ينتفخُ
البالونُ والمنطادُ ، ولكنني لم أصدعِ إلى سطحِ الماءِ ، كما كان
متوقِعاً (١) ، إذ أمسكَ بي هذا الأخطبوطُ .

(١) الشئ المتوقع : الشئ المنتظر حدوثه .

كافحتُ بقوةٍ كى أُصِلَ إلى سِكِّينى ، وشعرتُ بأنَّ عرقاً بارداً قد تصبَّبَ من جِسمى ، وما إنَّ أمسكتُ السِّكينَ ، حتى رُحْتُ أُعْمِلُ نَصلَها فى إحدَى أذرعِ هذا الأخطبوطِ لأَقطعَها ، ولكنَّ ألمه لم يزدْه إلا رغبةً فى القضاءِ علىّ ، فقد نهضَ من مكانه حتى أصبحَ فى مُستوى رُكبتى ... عندئذٍ سَقَطْتُ ، وكانت سَقَطَتى نَجَاتى ، إذ نزلتُ على جِسمِ لِينِ طَرى ، تَبَيَّنْتُ بعد لحظةٍ ، أَنه بَطْنُ هذا الأخطبوطِ .

وفى سُرعةٍ زائدةٍ دَفَعْتُ السِّكينَ فيه حتى مقبَضِها ، ثم انتزعتها وجذبتُ حَبْلَ الغوصِ ، فارتفعتُ إلى سطحِ الماءِ ، ولم أستردَّ أنفاسى ، إلا بعد أن رأيتُ نفسى فوق سطحِ الباخرةِ .

المناقشة :

- ١ - صف الحياة فى أعماق البحر .
- ٢ - صف لباس الغواص أو الغطاس الذى ينزل به إلى قاع البحر
- ٣ - ما الأضرار التى تحدثها أسماك القرش فى الغطاس وهو فى أعماق البحر ؟ .
- ٤ - ما الأضرار التى يتعرض لها الغطاس من شعابين البحر الكبيرة الحجم ؟ .

ولدى :

من العسير عليك ، وعلى الناشئين أمثالك ، أن تُدرِكوا
الظُّلْمَةَ التي تَسُودُ النفسَ ، عندما تتبدلُ الحياة من سَعَى ،
وجِدٍ ، وكَدْحٍ .. إلى خمولٍ وضعفٍ . ومن الصَّعب أن تُدرِكوا
شعورَ الآباءِ والأجدادِ عندما يروُنَ أبناءَ عشيرتِهِمْ يَمْضُونَ ،
الواحدَ في إثرِ الآخرِ ، وهم على قيد الحياة باقون . إن هذا
الإحساسَ لا يُدرِكُهُ إلا من كان واسطةَ العِقدِ وربَّ البيتِ ،
ثم تنحى (١) عن الصَّدارةِ فجأةً ليرقُبَ موكِبَ الحياة ، وهو
ينحدرُ نحو المغيبِ .

إنكم تُوفِّرون لأسلافِكُمْ (٢) مطالبَهُم المادية ، وكثيرون
منكم لا يُغفلون إرساكَ الهدايا ، وتقديمَ التهاني لهم في
الأعيادِ والمناسباتِ .. ولكننا ، معشرَ الشيوخِ ، لا نحتاجُ
إلى المادياتِ قدرَ حاجتنا إلى المعنوياتِ .

إن مرحلةَ الشيخوخةِ ، مرحلةٌ رهيبَةٌ موحِشةٌ مُعْتَمَةٌ ،
وما يُعوزنا فيها هو نفسُ ما أعوزكم في حدائِكُمْ .. ظلِ نَفْسِي
إليه وساعدُ نَتَكِيُّ عليها وحبُّ يتعهدُ قلوبنا بالسُّقيا وحنانُ
يَمَلأُ نُفوسنا بالأملِ ، فيُذِيبُ ذِكْرِيَّاتِ الماضيِ .

(١) تنحى عن الصدارة : ترك المركز الأول وتخلي عن الرياسة والقيادة .

(٢) أسلافكم : آباؤكم الذين تقدموا ومضوا .

إننا لسنا في حاجةٍ إلى الرّسميات العاطلة من العاطفة ، ولكن
إلى الحب الخالص المتفاني ، الذي يبدو زاهراً عميقاً في
الأيدي الحبيبة وهي تمتدُّ للعون ، وفي القلوب الرحيمة التي
تتمثلُ في كلمات رقيقة ، وعُيون متألّقة ، وثغورٍ باسمة ،
وأنتم تصحبوننا في نُزهةٍ أو في زيارة .

لا تُغضبوا - معشرَ الشباب - عيونكم عن كبار السن الذين
يُحيونَ غرباء في دنياكم ، وأشركوهم في حياتكم .. كما
أشركوكم بالأمس في حياتهم ، لقد كنتم يوماً حديلاً علينا ،
فلم نتبرم^(١) من حملهم ، ولم نُقصر في أداء الواجب .
« لقد أوصاكم الله بذوي القربى ، وحثكم على البرِّ بهم
والإحسان إليهم .. فهلا عملتم بوصية الله .. » .

الناقشة :

- ١ - في هذه الرسالة عتاب الآباء الشيوخ إلى الأبناء .. صور
هذا العتاب .
- ٢ - اشرح الآلام التي يشعر بها الآباء في شيخوختهم .
- ٣ - اذكر ما ينبغي على الابن الشاب أن يقدمه لوالده الشيخ .

(١) تبرم : نسأَم ونضجر .

٢٣ - النهضة الصناعية

تشهد المملكة العربية السعودية نهضة صناعية واسعة النطاق ، وقد استطاعت - بالرغم من حداثتها - أن تخطو خطوات موفقة إلى الأمام . وتولى الحكومة المملكة النهضة الصناعية اهتمامها وتشجيعها ، وتبذل في هذا السبيل الكثير من الجهد والتضحيات ، فمن إعفاء آلات الصناعة ومعدات الطباعة من رسوم الجمارك ، إلى منح الأراضي لإقامة المصانع بالمجان ، إلى كثير من التسهيلات والمساعدات الأخرى .

وقد أسهمت وزارة المعارف في تصنيع البلاد ، عن طريق نشر الوعي الصناعي بين الطلاب ، وافتتاح المدارس الصناعية في كبريات المدن بالمملكة ، حيث أخذت هذه المدارس تُخرج كل عام أفواجا من الصناع المهرة الذين يُسهمون بدورهم في تصنيع البلاد ، وكان من الطَّبعي أن تزدهر الصناعة في المملكة ، وتُسْتَجِيبَ مع كل هذه الظروف المشجعة ، وبخاصة بعد أن اتَّجَهَ الشبابُ وذوُّ الثروة من الأغنياء ، إلى التعاون في طريق إنشاء المصانع التي تسد حاجات البلاد وتحفظ ثرواتها ، وكانت ثمرة هذا التعاون مصانع كثيرة أخذت تعمل بكِدٍّ ونشاطٍ ، وتدور آلاتها حاملة معها تباشير نهضة صناعية عظيمة .

ومع هذه الجهود الفردية ، قامت الحكومة من جانبها بأكبر قسط في حركة التصنيع ، بتقديم المعونات المادية ،

والخبرات الفنية ، سواء أكان بتأمين الأراضي اللازمة لبناء المصانع بالمجان ، أم بإعفاء الآلات والأجهزة من الرسوم الجسركية ، أم بإنشاء عدد وافر من محطات القوى الكهربائية ، التي تمد المصانع بما يلزمها من طاقة ، تساعد الصناعة على السير بخطاً حثيثاً ، قوامها السرعة وخفض تكاليف الإنتاج .

وإذا ما ألقينا نظرة ثاقبة لِنَتَّبِعَ مراحل التطور الصناعي في المملكة ، فإننا نرى أن هناك صناعات يدوية تمثلها صناعات: الزجاج ، والذهب ، والجلود ، والفخار ، وقطع الأحجار والزخرفة ، والنقش ، وصناعة الأسلحة ، والتروس ، والسروج ، ومواد البناء ، والخوص (السعف) الذي تُصنع منه الحصر والزكائب ، وصناعة الأوعية المعدنية ، والفخارية ، وصناعة التطريز ، واستخراج اللؤلؤ ، وصناعة المسابح من العظم وخشب الشجر ، وهي صناعة دقيقة ، فيها فن وروعة .

وما زالت هذه الصناعات اليدوية تتطور بسرعة فائقة كتطور الحياة في المملكة وازدهارها ، ويتوجج الصناعات اليدوية صناعتا النسيج وبناء السفن الشراعية ، والعرب يجيدون النسيج ، ويتقنون صناعة السفن ، من قديم الزمان ، وما زالوا إلى اليوم .

وإلى جانب الصناعات اليدوية تقوم مصانع الأسمنت ، والجبس ، والصابون ، ودباغة الجلود ، ومصانع الذخيرة ..

التي تنتج ما يحتاج إليه جيش المملكة منها ، كما أُقيمت مصانع إصلاح السيارات ، وعمل البلاط ، والرخام ، والصاج ، والأكسيجين (١) ، ومصانع أثاث المنازل ، والكبريت ، واللدائن (البلاستيك) ، والحديد ، والصلب وفي السنوات الأخيرة بدأت تنتشر مصانع الأغذية : كمصانع الصلصة ، وعصير الطماطم ، والمعكرونة ، والبسكويتي .. الخ . وستكشف الأيام القريبة عن إقامة مصانع أخرى تُسدُّ حاجات البلاد من صناعات كانت تقومٌ باستيرادها من الخارج .

الناقشة :

- ١ - أسهمت الحكومة في تشجيع صناعة البلاد ، فما سبيلها إلى ذلك ؟
- ٢ - ما الجهود التي بذلتها وزارة المعارف في سبيل النهضة الصناعية ؟
- ٣ - ما الفائدة التي تعود على المملكة من التصنيع ؟
- ٤ - ماذا تعرف عن صناعة بلادك ؟

* * *

(١) هو غاز لا لون له ولا رائحة وهو ضروري للتنفس والاحتراق .

٢٤ - أشجار اقتصادية

يؤخذ الكاكاو من شجرة متوسطة الحجم ، ثمر طول العام ثماراً أشبه بالشمام الصغير ، وتحتوي بداخلها على حبوب كثيرة ، يتراوح عددها ما بين عشرين إلى أربعين حبة . وتنمو هذه الأشجار عادة في الأقطار الحارة الاستوائية ، كأقطار أمريكا الحارة ، وجزائر الهند الشرقية ، وبعض جهات إفريقيا الغربية .

وعند نضج الثمرة تقطع وتشق لإخراج ما بها من حبوب ، وتُنشر الحبوب بعد ذلك لتجف ، ثم تُحمص على نار هادئة ، ليكون مذاقها مقبولاً .

وفي النهاية تُطحن الحبوب ، فتصير مسحوقاً ناعماً كالبن ، يُعرف تجارياً باسم مسحوق الكاكاو .

ويُعبأ هذا المسحوق بعد ذلك في علب من الورق أو الصفيح ، توطئة لنقله إلى أقطار العالم المختلفة ، ومنه تُصنع الشيكولاتات اللذيذة الطعم ، وذلك بأن يُضاف اللبن والسكر إلى مسحوق الكاكاو ، بمقادير مناسبة ، ويوضع المخلوط على النار زمناً ما ، فيتحول إلى عجينة لينة تُصب في قوالب خاصة ويقوم بأكملها الصغار والكبار .

شجرة البلوط أو هسبريا
ومن الأشجار الاقتصادية تُذكر شجرة البلوط التي تنجح
زراعتها في المناطق الباردة أو شبه الباردة ، خصوصاً في
أسبانيا والبرتغال .

من هذه الأشجار يُؤخذ الفلين من محيطها الخارجي ،
عندما يصل قطرها خمسة عشر سنتيمتراً ، وعندما تكون قد
بلغت من العمر خمسة عشر عاماً .

ويُراعى عند نزع الفلين وجمعه من أشجاره ، أن يكون
بين كل جمعة وأخرى فترة من الزمن تبلغ عادة سبع سنوات
ويلاحظ دائماً أن أول جمعة من الفلين تكون رديئة الصفات ،
ولهذا لا تُستعمل إلا في صناعة الدباغة .

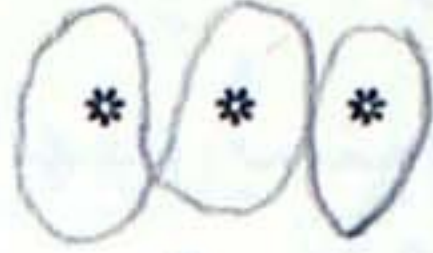
ويتم قطع الفلين عادة في أشهر الصيف بأيدي عمال
مدربين ، لأن آلات القطع ، لو نفذت إلى ألياف الجذع
الداخلية ، لوقف نمو الشجرة ، وإنتاج الفلين .

وبعد أن تُكشط طبقة الفلين ، تُترك في الهواء والشمس
حتى يتم جفافها ، ثم يُغلى بعد ذلك ليسهل ضغطه وحزمه .

ومن الفلين تُصنع سدادات القوارير ونحوها ، لقابليته
للضغط ، ولأن السوائل لا تنفذ منه ...

ويستخدم الفلين في قوارب النجاة ، لأنه يطفو فوق الماء ،
كما تجده في الأفران والثلاجات ، لمقاومة الحرارة والرطوبة ،

وتُتخذُ منه ألواحٌ مَضغُوطَةٌ تُستعملُ في المَبانيِ الحَديثِ
لِامتِصاصِ الصَّوتِ . وأحياناً يُستعملُ مَهروساً في تَعْبئةِ بَعْضِ
أَصنافِ الفاكهةِ في سِلَالِها .



ومن أكثر الأشجار انتشاراً في غاباتِ المناطقِ الحارة ،
شجرةُ جوزِ الهندِ التي تراها بكثرةٍ في جزرِ الهندِ الغربيةِ ،
وجزرِ الهندِ الشرقيةِ ، وبلادِ الفلبينِ ، والملايو ، وهذه الشجرةُ
تعلو في بعضِ الأحيانِ إلى مائةِ قَدَمٍ ، وينتهي ساقُها في العادةِ
بتاجٍ من الأوراقِ المروحيةِ الجميلةِ ، وتَحْمِلُ هذه الأشجارُ
ثَمَراً تَحْتَلِفُ كثيراً عن الثمارِ التي اعتدنا أن نراها نحن
مَعشَرَ الشَّرقيينِ في أسواقِنا المَحَلِّيَّةِ ، فالثمرةُ - وهي فوق
شجرتِها - ذاتُ غِلافٍ خارجيٍّ مُندمجٍ غيرِ مُنفذٍ للماءِ ، يليه ،
غِلافٌ آخَرُ وَسَطِيٌّ لِيَفِي هَشٌّ ، يَتَخَلَّلُه الهواءُ ، أما الغِلافُ
الداخِلِيُّ فهو غِلافٌ خَشَبِيٌّ صُلْبٌ يَضُمُّ قَلبَ الجوزةِ بما فيها
من عَصِيرِ لَبَنِيٍّ يُقالُ له « لَبَنُ جوزِ الهندِ » . أي أن ثَمَرَ
جوزِ الهندِ التي تراها في أسواقنا ما هي إلا لُبُّ الثمرةِ مُحاطاً
بِغِلافِها الداخِلِيِّ الصُّلبِ ، أما غِلافُها الخارجِيُّ المُنْدَمِجُ ،
وِغِلافُها الوَسَطِيُّ اللِيْفِيُّ ، فقد انْتزَعَا قَبْلَ أن تُرْسَلَ إلى أسواقنا .

ويصنعُ أهالي جزرِ الهندِ الشرقيةِ ، وجزرِ الهندِ الغربيةِ ،
وببلادِ الفلبينِ : من ثَمَارِ جوزِ الهندِ .. خُبزاً شَعْبِيّاً مَحْبُوباً ،

وَيَتَّخِذُونَ مِنْ لَبْنِهَا شَرَاباً سَائِغاً مُنْعِشاً ، وَكَثِيراً مَا يَعْمَدُونَ
إِلَى تَخْمِيرِ هَذَا الشَّرَابِ لِإِنْتاجِ نَوْعٍ مِنَ الخَلِّ .

أَمَّا لُبُّ الثَّمَرَةِ ، فَيَحْتَوِي عَلَى زَيْتٍ بِنِسْبَةِ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ
٣٠٪ وَ ٤٠٪ وَزَيْتُ جُوزِ الهِنْدِ يُسْتخدَمُ فِي صِنَاعَةِ الشَّمْعِ ، وَفِي
صِنَاعَةِ الصَّابُونِ ، وَفِي صِنَاعَةِ مَوَادِّ التَّجْمِيلِ ، كَمَا يُسْتخدَمُ
فِي صِنَاعَةِ الزَّبَدِ الصِّنَاعِيِّ .

أَمَّا أَهْلَى هَذِهِ البِلَادِ : فَيَسْتخدِمُونَ هَذَا الزَّيْتَ فِي الإِضَاءَةِ
وَالطَّهْيِ . وَمَا يَتَبَقَّى مِنَ اللَّبِّ بَعْدَ اسْتِخْرَاجِ الزَّيْتِ يُعْمَلُ مِنْهُ
كَسْبُ جُوزِ الهِنْدِ الَّذِي يُسْتخدَمُ فِي تَغْذِيَةِ المَاشِيَةِ ، وَلَا تُصَدَّرُ
مُنْتَجَاتُ جُوزِ الهِنْدِ فِي صُورَةِ ثِمَارٍ فَحَسَبٍ ، بَلْ يُبَشَّرُ لُبُّ
الثَّمَارِ ، وَيُعْبَأُ فِي صِنَادِيْقٍ ، تَوَطِّئُهُ لِتَوَازِيْعِهِ عَلَى بِلَادِ العَالَمِ ،
حَيْثُ يَدْخُلُ فِي صِنَاعَةِ الحَلْوَى .

أَمَّا أَلْيَافُ ثِمَارِ جُوزِ الهِنْدِ ، فَتُسْتخدَمُ فِي صِنَاعَةِ الحَبَالِ ،
كَمَا يُعْمَلُ مِنْهَا مَفْرُوشَاتٌ تُسْتَعْمَلُ فِي فَرِشِ المَمَرَّاتِ .

المناقشة :

- ١ - كيف نحصل على مسحوق الكاكاو ؟
- ٢ - أين توجد شجرة الفلين ؟ وشجرة جوز الهند ؟
- ٣ - صف شجرة الفلين ... ووضح كيف يجمع الفلين منها ؟
- ٤ - صف شجرة جوز الهند ، مع بيان أهمية ثمارها في عالم الصناعة .

٢٥ - المؤتمر الإسلامي

سرنى منظر ذلك الداعى الكريم وهو يطوى الغبراء طى
الكواكب الخضراء ، يقوده الأمل ، ويدفعه الرجاء ، وبين
جنبه همة عالية ، ونفس كبيرة ، وفؤاده فى الأفئدة ، كالنسر
فى الطيور ، يحلق فى جو الإسلام تحليق من يحاول أن يظلمه
بجناحيه .

سرنى منظره ، وإن لم أره وهو قائم بين جماعة المسلمين
يحاول أن يرأب صدعهم ، ويلم شعثهم ويجمع كلمتهم ،
ويؤلف بين قلوبهم ويدعو إلى دعوة النبوة الأولى على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام .

هنا ذكرت الإسلام ومجده ، والإسلام وجنده ، والإسلام
ودولته والإسلام وصولته ، وذكرت أبا بكر وهو يقاتل
أهل الردة ويقول : والله .. لو منعونى عقاب بعير لقاتلتهم
عليه ، وذكرت عمر وهو واقف فى المدينة فى حمارة القيظ ،
يستقبل شبحاً أسود يرفعه الال ويخفضه ، ويطويه الأديم الحجم
وينشره ، حتى اقترب منه فتبينه فإذا هو أعرابى قادم من
سواد العراق ، فجعل يسايره ، وهو راجل والأعرابى راكب
لا يعرفه ، ويسأله عمر ما فعل الله بسعد وجنده ، فيحدثه

نسخة بحانية
+ ١١٥ +
سعد بن أبي وقاص

بدر بن العرمم بطناً أخاه

القادم عن فتح القادية والمدائن ، وما أفاء الله به على المسلمين من عرش كسرى وذخائره ، وتراث مرازبته ودهاقينه ، وعمر لاه عن نفسه سروراً بما سمع ، وفرحاً بما تم ، وذكرت صلاح الدين وهو يقود الجحفل اللجيب ، والجيش العرمم ، إلى حيث يستنقذ الثغور ، ويستخلص الأمصار ، ويخوض جمرة الحرب المتأججة ليفتدي بنفسه أجساماً قبل أن تلتهمها النيران .

Mohammed

بالي هنا

وذكرت محمداً الفاتح ، وهو يلعب بكرة الأرض لعب الصبي بكرته ، ويخترق بسفائن البحر الرمال القفر ، حتى نزل بالقسطنطينية نزول القضاء من السماء ، وسجد في معبد أيا صوفيا سجدة الشكر لله على نعمته وحسن توفيقه .

M

حيد الرجمه الداخل

وذكرت ضفر قريش وقد طار من الشرق إلى الغرب ، فأنشأ وحده دولة خضعت لها إفريقية وبعض أوروبا . وذكرت مع أبطال الحرب أبطال السلام ، فذكرت عمر ابن عبد العزيز وعذله ، والمأمون وفضله ، والغزالي وحكيمته ، وابن رشد وفلسفته ، ومعاوية وسياسته ، وعبد الملك وكياسته . وذكرت مدارس بغداد ، وبخارى ، والإسكندرية ، والقاهرة ، وغرناطة ، وأشبيلية ، وقرطبة . وذكرت مترجمي كتب : أقليدس ، وبطليموس ، وأرسطو ، وواضعي علوم : الجبر ، والمقابلة ، والكيمياء ؛ وذكرت مخترعي البندول والبوصلة

التي هنا

أحمد بن ماجه

« بيت الإبرة » ، والساعة الدقاقة التي أهداها الرشيد إلى شارلمان
ملك فرنسا ، ففزع منها سامعوها فزعاً شديداً ، وسموها شيطاناً
رجيماً ، أو آلة سحرية ، أو مكيدة عربية ، إلى كثير من
أمثال هذه الآثار العربية ، والمفاخر الإسلامية .

إن أراد المصلحون لأنفسهم نجاحاً ، والإسلام صلاحاً ،
فليبدؤوا عملهم بتربية النشء الحديث تربية إسلامية ،
لا تربية مادية ، أي أنهم يدخلون إلى الإصلاح من باب الدين
لا من باب الفلسفة ، حتى يجمعوا للمسلمين بين صلاح حالهم
ومالهم ، ودنياهم وآخرتهم ، وحتى يكون الدين هو الزاجر
والمؤدب ، والمعلم والمهذب . والإسلام .. وإن كان دين العقل
والفطرة ، والتهذيب والإصلاح ، إلا أن الخطر - كل الخطر
على المسلمين - أن يكون في نظرهم تابعاً للعقل ، وأن يكون
العقل هو الحكم بينهم وبينه ، والخير كل الخير في أن يكون
الدين حاكماً ، والعقل مفسراً ومبيناً . فإذا تم ذلك للمصلحين
بالرفق والأناة ، والحكمة والسياسة ، فقد تم لهم كل شيء ،
وتم لهم - أي للمسلمين - ما يريدونه من الجامعتين :
الدينية والسياسية ، كما تم لهم ذلك في العهد الأول من هذا
الباب نفسه ، وفي هذه الجادة المستقيمة .

فهل يستطيع دعاة الإصلاح أن يخلصوا لله في عملهم
جادين مثابرين ، لا تأخذهم فيه هواة ، ولا عنه سنة ،

وَأَلَّا يَرَى أَحَدَهُمْ لِنَفْسِهِ عَلَىٰ أَخِيهِ فَضْلًا إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ ،
وَأَن يَرَى كُلٌّ مِنْهُمْ نَفْسَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَتَحَمَّلُ
الْأَذَى ، وَيَسْتَسْهَلُ الْوَعْرَ ، وَيَحْتَمِلُ الْكُرِيهَةَ ، وَلَا يَجْعَلُ
لِلْيَأْسِ إِلَىٰ قَلْبِهِ سَبِيلًا ، وَلَا لِلْهَوَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ سُلْطَانًا .

هل يستطيع المصلحون أن يكونوا كذلك ، ليصلحوا في
الآخرين ما أصلح المصلحون في الأولين ؟ .

الناقشة :

- ١ - لم كان سرور الكاتب لقدم الرجل المصلح ؟ .
- ٢ - علام يدل استشهاد الكاتب بقيادة الإسلام العظام ؟
- ٣ - ما طرق الإصلاح التي وضعها الكاتب لتربية النشء
تربوية إسلامية ؟ .
- ٤ - لم نود بأن الدين هو المعلم والزاجر والمؤدب ؟ .

٢٦ - القراءة

نقرأ ، لأن في القراءة مُتعةً للنفس ، وغذاءً للعقل .
ونقرأ ، لأن في القراءة إزالةً لفوارق الزمان والمكان ، فنعيش
في أعمار الناس جميعاً ، ونعيش معهم أينما كانوا وأينما ذهبوا .
نقرأ ، لأن في القراءة ينابيع صافية لخبرة كلِّ مُجرب ،
تفيض بالهدى (١) والنصح والتوجيه .

نقرأ ، لأن في القراءة سياحة العقل البشري بين رياض
الحاضر وأطلال الماضي (٢) .

نقرأ ، لأن القراءة تنقلنا من عالم ضيق محدود الأفق ،
إلى عالم آخر أوسع أفقاً ، وأبعد غاية .

القراءة لا تعترف بالفواصل الزمنية ، ولا بالحدود
الجغرافية ، ولا بالفوارق الاجتماعية ، فيستطيع القارئ أن
يعيش في كلِّ العصور ، وفي كلِّ الممالك والأمصار والأقطار ،
فسيرة العظماء وأعمالهم التي استغرقت الأعوام الطوال ، في أماكن
نائية ، يُمكن عرضها في كتاب في ساعات ، وكأننا نعيش في

(١) الهدى : الرشاد والمعرفة .

(٢) أطلال الماضي : آثاره وبقاياها .

هذه الأماكن البعيدة ، بين أهلها وربوعها (١) ، نسمعهم ونتحدث إليهم ، وكأن هذه الأعوام الطوال قد أصبحت لحظات قصيرة من لحظات حياتنا .

ونقرأ تاريخ الشعوب بما فيه من سلمٍ وحرب ، وبدأوة وحضارة ، وكأننا لهذا السلم مشاركون ، ولهذه الحروب معاصرون ، وكأننا في هذه الحضارة أو البدأوة مسهمون .

ونقرأ وصف الرحلات في مختلف أنحاء الأرض ، فيحملنا الكاتب إلى قمم الجبال ، ثم ينزل بنا إلى أعماق الوديان . يسير بنا بين المروج الخضراء ، ثم ينتقل بنا فجأة إلى الصحارى الجذباء ، وكأننا رفاقه ، لا يفصلنا طول الزمان ، ولا يحول بيننا وبينه بُعد المكان .

ونحن بالقراءة نستطيع أن نخلق مع الكتاب والعلماء والمفكرين صداقة نحس فضلها ونشعر بوجودها . وهذه الصداقة تأخذ طابعاً (٢) خاصاً ، فالقارئ أخذ من صديقه المؤلف أحسن وأجمل ما عنده ، لأن المؤلف لا يكتب في كتابه إلا كل ما فيه فائدة أو خبرة أو نفع أو توجيه ، في حين أننا في صداقتنا العادية مكلفون - ولا حيلة لنا في ذلك - أن نسمع من

(١) ربوع : ديار ومنازل .

(٢) طابعاً خاصاً : أى صورة مميزة أو شكلاً مميزاً .

أصدقائنا الذين نعيش معهم الطَّريفَ والسَّخيفَ ، والجميلَ
والقبيحَ ، والنافعَ والفسادَ . . من أفكارهم وتخيُّلاتهم دون
استثناء ، فكأنَّ القراءةَ تَخْلُقُ نوعاً من الصداقةِ أعلى قيمةً من
صداقتنا العادية .

المناقشة :

- ١ - القراءة لا تعترف بالفواصل الزمنية ، ولا بالحدود
الجغرافية ولا بالفوارق الاجتماعية ... اشرح هذه العبارة .
- ٢ - نستطيع بالقراءة أن نخلق مع الكتاب والمؤلفين صداقة
فكرية ... وازن بين صداقة هؤلاء وصداقاتنا العادية .
- ٣ - اذكر ما تحقَّقه قراءة كتب الرحلات من متعة .

٢٧ - الألوان وأثرها في النفس

لا يَقِفُ تأثيرُ الألوانِ على إمتاعِ البصرِ ، وراحةِ النفسِ ، ورياضةِ الذوقِ ، بل يمتدُّ إلى ما هو أبعدُ من ذلك ، فلِلألوانِ سلطانها الشاملُ على النفوسِ والطبائعِ والأمزجةِ .

وفي مقدورِ رجالِ الأعمالِ في دنيا التجارة والصناعة ، استغلالُ قوةِ التأثيرِ الكامنةِ في الألوانِ ؛ لزيادةِ الإنتاجِ وبيعِهِ على أوسعِ نطاقِ .

لقد أدرك علماء النفسِ من أبحاثهم ، أن الحرارة ليست شيئاً مادياً فَحَسَبِ ، بل هي شيءٌ نَفْسِيٌّ ، يرتبطُ بمزاجنا وأحاسيسنا ، وعلى ذلك : أصبح استخدامُ الألوانِ المناسبةِ في المنازل ، والمصانع ، والمكاتبِ . . أمراً له أهميته ، في ضمانِ الشعورِ بالدَّفءِ في الوقتِ المناسبِ ، وقد ثبت أن من الألوانِ ما يُوحى بالشعورِ بالدَّفءِ ، كاللونِ الأحمرِ ومُشتقاته ، ومنها ما يُوحى بعكسِ ذلك كاللونِ الأبيضِ والأزرقِ .

وقد نلاحظ في أحدِ المصانعِ سَأَمَ العمالِ وتعبَهُم ومَلَلَهُم في الساعاتِ الأخيرةِ من اليومِ ، مع كثرةِ ما يكسرون من أدواتِ ، ولما نَفَّذت إدارةُ المصنعِ نصيحةَ خبراءِ الألوانِ ، فغَيَّرُوا لَوْنَ الجُدرانِ والمناضدِ من اللونِ البُنِّيِّ إلى اللونِ الأزرقِ السَّمَاوِيِّ ، قَلَّتْ حوادثُ الكَسْرِ ، وارتفعت أرقامُ الإنتاجِ .

وفي حانوتٍ لبيعِ الأحذية ، قَلَّتِ المَبِيعَاتُ حينَ فُرِشتْ
 في أرضِ الحانوتِ سَجَادَةٌ جَدِيدَةٌ ، تَزِينُهَا رُسُومٌ صَارِخَةٌ حَمْرَاءُ ،
 وكان من حُسْنِ حَظِّ التاجرِ أن زارَ الحانوتَ أَحَدُ مُنَظِّمِي الزِينَةِ ،
 الذين يترددون عليه ، فلاحظَ أن المُشْتَرِينَ تَنصَرِفُ أَنظَارُهُمْ
 عن شَكْلِ الحِذاءِ وَلَوْنِهِ ، إلى شَكْلِ السَجَادَةِ وَلَوْنِهَا المُتَمَيِّزِ
 الصارخِ ، فَأشارَ بِأَن تُسْتَبَدَلَ بِهَا سَجَادَةٌ أُخْرَى ، ذاتُ لَوْنِ
 رماديٍّ أَزْرَقٍ ، لا يَجْتَذِبُ انْتِبَاهَ الحُرَفَاءِ إِلَيْهِ ، وبِاتِّبَاعِ هذه
 النصيحةِ زادتِ المَبِيعَاتُ .

وفي مَتَجَرٍ لِلحومِ بِمَدِينَةِ شِيكاغُو ، انخَفَضَتِ المَبِيعَاتُ
 بعدَ دَهْنِ جُدْرانِهِ وَسَتْفِهِ بِاللَّوْنِ الأَصْفَرِ ، ولم يَدْرِكْ صَاحِبُ
 المَتَجَرِ أَنَّ اللَوْنَ الأَصْفَرَ ، كانَ يُوحِي لَزبائِنِهِ بِأَن اللَحمَ
 فاسدٌ ، حتى نَبَّهَهُ أَحَدُ خُبْرَاءِ الأَلْوَانِ إلى ذلكَ ، فلما أُعِيدَ
 دِهَانُ الجُدْرانِ من جَدِيدٍ بِاللَّوْنِ الأَزْرَقِ الخَفِيفِ ، بَدَتِ اللَحمُ
 أَشَدَّ حُمْرَةً مِنَ المَعْتَادِ ، وبَدَتِ العِظَامُ أَكْثَرَ بَيَاضاً مِمَّا كانتَ ،
 فكانتِ بِذلكَ مَوْضِعَ إعْجابِ الناسِ ، فعادَ لذلكَ المَتَجَرِ
 نَشِاطُهُ السابِقُ .

ومن قُوَّةِ تَأثيرِ الأَلْوَانِ ، نَذَكُرُ ما حَدَثَ في أَحَدِ الفِئادِقِ
 بِأَمْرِيكَةِ ، فقد اجتمعَ الضيُوفُ حَوْلَ مائدةِ العِشاءِ ، حيثَ
 كانتِ مَمْلُوءَةً بِأَحْسَنِ الأَطْعَمَةِ وَأَجْمَلِهَا شَكْلاً وَلَوْناً ، وَفَجْأَةً
 - في أَثناءِ تَنَاوُلِ الطَعَامِ - تَغَيَّرَ لَوْنُ المِصَابِيحِ وَراحَتِ تُشعُّ

أضواء غريبة ، فأصبح لون الخضراوات قبيحاً ، وأضحت شرائح اللحم خضراء اللون ، وتحوّل لون اللبن دماً ، وبدت السلطة في لونٍ بغيض ، ولم تمض فترة قصيرة حتى هجر الجميع المائدة بسبب هذه الألوان المنفرة ، وخسر الفندق - بسبب هذا الحادث - الكثير من زبائنه .

وفي لندن كثرت حوادث الانتحار من فوق أحد الجسور المُقامة على نهر التيمز ، وكان مدهوناً بطلاءٍ أسود اللون ، وعندما أُعيد دهانه بلون أخضر قُلت حوادث الانتحار ، مما يدلُّ على أن هناك ألواناً تُخفف من حِدَّة الغضب والانفعال .

الناقشة :

١ - من الألوان ما يوحى بالشعور بالدفء ، ومنها ما يوحى بعكس ذلك . فسر هذه العبارة .

٢ - بماذا نضج خبراء الألوان متجر اللحوم بشيكاغو ؟

٣ - اضرب بعض الأمثال الواقعية التي جاء ذكرها في هذا الموضوع تبين تأثير الألوان في دنيا الصناعة والتجارة .

٢٨ - احترام المرأة العربية

النسبة المرأة في الجاهلية

كان تقدير الرجل للمرأة في الجاهلية تقديراً محصوراً في أوضاع خاصة ، تتصلُّ كلها بالتقاليد والعاطفة والنِّعرات القبليَّة . كانوا ينظرون إلى أمهاتهم نظرة تقدير واحترام ، وكانت المرأة كأم ... موضع إجلال وطاعة من كل بنيها ، هذا ... مع عطف ، وحب من الآباء لبَنَاتِهِمْ إذا ما اشتدَّت ^{أولادها} ^{كلمت} عودهن ، مع استشارتهن أحياناً في أمور تتعلق بحياتهن وزواجهن ، ولكن المجتمع الجاهلي كان خلوّاً من نظرة تقدير شامل للمرأة في كلِّ حيٍّ وفي كلِّ قبيلة ، اللهم إلا إذا استثنينا هذا الإجماع العام الذي يخلع على الأم المنجبة للرجال ثوباً من التقدير الخاص . وفي الوقت نفسه : كانت بعض القبائل تنظر إلى المرأة نظرة ضعف واحتقار ، إلى حدٍّ أنهم مارسوا عادة وأد البنات ولم يكن وأد البنات عاماً في قبائل العرب ، بل كان منحصراً في بعض بني تميم وقبائل قليلة أخرى ، إذ ظهر ^{في تميم} ^{النسب} فيهم لسبب ظراً عليهم .

كانوا يؤدون الإتاوة (١) إلى النعمان ملك الحيرة ، فسنعوها سنة من السنين ، فجرد عليهم النعمان كتائبه ، وساق أنعامهم ،

(١) الإتاوة : الجزية .

وسبى ذراريهم ، فعظم ذلك على التميميين ، فوفدوا عليه يطلبون أهلهم وأموالهم ، فأبى ، فقالوا أعطنا النساء « فقال : إننا نخيرهن في الذهاب أو البقاء » . وأعلن أن كل امرأة - إن اختارت أباهم ردت إليه ، وإن اختارت صاحبها تركت له ، فكل واحدة منهن اختارت أباهم ، إلا ابنة قيس بن عاصم ، كانت قد أحببت عمرو بن الشمروخ ، فاختارت البقاء عنده ، فغضب قيس ، ونذر ألا تولد له ابنة إلا قتلها ، وربما اقتدى به بعض أهله أو أهل قبيلته ، وكان بعض العرب لا يزوج بناته ، وأشهرهم ذو الإصبع العدواني ، فكانت له أربع بنات منعهن الزواج وهن يرذنه ، في حديث طويل ذكره المبرد (١) .

وبجانب هذه العادة المرذولة ، كانت بعض القبائل تمارس عادة مستهجنة ، وهي حرمان المرأة الميراث .

وبالجملة فقد بقيت المرأة العربية في الجاهلية بعيدة كل البعد عن مجالس الأدب والأدباء والعلم والعلماء ، وعن مضمات السياسة ، والاشتراك في الإدارة والحكم ، وعن ميادين القتال والجهاد إلا نادراً . ولما جاء نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بدعوته ورسالته المجيدة تبدل الحال غير الحال . لقد

مطالبة المرأة
تخلو البيت

(١) كتاب الكامل للمبرد ص ٢٧٨ .

وَجَدتِ الْمَرْأَةُ فِي هَذَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِرْعًا حَامِيًا ،
وَسِنْدًا قَوِيًّا ، يَدْفَعُ عَنْ حُقُوقِهَا ، وَيَحْمِي حُرِّيَّاتِهَا ، فَإِذَا هِيَ
تَشْتَرِكُ فِي الْجِيُوشِ الْمُجَاهِدَةِ ، وَإِذَا بَرَأَيْهَا مَوْضِعُ الْإِجْلَالِ
وَالْتَّقْدِيرِ عِنْدَ الْوَلَاةِ وَالْحُكَّامِ وَالْخُلَفَاءِ .

أَكْرَمَ النِّسَاءِ

جَاءَ هَذَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ لِلنَّاسِ : (خِيَارُكُمْ
خِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ) .

وَجَاءَ يَقُولُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ :

« مَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إِلَّا كَرِيمٌ ، وَلَا أَهَانُهُنَّ إِلَّا لَيْئِمٌ » .

وَجَاءَ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« الْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا ، وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا » .

لَقَدْ نَادَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَقِّ الْمَرْأَةِ الْمُتَزَوِّجَةِ
فِي مُمَارَسَةِ حُقُوقِهَا الْمَدْنِيَّةِ ، فَلَهَا أَنْ تُدِيرَ بِنَفْسِهَا شُؤْنَهَا
وَمُتْلَكَاتِهَا مُسْتَقْلَةً بِذَلِكَ عَنْ زَوْجِهَا مَتَى أَرَادَتْ .

وَأَجَّازَ لَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْاِشْتِغَالَ بِالتَّجَارَةِ
وَالصَّنَاعَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ مَنَعُهَا مِنْ ذَلِكَ ، خُصُوصًا
إِذَا كَانَ الْغَرَضُ مُسَاعَدَتَهُ ، وَقَدْ كَانَتْ تَخْتَارُ مِنَ الصَّنَاعَاتِ
النَّسِجَ وَالتَّطْرِيزَ ، وَمِنَ التَّجَارَةِ السَّلْعَ الْخَاصَّةَ بِالنِّسَاءِ .

نسخة مجسدة

كانت « أسماء بنت مخرمة » تبيعُ العُطور ، وكان بالمدينة امرأةٌ عَطَّارةٌ تُسَمَّى « حولاء بنت ثويب » .

وكذلك باشرت السيداتُ « المتقدِّماتُ في السن » التجارة في مُختلفِ السُّلع ، فقد تقدَّمت « فيلة الأنمارية » إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستفتيه في أنها تُساومُ في الشراء حتى تصل إلى الثمن الذي حدَّته فتشترى ، وكذلك في البيع ، فنهاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، مُوجِّها إياها إلى الشراء بالثمن الذي تريده والبيع بالثمن الذي تُحدِّده دون مُساومة .

ووفدت « أسماء بنت يزيد الأنصارية » على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه ، فقالت :

بأبي وأُمِّي يا رسولَ الله ، أنا وافدةُ النساءِ إليك . وأعلمُ -
نفسِي لك الفداء - أنه ما من امرأةٍ كانت في شرقٍ أو غربٍ سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي مثلُ رأيي ، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فأمنَّا بك واتبعناك ، ونحن معشرُ النساءِ ^{مُؤمِنَاتُ} مقصوراتٌ ^{مُؤمِنَاتُ} مقصوراتٌ ، قواعِدُ بيوتكم ، وحاملاتُ أولادكم ، وإنكم - معشرَ الرجال - فضلتم علينا بالجمعِ ^{على} والجماعاتِ ، وعيادةِ المرضى ، وشهودِ الجنائزِ ، والحجِّ بعد الحج ، وأفضلُ من ذلك الجهادُ في سبيلِ الله ، وإن الرجلَ منكم إذا خرج حاجاً أو مُعتمراً أو مُرابطاً حفِظنا لكم أموالكم ،

وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ... أفدا نشاركم في
هذا الخير يا رسول الله ؟

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه إلى أصحابه ،
وقال لهم :

هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه ؟

فقالوا : لا ، يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وسلم :

« انصرفي يا أسماء ، وأعلمي من وراءك من النساء : أن
حسن تبعل (١) إحداكن لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها
لموافقته ، يعدل كل ما ذكرت » .

فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً .

وقد عز على نساء العرب أن يمنح النبي صلى الله عليه وسلم
الرجال وخدمهم كل وقتيه ، فسأله أن يختصن بيوم ،
فأجابهن إلى طلبهن ، وحدد يوماً لهن ، يجلس إليهن ، يهدي
الحائرة ، ويجيب السائله .



الناقشة :

١ / صف حال المرأة العربية قبل الإسلام

(١) التبعل : المداعبة والملاعبة والقيام بواجب الزوجية

البعول : هو الزوج

المطالعة ٣ متوسط

٢ - اذكر الأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على احترام النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة العربية .

٣ - اذكر الحوار الذي تم بين النبي صلى الله عليه وسلم وأسماء بنت يزيد الأنصارية .

٢٩ - تحسين الزراعة وإصلاح الأراضي
في واحتي « القطيف » و « الأحساء »

وَاحَةُ الْقَطِيفِ رُقْعَةٌ خَضْرَاءُ ذَاتُ نَخِيلٍ بَاسِقَةٍ وَمَاءٍ دَافِقٍ ،
تَلْتَصِقُ بِالسَّاحِلِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ ، وَتَلْتَقِي ذِيولُهَا
بِحَوَاشِي رِمَالِ الصَّحْرَاءِ الْقَاحِلَةِ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ . .
تلك هي واحَةُ القَطِيفِ التي اِحتَضَنْت - ولا تزال - عِدداً
مِنَ الْمُدُنِ وَالْقُرَى ، شَهِدَتْ أُمَّماً كَثِيراً ، وَحَضَارَاتٍ مُتَعَدِّدَةً .
وَوَعَتْ أَحْدَاثاً جَمَّةً تَعَاقَبَتْ عَلَيْهَا بَتَعَاقُبِ الْعُهُودِ ، عَهْدُ
يَبِيدَ ، وَعَهْدُ يَسُودَ ، وَالْمَدُنُ هِيَ الْمَدُنُ عَامِرَةٌ زَاخِرَةٌ أَحْيَاناً ،
كَثِيبَةٌ حِيناً آخَرَ .

وَفِي عَهْدِ آلِ سُعُودٍ نَفَضَتْ وَاحَةَ الْقَطِيفِ عَنِ مَدِينِهَا غِبَارَ
التَّارِيخِ ، وَتَدَفَّقَ الذَّهَبُ الْأَسْوَدُ غَزِيرًا ، فَغَيَّرَ مِنْ مَعَالِمِهَا
وَبَدَّلَ ، وَأَخَذَتْ - بَعْدَ أَمْدٍ طَوِيلٍ - تُسَايِرُ رُوحَ الْعَصْرِ ،
عِمَارَةً وَحَضَارَةً وَطَرِيقَةَ حَيَاةٍ .

لَقَدْ عُرِفَتْ وَاحَةُ الْقَطِيفِ مُنْذُ الْقِدَمِ بِأَنَّهَا مِنَ الْمُنَاطِقِ
الزَّرَاعِيَةِ الْهَامَةِ فِي الْمُنْطَقَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ ،
وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُنْطَقَةُ تَعْتَمِدُ فِي الْمَاضِي عَلَى الْآبَارِ الْمَحْفُورَةِ بِالْيَدِ
إِلَى أَعْمَاقٍ لَا تَتَجَاوَزُ مِائَةَ الْقَدَمِ ، وَعَلَى بَعْضِ الْعُيُونِ الْمَوْزَعَةِ

هنا وهناك في أماكن متفرقة من الواحة .

ولم تكن هذه الآبار والعيون المحدودة تؤثر في ذلك الوقت ، على منسوب المياه الجوفية ، إلا أن الحالة أخذت تتغير بعد أن قام الزراع بحفر الآبار الارتوازية التي تناسب منها المياه ليلاً نهاراً دون توقف ، وقد فات الزارع أهمية هذه المياه بالنسبة لمنطقة تحيط بها الصحراء ، كما نسي الأضرار التي يمكن أن تتولد نتيجة زيادة هذه المياه على حاجة التربة .

وكنتيجة لذلك كانت نسبة المياه التي تتدفق على الأرض الزراعية أكثر بكثير مما تحتاجه الأرض ، أو تستطيع تصريفه ، لذلك بدأت الأراضي تتشبع بالمياه التي أخذت تقترب من السطح ، حتى وصلت إلى طبقة الجذور ، ونتج عن ذلك تراكم الأملاح القلوية في هذه الطبقة ، وعلى سطح التربة ، بسبب عامل التبخر ، لذلك قل الإنتاج ، ونقصت جودة الحاصلات الزراعية ، وأصبح من الصعب على الزراع تأمين الدخل الكافي لدمعشتهم .

وقد اختلفت نسبة الضرر باختلاف المناطق ، وباختلاف نسبة ارتفاعها عن سطح البحر ، حتى إن قسماً كبيراً من أراضي الواحة ترك من غير زراعة ، بعد أن فقد أصحابه كل أهل في استصلاحه .

وقد شعر المسؤولون في المملكة ، بخطورة هذا الوضع ،
وما يمكن أن يعُولَ إليه لو بقيت الحالة على ما هي عليه ،
فبادروا إلى تنفيذ مشروع يهدف إلى تصريف مياه الريِّ
الفائضة ، وردم الآبار الارتوازية التي لم تُحفر بطرق سليمة ،
والتي تُشكل خطراً على المزروعات والتربة ومصادر الماء ،
وحفر أخرى بدلاً منها ، ولم تمضِ سنوات قليلة على بدء
تنفيذ المشروع حتى بدأت الحياة تدبُّ من جديد في منطقة
واسعة تُقدر مساحتها بحوالي عشرة آلاف فدان ، وأخذ الزراع
يلمسون تحسناً ملحوظاً في إنتاج الأرض وزيادة في دخل الزراع .

وكان من أهمِّ النتائج التي حقَّقها هذا المشروع إزالة
المستنقعات التي كانت مصدراً لتوالد البعوض الناقل لمرض
الملاريا ، وإنشاء شبكة طرق زراعية على جانبي قنوات الصرف ،
مما سهَّل على السيارات أمر الوصول إلى المزارع ، لنقل
منتجاتها إلى الأسواق المحلية .

والفلاح في القطيف زارع نشيط ، فمنذ زمنٍ مُوغلٍ في
القدم ، عرَفت القطيف زراعة النخيل ، ويبلغ عدد أشجار
النخيل في المنطقة أكثر من مليون نخلة .

وتقسم حاصلات القطيف إلى ثلاثة أقسام ؛ هي : الخضراوات

وَالْفَوَاكِهُ « وَتَشْمَلُ الْحَمَضِيَّاتِ وَالْعِنَبَ وَالتَّيْنَ وَالرَّمَانَ » ،
وَمَحَاصِيلُ الْحَقْلِ ، وَأَهْمُهَا : الْبُرْسِيمُ وَالذَّرَّةُ الصَّفْرَاءُ وَالسَّمْسِمُ .

وَمَعَ إِنْجَازِ مَشْرُوعِ الصَّرْفِ فِي وَاحَةِ الْقَطِيفِ ، كَانَتْ
وِزَارَةُ الزَّرَاعَةِ تَمُدُّ يَدَ الْعَوْنِ إِلَى مُزَارِعِي « وَاحَةِ الْأَحْسَاءِ » ،
الَّذِينَ كَانُوا أَمَامَ مَارِدِ جَبَّارٍ لَا يَرْحَمُ . . . مِنَ الرَّمَالِ الزَّاحِفَةِ ،
فَالْمَعْرُوفُ عَنْ وَاحَةِ الْأَحْسَاءِ : أَنَّ الرَّمَالَ الْمُتَحَرِّكَةَ تَكْتَنِفُهَا
مِنَ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ وَالشَّمَالِ ، إِلَّا أَنَّ كُثْبَانَ الرَّمَالِ الَّتِي زَحَفَتْ
إِلَيْهَا مِنْ صَحْرَاءِ « الْجَافُورَةِ » فِي الشَّمَالِ ، كَانَتْ مِنْ أَعْنَفِ
الْكُثْبَانِ الَّتِي دَهَمَتْ الْوَاحَةَ ، وَأَشَدُّهَا خَطَرًا ، وَكَانَ مِنْ آثَارِهَا
أَنَّ طَمَرَتْ عِدَّةُ قُرَى وَدَفَنْتِ الْقَنَوَاتِ وَالْمَصَارِفَ ، وَقَضَتْ عَلَى
النَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَزْرُوعَاتِ فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ مِنَ
الْوَاحَةِ .

وَقَدْ دَلَّتِ الدِّرَاسَاتُ الَّتِي قَامَ بِهَا الْخُبْرَاءُ ، عَلَى أَنَّ الرَّمَالَ
الزَّاحِفَةَ تُهَدِّدُ سَنَوِيًّا مَا يَقْرَبُ مِنْ عِشْرِينَ فِدَانًا مِنَ الْأَرَاضِي
الزَّرَاعِيَّةِ وَالسَّكْنِيَّةِ ، فَقَامَ هَؤُلَاءِ بِإِعْدَادِ دِرَاسَةٍ وَافِيَةٍ لِمَشْرُوعِ
يَرْمِي إِلَى صَدِّ الرَّمَالِ الْمُتَحَرِّكَةِ ، وَقَدْ مَنَحَتِ الْحُكُومَةُ الْمَشْرُوعَ
اهْتِمَامًا بَالِغًا ، فَرَصَدَتْ لَهُ الْأَمْوَالَ الْكَافِيَةَ ، وَبَعْدَ تَنْفِيذِهِ
تَمَكَّنَتِ الْوِزَارَةُ - خِلَالَ سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ - مِنَ السَّيْطَرَةِ عَلَى الرَّمَالِ
سَيْطَرَةً تَكَادُ تَكُونُ تَامَةً ، كَمَا ضَمِنَتِ الْحِسَابَةَ لِلْأَرَاضِي
الزَّرَاعِيَّةِ وَالسَّكْنِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُهَدِّدُهَا الرَّمَالُ ، فَعَادَتِ الطَّمَانِينَةُ

لى النُّفوس ، وَأَخَذتْ بِشَائِرِ الْعُمَرَانِ وَالزَّرَاعَةَ تَظْهَرُ فِي أَنْحَاءِ
بِدَّةٍ مِنْ مَنْطِقَةِ الْأَحْسَاءِ .

الناقشة :

- ١ - ما هى القطيف ؟ وأين تقع ؟ .
- ٢ - ما الأخطاء والأضرار التى لحقت بمنطقة « القطيف »
بسبب تشبع الأرض بالماء ؟ وكيف حدث ذلك ؟ .
وكيف استطاع الفنيون علاج هذا الأمر ؟ .
- ٣ - الرمال المتحركة تسبب أضرارا كثيرة .. اذكرها .
- ٤ - عبّر بأسلوبك عن معنى كل مما يأتى :
(أ) زاخرة أحيانا كئيبه حيناً آخر .
(ب) غير من معالمها .
(ج) صد الرمال المتحركة .

٣٠ - من نواذر أبي دلامة وفكاهاته

كان أبو دلامة شاعراً فكهاً ، ومحدثاً بارعاً ، عذب الروح ،
خفيف الظل ، حاضر البديهة ، حلو الدعابة ، فأعجب به
الخلفاء وأصحاب السلطان ، يستعذبون حديثه ، ويستطيبون
مجلسه ، ويجزلون عطاياه ، وله معهم نواذر كثيرة وطرائف
مستملحة .

فمن ذلك : أنه دخل على الخليفة المهدي ، وعنده جماعة
من بني هاشم ، فقال له المهدي : إن لم تهج واحداً ممن في
البيت قطعت لسانك ، أو ضربت عنقك ، فنظر إليه القوم
وكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأن علي رضاك ، فقال أبو دلامة :
فعلمت أني قد وقعت ، وأنها عزمة من عزماته لا بد منها .
فلم أر أحداً أحق بالهجاء مني ، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء
نفسي ، فقلت :

ألا أبلغ لديك أبا دلامة
إذا لبس العمامة قلت قرداً
جمعت دمامة ، وجمعت لوماً
فإن تك قد أصبت نعيم دنيا
فلمت من الكرام ولا كرامة
وخنزيراً إذا نزع العمامة
كذاك اللوم تبعه الدمامة
فلا تفرح فقد دنت القيامة
فضحك القوم ، ولم يبق منهم أحد إلا أجازة .

وخرج المهديُّ إلى الصَّيْدِ ، ومعه من أقاربه عليُّ بنُ سُلَيْمَانَ ،
 فَسَنَحَ لهُمَا قَطِيعٌ مِنْ ظَبَاءٍ ، فَأَرْسَلَتِ الْكِلَابُ وَأَجْرِيَتُ الْخَيْلُ ،
 وَرَمَى الْمَهْدِيُّ سَهْمًا فَأَصَابَ ظَبِيًّا ، وَرَمَى عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ
 فَأَصَابَ بَعْضَ الْكِلَابِ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ أَبُو دَلَامَةَ :

قَدْ رَمَى الْمَهْدِيُّ ظَبِيًّا شَكَّ بِالسَّهْمِ فُؤَادَهُ
 وَعَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ نَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ
 فَهَنِيئًا لهُمَا كُلُّ أَمْرِي يَأْكُلُ زَادَهُ

* * *

وَحُكِيَ أَنَّ أَبَا دَلَامَةَ كَانَ واقفًا يَوْمًا بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ
 الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لَهُ سَلْنِي حَاجَتَكَ :

قال أبو دلامة : كلبٌ صيدٍ .

قال : أعطوه إياه .

قال : ودابةٌ أتصيدُ عليها .

قال : أعطوه دابةً .

قال : وغلامٌ يقودُ الكلبَ ويتصيدُ به .

قال : أعطوه غلاماً .

قال : وجاريةٌ تُصلحُ لنا الصيدَ وتطعمنا منه .

قال : أعطوه جاريةً .

قال : هَوْلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِيَالٌ ، فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ دَارٍ
يَسْكُنُونَهَا .

قال : أَعْطُوهُ دَاراً تَجْمَعُهُمْ .

قال : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ ضَيْعَةً ، فَمَنْ أَيْنَ يَعْشُونَ ؟

قال : قَدْ أَقْطَعْتُكَ مِائَةَ جَرِيبٍ عَامِرَةَ ، وَمِائَةَ جَرِيبٍ غَامِرَةَ .

قال : وَمَا الْغَامِرَةُ ؟

قال : مَا لَا نَبَاتَ فِيهَا .

قال : قَدْ أَقْطَعْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَمْسَ مِائَةِ أَلْفِ جَرِيبٍ
غَامِرَةٍ مِنْ فَيَافِي بَنِي أَسَدٍ .

فَضْحِكٌ . وَقَالَ اجْعَلُوا الْمِائَتَيْنِ كُلَّهَا عَامِرَةَ .

قال : فَأَذِنَ لِي أَنْ أُقْبِلَ يَدَكَ .

قال : أَدَا هَذِهِ فَدَعَهَا فَإِنِّي لَا أَفْعَلُ .

قال : وَاللَّهِ مَا مَنَعْتَ عِيَالِي شَيْئاً أَقَلَّ عَلَيْهِمْ ضَرراً مِنْهَا .

مؤرخة

٣١ - كيف تصبح أديبا ؟ *

من رسالة فلوبيير (١) إلى ابن أخيه القصصي المعروف دي موباسان (٢)
وهو في الثانية عشرة من عمره

ولدى .. دي موباسان

لكي تكون أديباً كما تريد ، ينبغي لك أن تروض (٣)
نفسك على أن تتطلع (٤) إلى كل شيء يصادفك باهتمام ،
لتكشف فيه جديداً تضيفه إلى معرفتك وخبرتك . إن هذا
العالم الواسع الذي نعيش فيه ، ليس بين كائناته كلها
ما صغر منها وما كبر - شيئان لا فارق بينهما ، مهما يبدُ
تشابههما كاملاً لأول وهلة ! ، حتى ذرات الرمل الدقيقة ليس
بينها حبتان متساويتان في كل شيء ، وكذلك أجسام البشر
وما تحوى من وجود ، وعيون ، وأنوف ، وذقون .. وغيرها .
وكذلك الأنهار ، والأشجار ، والأحجار ، والأطياف . وكذلك
النجوم والغيوم ، وكل ما تقع عليه عيناك .

(*) عن مجلة الهلال .

(١) فلوبيير : كاتب وروائي فرنسي معروف .

(٢) دي موباسان كاتب فرنسي لمع اسمه في النصف الأول من القرن العشرين .

(٣) تروض نفسك : تسوسها وتدرجها .

(٤) تتطلع : تنظر بشوق ودقة وعناية .

فإذا شئت أن تصف جدولاً صغيراً ، أو شجرة نامية على سفح تل ، فانظر إليهما جيداً ، ولا تملّ من طول النظر حتى تدرك ما يُميّزهما من غيرهما من الجداول أو الأشجار ، وحينما تمرّ أمام بدالٍ جالسٍ أمام متجره ، حاول أن تدرّس جيداً مظهره ، وتتبين تعبير وجهه ، ثم حاول - حيثما تخلو إلى نفسك - أن تصفه بقلمك في عبارات موجزة مركزة ، بحيث لا تختلط صورته في ذهن من يقرأ هذا الوصف مع صورة أخرى .

وهكذا تستطيع ، متى ثابتت على هذه الرياضة الفكرية الأدبية ، أن يكون لك مستقبلٌ عظيم في ميدان الكتابة والتأليف ، خصوصاً في كتابة القصة .

بدال : يقال

المناقشة :

- ١ - من هو فلوبير صاحب الرسالة ؟ ومن هو « دي موباسان » ؟ .
- ٢ - ما الأمور التي نصح بها « فلوبير » ابن أخيه « دي موباسان » ليكون أديباً ؟ .
- ٣ - ما الطريقة التي تساعد كل كاتب ناشئ على أن يكون أديباً وكاتباً روائياً ممتازاً ؟

٣٢ - الإسلام والمساواة

قرر الإسلام مبدأ المساواة ، كما قرر مبدأ الحرية والإخاء في العالم لأول مرة في التاريخ وكان في ذلك سابقاً للدعاة إلى المبادئ في العصر الحديث بأكثر من ألف عام .

ولم يكن تقرير هذه المبادئ تقريراً نظرياً كما حدث في فرنسا ، وفي أمريكا ، وفي هيئة الأمم المتحدة ، حيث وضعت المبادئ ، ولم ينفذ منها إلا القليل بحسب أهواء الأمم القوية وإنما دعا الإسلام إلى هذه المبادئ ، وطبقها النبي صلى الله عليه وسلم ، وتبعه الصحابة وسادت المجتمع الإسلامي في أقطار الأرض ، وها نحن نعرض صوراً عملية للمساواة في الدولة الإسلامية :

١ - كانت التكاليف الشرعية من صلاة وصوم وزكاة وحج وغيرها عامة يطالب كل مسلم بأن يؤديها بدون استثناء أحد منها .

٢ - الصلاة وهي الركن الثاني من أركان الإسلام - تتجلى فيها المساواة إذ يقف المسلمون صفوفاً يتجاور فيها الصغير والكبير ، والغني والفقير ، والحر والعبد ، وكلهم يركعون

لإله واحد . وكذلك تتجلى المساواة في زى الحج الموحد وفي أداء مناسكه .

٣ - تنفذ الحدود على جميع المسلمين بلا استثناء ، لا كما كانت الحال عند الدول الكبرى قبل الإسلام ، إذ كانت القوانين تنفذ على العامة فقط . ونذكر هنا أمر المرأة المخزومية التي سرقت ، واستشفع أهلها بأسامة بن زيد لحب الرسول إياه ، فلما كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيها غضب ، وقال له : « أتشفع في حد من حدود الله ؟ إن بني إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

٤ - كان القصاص مرعياً بين الناس جميعاً وإن اختلفت درجات المعتدى والمعتدى عليه ، من ذلك : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للناس يوماً « أيها الناس ، من أخذت له مالا ، فهذا مالي فليأخذ منه ، ومن ضربته ضربة فليقتصر مني من قبل يوم القيامة » وإن رجلاً جاء يشكو إلى عمر وهو مشغول ، فقال له : « أتركون الخليفة حين يكون فارغاً ، حتى إذا شغل بأمر المسلمين أتيتموه ؟ » وضربه بالدرة . فانصرف الرجل حزينا فتذكر عمر أنه ظلمه ، فدعا به ، وأعطاه الدرّة ، وقال له : اضربني كما ضربتك . فأبى الرجل وقال : تركت

حقى لله ولك ، فقال عمر : إما أن تتركه لله فقط ، وإما أن تأخذ حقلك ، فقال له الرجل : تركته لله ، وانصرف عمر إلى منزله ، وصلى ركعتين ثم جلس يقول لنفسه : يا بن الخطاب كنت وضعياً فرفعك الله ، وضالاً فهداك الله ، وضعيفاً فأعزك الله ، وجعلك خليفة فأتى رجل يستعين بك على دفع الظلم فظلمته ، ما تقول لربك غداً إذا أتيته ؟ وظل يحاسب نفسه حتى أشفق الناس عليه .

ومن هذين المثليين ترى المسلمين قد أشربوا في قلوبهم المساواة وهل هناك أروع من أن يدعو النبي نفسه إلى أن يقتص منه المسلمون . وأن يتألم عذر لشيء من العنف بدر منه ، فيسترضى الرجل ، ويدعوه إلى القصاص منه ، ثم يؤنب نفسه هذا التأنيب الذى ينبض بالخشية من الله تعالى ؟

٥ - كان النبي يشعر أصحابه المساواة في سلوكه معهم ، فقد أرادوا مرة على أن يحملوا نصيبه من العمل في سفر ، فقال : « علمت أنكم تكفوننى ، لكننى أكره أن أتميز عليكم ، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه مميزاً بين أصحابه » وحدث أبو هريرة أنه خرج مع النبي إلى السوق ليشتري سراويل ، فلما أراد أن يحملها عنه ، قال له « صاحب الشيء أحق بأن يحمله » . وقد اقتدى به الصحابة ، فهذا

أبو بكر في خطبته عندما ولي الخلافة يقول : « أيها الناس
إني وليت عليكم ولست بخيركم » .

٦ - تحقيق المساواة بين الناس على درجة واحدة لا فرق
بين كبيرهم وصغيرهم ولا بين المسلم وغيره ، ونذكر لذلك
مثلين : -

أولهما : أنه جاء رجل إلى عمر يشكو علياً رضي الله عنهما ،
فقال عمر : قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك . فقام متألماً
وجلس مع خصمه ، وتناظرا ، ثم حكم بينهما عمر وانصرف
الرجل ، فالتفت عمر إلى علي ، وقال له : ما لك قد تغير
وجهك حين أمرتك بالجلوس مع خصمك ؟ هل كرهت شيئاً
مما كان ؟ قال : نعم فقد كنيته بحضرة خصمي . والتكنية
ضرب من التكريم ، هلا قلت : قم يا علي فاجلس مع خصمك ؟
فقبله عمر بين عينيه .

ثانيهما : ما فعله عمر من القصاص بين ولد عمرو بن العاص
- وأبوه أمير مصر - وبين القبطي المعتدي عليه ، ثم تأنى به
لعمرو إذ اعتدى ابنه معتمداً على سلطان أبيه بكلمته المشهورة :
« يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ » .

هذا هو الإسلام يدعو إلى المساواة ، والعدالة في المعاملة .
وهؤلاء هم المسلمون يطبقون مبادئه مخلصين فيعز بها أهل

الأرض جميعاً ، لا فرق بينهم وإن اختلفت ألوانهم وأجناسهم وأوطانهم .

الناقشة :

١ - ما الفرق بين المبادئ التي قررها الإسلام والمبادئ التي نودى بها في العصر الحديث ؟

٢ - وضح بإسهاب كيف تتجلى المساواة في مناسك الحج .

٣ - ما أثر تلك المبادئ التي قررها الإسلام في المجتمع الإسلامي؟.

٣٣ - طيب يضحى بولده من اجل العلم

لولا تضحية العلماء بالروح والولد والجهد والمال لما تقدمت
موكب العلم بهذه الخطوات المباركة .

ولا تذكر تضحية العلماء بأبنائهم إلا ويذكر معهم
« إدوارد جنر » .. رائد من رواد العلم الحديث ، وخدام من
خدام البشرية العاملين .

إدوارد جنر ذو فضل على الأبناء ، فقد هداهم إلى طريق
الوقاية من مرض لا يحمل في كفيه غير الموت أو التشويه
ذو فضل على الآباء ، فقد كفاهم حرقه (١) الآباء على الأبناء
عندما يحل المرض ، ويشد الخطب (٢) .

إدوارد جنر ... كان كالشمعة تحترق لتضيء ما حولها
كان في مقدوره أن يؤجل النضال لخدمة البشرية إلى حين
ولكن شعلة العبقرية المتقدة في نفسه ، ونداء الخير من أعماقه
أبياً عليه أن يتمتع بمباهج الشباب ، ويؤجل عبء العمل .

(١) حرقه الآباء : حزنهم الشديد الذي يثير الأسى يكوى القلوب ويؤذي
النفوس .

(٢) يشد الخطب : الأمر الشديد ، والحدث المؤلم .

كان مَرَضُ الجُدْرِيِّ ، حتى أوائلِ القرنِ الماضي يُعَدُّ من
أخطرِ الأمراضِ التي تفتِكُ بالبشرية ، فإن نجا المريض من
الموت ، فلن ينجو من التشويه (١) الذي يدوم مدى الحياة ، ولم
تكن ضحايا هذا المرض قليلة ، بل كانت تُعدُّ بعشراتِ الألوف
كلَّ عام .

وفي يومٍ من الأيام ، دَخَلت فتاةٌ ريفية حانوتاً وكان
مَرَضُ الجُدْرِيِّ منتشرًا وقتئذٍ انتشاراً كبيراً ، فبعد أن اشترت
ما أرادت من هذا الحانوت ، التفت إليها صاحبه وقال :

- كيف حال المريض عندكم ؟ !

فأجابته :

- المرضُ منتشرٌ بحالٍ فاقت كلَّ حال ، ولكن حَلَّابَاتِ اللبنِ
لا خوف عليهن من هذا المرض .

دار الحديث بين الفتاة وبين هذا الرجل ، دُونَ أن يُشيرَ
ذلك اهتمامَ أحدِ الحاضرين ، غير شابٍّ في مُقْتَبَلِ العُمرِ هو
« إدوارد جنر » كان وقتئذٍ طالباً يتعلمُ الطب ، ولما يَنْتَه من
تعليمه بعد .

(١) التشويه : رداءة الشكل ، وسوء المنظر ، مع الإصابة بالقبح من هذا المرض .

فتح هذا الحوار أمامه آفاقاً للتأمل والتفكير ، وراح
يُردّد عبارة الفتاة مرةً بعد مرة قائلاً :

الحلّاباتُ لا يتعرّضن لمرض الجُدري العادي ، لأنهن
يتعرّضن لِجُدري الأبقار .
وعاد يُتمتمُ ويقول :

- وَلِمَ لا يَكُونُ هناك ارتِباطٌ بينهما ؟ !

ظلت هذه الأفكار والخواطر عالقةً بذهنه حتى التقى بالدكتور
« جون هنتر » ، فراح إدوارد جنر يشرحُ فكرته الجديدة
وإمكانَ الإفادة بجُدري الأبقار في الوقاية من الجُدري العادي .
فقال الدكتور هنتر :

- جَرِّبْ ، ففي التجربة خيرُ برهان .

لكن مَنْ يَقْبَلُ أن يُجرب فيه ما يُريد ؟ ! لا أحدَ بالطبع ...
عندئذ لم يجد « إدوارد جنر » مفرّاً من أن يُجربَ في ابنه
الوحيد ، بالرغمِ مما عُرِفَ عنه من قوة العاطفة ، ورقة القلب ،
وحنان الأبوة .

وقف بجوار ابنه مُشتتَ الفكر (١) حائراً بين عاطفة تآبى
عليه أن يُضحى بولده ، وبين واجب يُملَى عليه أن يُضحى
بكلِّ شيءٍ من أجلِ البشرية والبشر أجمعين .

(١) مشتت الفكر : حائر الذهن ، موزع العقل .

مَرَّتْ دَقَائِقُ تَخَيَّلٍ فِيهَا « إِدْوَارْدُ جِنْر » عَشْرَاتِ الْأُوفِ
وَهِيَ تَمُوتُ وَتَتَشَوَّهُ كُلَّ عَامٍ ، فَجَمَعَ أَمْرَهُ وَآثَرَ أَنْ يُضْحَى
بِأَبُوْتِهِ وَعَاطَفْتَهُ رَغْبَةً مِنْهُ فِي إِنْقَازِ هَذِهِ الْأُوفِ .

وَأَخِيرًا حَمَلَ وَلَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ وَضَعَهُ فَوْقَ رُكْبَتَيْهِ ،
وَأَحْدَثَ بِذِرَاعِهِ خَدَشًا ، وَضَعَ عَلَيْهِ بَعْضَ الْقَيْحِ الَّذِي أَتَى بِهِ
مِنْ ضَرْعِ الْأَبْقَارِ الْمَرِيضَةِ بِالْجُدْرَى ، فَظَهَرَ عَلَى وَلَدِهِ أَعْرَاضُ
جُدْرَى الْأَبْقَارِ ، وَشَفِيَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَلَكِنَّ الْأَبَّ لَمْ يُجِجِمِ
عَنْ تَجْرِبَةٍ أخطرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَجَلَّ شَأْنًا ، فَنَقَلَ إِلَى وَلَدِهِ بَعْدَ
ذَلِكَ مَادَةَ الْجُدْرَى الْبَشَرِيَّةِ مِنْ طِفْلِ مَرِيضٍ ، لِيَتَحَقَّقَ مِنْ فِعْلِ
الْمَادَةِ الَّتِي كَشَفَهَا فِي الْوَقَايَةِ مِنْ خَطَرِ هَذَا الدَّاءِ ، وَكَانَ مِنْ
حِظِّ وَلَدِهِ ، وَمِنْ حِظِّ الْبَشَرِيَّةِ ، أَنْ نَجَحَتْ هَذِهِ التَّجْرِبَةُ .

وَرَحَلَ « إِدْوَارْدُ جِنْر » إِلَى الْمَنَاطِقِ الْجَبَلِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَكْثُرُ
فِيهَا الْمَرَضُ وَقَتْنَدُ ، وَطَعَّمَ هُنَاكَ ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ طِفْلًا بِطَرِيقَتِهِ
الْجَدِيدَةِ ، فَلَمْ يُصَابُوا بِالْمَرَضِ ، فَعَادَ إِلَى بَلَدِهِ مُطْمَئِنًّا الْخَاطِرِ ،
قَرِيرَ الْعَيْنِ (١) ، وَبَدَأَ يُعَلِّمُ طَرِيقَتَهُ وَيَدْعُو لَهَا ، وَلَكِنَّهُ لَقِيَ
فِي ذَلِكَ إِرْهَاقًا ، وَضَحِكَ مِنْهُ الْكَثِيرُونَ ، وَنَظَرُوا إِلَى فِكْرَتِهِ
نَظْرَةَ إِهْمَالٍ وَتَحْقِيرٍ ، حَتَّى إِنْ مَدِيرَ الْجَمْعِيَّةِ الطَّبِيَّةِ فِي لَنْدَنِ
وَقَتْنَدَ لَمْ يُشَجِّعْهُ ، وَلَمْ يُوَافِقْ عَلَى تَعْمِيمِ طَرِيقَتِهِ وَتَطْبِيقِهَا ،
بِحُجَّةٍ أَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ غَيْرُ مَضمُونَةٍ الْعَاقِبَةِ .

(١) قَرِيرَ الْعَيْنِ : مَبْتَهَجًا مَسْرُورًا ، هَادِنًا مُطْمَئِنًّا .

أمام ذلك كله لم يجد « إدوارد جنر » مفرأً من تأليف كتاب يوضح طريقته وفكرته ، ويدافع عن أهميتها وفائدتها ، ومع ذلك لم يجد من يدافع عنه غير نفر قليل ، حتى جاء الدكتور فردريك بالهورن الطبيب الألماني ، وترجم كتابه ، وآمن بفكرته ، وأنشأ عدة عيادات للتطعيم بالنصل الجديد ، وكان في مقدمة من آمنوا بنتائجه : ليدى مورتون ، وأولاد الملك غليوم الرابع . وعادت الجمعية الطبية البريطانية إلى بحث الموضوع مرة أخرى ، فوجدت فيه نتائج طيبة ، فمنحته الميدالية الذهبية اعترافاً بفضله .

هكذا وجه « إدوارد جنر » البحث العلمي ، إلى طريق جديد منتج ، فكان موضع محاكاة الباحثين من بعده ، وكان ذلك فاتحة عهد علمي جديد ، عرفت فيه أمصال ولقاحات أخرى واقية من الكوليرا والطاعون والتيفود .

وهذه الأمصال واللقاحات ، إذا طعم بها الفرد ، أوجدت المواد الواقية التي تعد دعامة من دعائم الصناعة ، وأعجوبة من أعاجيب العلم .

ولكى نعرف فضل هذه اللقاحات الواقية ما علينا إلا أن نقارن بين عدد مرضى التيفود والكوليرا في الحربين العالميتين : الأولى والثانية ، ففي الحرب العالمية الثانية انخفض عدد المرضى بهذه الأمراض انخفاضاً كبيراً ، لا لشيء إلا لتطعيم

الجنود في الحرب العالمية الثانية ، وعدم تطعيمهم في الحرب العالمية الأولى ، بلقاح التيفود والكوليرا .

هذه حياة إدوارد جنر وأفضاله وماثره .

هذه حياة رجل خدّم البشرية أجلّ خدمة ، ووقاها من مرض شديد الوطأة (١) ، عظيم الخطر .

هذه حياة رجل غامر بأبوته وعاطفته وحنانه ، وقدم ولده فداءً لأمثاله من الصغار .

هذه حياة رجل ضحى بشبابه ، وربيع حياته ، لخدمة البشرية ؛ فله منا أطيب التقدير .

الناقشة :

١ - ما الأعراض والأضرار الناشئة عن الإصابة بمرض الجدري؟

٢ - صف شعور « إدوارد جنر » عندما بدأ يجرى عملية التطعيم بقيح جاء به من ضرع بقرة مريضة بالجدري ... وهل نجحت التجربة؟ وإلام دفعه هذا النجاح؟

٣ - كيف عمل « إدوارد جنر » على نشر هذا النوع من التطعيم؟

٤ - لقد كانت تجربة « إدوارد جنر » فاتحة عصر اللقاحات والأمصال . وضح ذلك .

(١) شديد الوطأة : ثقل مجهد متعب .

٣٤ - الصباح والمساء

(لجميل صدقى الزهاوى)

الصُّبْحُ في الأفق الشرقى قد ظهر
كأنما هو بركان قد انفجرا
وقد أضواء بسيل النور يرسله
ما كان من ظلمات الليل مُعْتَكِرًا
والليل يجرى أمام النور منكفئاً
والنور من خلفه ينصب مبتدرا
والديك قد صاح من بعد انتباهته
ينعى النجوم بنات الليل والقمر
وقد تجاوزت القطعان ثاغية (١)
وغرد الطير في أغصانه زمرا (٢)
واحمر عند الشروق الأفق مُلْتَهَبًا
وذر (٣) للشمس قرن يَخْطِفُ البصرا
وسارت الشمس في مَرَقَاتِهَا صُعْدًا
ثم انحذت تبتغى في الغرب مُسْتَتِرًا

(١) الثغاء : صوت الغنم .

(٢) زمراً : جمع زمرة وهى الجماعة .

(٣) ذرّ : طلع .

ولفها الغربُ إلا أنها تركت
وراءها شفقاً في الأفق مُزدهراً
والليلُ قاد جيوشاً من حنادسه (١)
يغزو النهارَ وقد لاقاه فانتصراً
والليلُ في زحفه هذا وغارته
من النهار الذي قد غاظه ثأراً
أفرح بدنياك واشبع من مشاهدتها
فبعدها لا ترى شمساً ولا قمراً

الناقشة :

- ١ - صور الشاعر الليل بصورة المهزوم ، فأين تجد ذلك في النص؟
- ٢ - ماذا قصد الديك بصياحه ؟ وكيف تبدو الحياة في النهار ؟
- ٣ - متى يبدو الليل ساحراً ، وكيف يكون استقبال الناس له ؟

* * *

(١) حنادس : جمع حندس . والمقصود ظلماته .

٣٥ - ليلي العفيفة

كانت « ليلي بنت لكيز » من أجمل فتيات البادية
وأحسنهن خلقاً وأرقهن حديثاً ... أحبها البراق وتعاهدا على
الوفاء ، ولم يبق إلا حضور أبيها لكيز من اليمن ليبارك
زواجهما .

وعاد الأب ، وأبتسمت الوجوه لتلك العودة ، ففيها الرجاء
والأمل المنشود .

وجلس « لكيز » بين أسرته يوزع على كل هداياه ، وعندما
جاء دور « ليلي » التفت إليها باسمًا ، وقال :

- هذه هديتك يا ليلي ... هذه مجموعة من الملابس

الحريرية الفاخرة .

وعاد يمدُّ يده مرة أخرى إلى صندوقه ، فإذا بها تحمل
وشاحاً مرصعاً بالجواهر ، وعاد يمدُّها مرةً ثالثة ، فإذا به يخرج
عقدًا مطعمًا باللائي الغالية .

ثم عاد الأب يبتسم ويقول :

- سننتهي عمًا قريب من سكني الخيام والرعى في

البوادي (١) ... لقد خطبك أمير اليمن يا ليلي ... ويا لها من

فرصة عظيمة

فتعجبهم وجه ليلي وقالت :

- أنسيت يا أباي أن ابن عمي البراق قد خطبني ، فوعده
بأن تزفني إليه بعد عودتك من اليمن ؟ .

فقال أبوها :

- ما حيلتي يا ليلي...؟ وهل كان في استطاعتي أن أرد
خطبة هذا الأمير ؟ إنه صاحب الجاه والسلطان .

فقالت :

- ربيتنا يا أباي على حفظ العهود والمواثيق ... أتريد
يا أباي أن تصفنا القبيلة بالعار ، وتجرّدنا من الشرف ، وتقول
وعدّ لكيز فأخلف وعده .

وسرى نبأ خطبة ليلي إلى أمير اليمن عمرو بن ذى صهبان ،
فكان حديث الناس جميعاً ، حتى وصل إلى مسامع البراق ،
فجاء إلى عمه « لكيز » ينهب الأرض نهباً بجواده الأشهب ،
ليستطلع حقيقة الأمر .

فقال عمه :

- هذه المصاهرة يا ابن أخي أمر ليس لي فيه غير الموافقة ،
وما عليّ إلا الطاعة .

(١) البوادي : الصحاري .

فقال البراق في حُزن وألم دفين :

- ماذا أقول يا عمّاه .. ؟ إنَّ حديثك على هذا النحو لا يُرضى
إنَّ القولَ يا عمّاه هو ما قالته ليلي .

وخرج البراق يُودّعُ خيامَ « ليلي » ، وقلبه يتمزقُ حُزناً
وأسى . ورحلت « ليلي » كارهةً مع أبيها إلى بلادِ اليمن .

وبينما قافلةُ « لكيز » تسير في طريقها ، إذ اعترضهم
جمْعٌ كبير من الفُرسانِ ، وعلى رأسهم فارسٌ مُلثمٌ .

وما أن التقى هذا الفارسُ المُلثمُ بلكيز حتى نزع لِثامه ،
فصاح لكيز في عَجَبٍ بالغ :

- بُرد بن طُريح ؟ .

فقال الفارس :

- نعم ، بُرد بن طُريح المُقربُ إلى أميرِ فارس . أنا « بُرد »
الذي جاءك خاطباً ليلي فرددته خائباً .

فقال لكيز :

- ما ردَدناك احتقاراً لشأنك ، ولكن كانت هناك أسبابٌ
دفعتنا إلى ذلك دُفعا .

وعاد « بُرد » يقول :

- ها أنت ذا يا لكيز تُخلفُ وعدك للبراق ، وتسوقُ ابنتك
جاريةً ذليلةً إلى أميرِ اليمن .

فصاح في وجهه قائلاً :

- إن ابنتي عروس أمير اليمن ، وليست جاريتته كما
نقول ، ستزف إليه بعقد يوم وصولها إليه .

فقهقه « بُرد » قهقهة عالية ساخرة ، وقال :

- سأحول بينك وبين الذهاب إلى اليمن ، سأحمل ابنتك
أسيرةً لأمير فارس ، ليجعلها جاريةً من جواريه .

فصاحت ليلي :

- خسيت أيها النذل الجبان .

فعاد « بُرد بن طريح » يقهقه مرةً بعد أخرى .

حاول لكيز أن يقاوم هذا الجمع من الفرسان ، ولكن كان
ذلك بلا جدوى ، واختطف هذا الجمع « ليلي بنت لكيز »
وولوا هاربين .

ذهب بها « بُرد بن طريح » إلى داره ليلبسها الحرير
والجواهر توطئةً لتقديمها جاريةً لأمير فارس .

حاول أن يقنع ليلي فما اقتنعت ... حاول أن يغريها
فما أذعنت لإغرائه ... حاول أن يخيفها فما لانت لوعيده ...
فنادى غلماناً وقال :

- قيّدوها واضربوها بلا شفقة أو رحمة .

فهمجوا على « ليلي » وقيّدوها بالأغلال وضربوها ضرباً

مُبرحاً (١) حي سَقَطت لا تَعِي ، وَاقْتَرَبَ مِنْهَا ، فَسَمِعَهَا تَتَنَهَّدُ
فَقَالَ لَهَا :

- سِنَعَاوُدُ الْكِرَّةُ إِذَا بَقِيَتْ عَلَى عِنَادِكَ وَإِصْرَارِكَ ، وَلَنْ
يُنْقِذَكَ مِنْ ضَرْبَاتِ السَّيَاطِ إِلَّا إِذْعَانُكَ لِمَا طَلَبْتَهُ مِنْكَ ، وَوَعْدُكَ
إِيَّايَ أَنْ تَذْهَبِي إِلَى الْأَمِيرِ رَاضِيَةً مَبْتَسِمَةً ، وَحَذَارِ أَنْ تُخْبِرِيهِ
بِغَيْرِ مَا أَلْقَنُكَ إِيَّاهُ ، وَإِلَّا فَأَنْتِ هَالِكَةٌ لَا مَحَالَةَ .
فَقَالَتْ :

- « اِقْتُلْنِي ، فَالْمَوْتُ أَعَذْبُ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ ... » .
ثُمَّ تَرَكَهَا وَذَهَبَ إِلَى بَعْضِ شَأْنِهِ ، وَدَخَلَتْ زَوْجَتُهُ عَلَى
« لَيْلَى » تُوَاسِيَهَا وَتُهَدِّئُ خَاطِرَهَا ، وَتُعْنِي بِهَا عِنَايَةَ الْأُخْتِ
بِأُخْتِهَا ، فَاسْتَعَادَتْ « لَيْلَى » شَيْئًا فَشِيئًا قُوَاهَا ، وَاسْتَوَتْ جَالِسَةً
تُفَكِّرُ فِي مَصِيرِهَا الْمَشْهُومِ ، فَقَالَتْ لَهَا زَوْجَةٌ « بَرْد » :

- « يَعْزُ عَلِيٌّ يَا أُخْتَاهُ مَا نَالَكَ مِنْ أَدَى . وَيَعْزُ عَلِيٌّ إِلَّا
يَسْمَعُ زَوْجِي شَفَاعَتِي فِيكَ ، وَأَنْ تَنْزِلِي بَيْتِي فَتَلْقَى فِيهِ هَذَا
الْهُوَانَ ... » . فَقَالَتْ لَيْلَى :

- « شُكْرًا لَكَ يَا أُخْتَاهُ فَمَا أَنْتِ مَسْئُولَةٌ عَنْ هَذَا الْهُوَانَ .
وَعَادَتْ لَيْلَى تَقُولُ :

- « الْقَتْلُ أَهْوَنُ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ .. لَنْ أُفْرِطَ فِي كِرَامَتِي
وَعِغْفَتِي حَتَّى وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ مَوْتِي وَنِهَائِي » .

(١) مبرحاً : شديداً قاسياً .

وَلَمْ تَقْوِ عَلَى مُتَابَعَةِ الْكَلَامِ فَأَجْهَشْتَ بِالْبُكَاءِ ، ثُمَّ خَشِيتِ
 زَوْجَةَ « بَرْد » أَنْ يُفَاجِئَهَا زَوْجَهَا ، وَهِيَ تَبْكِي فَغَادَرَتْ الْغُرْفَةَ .
 وَعَادَ « بَرْد » بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَأَخَذَ يُغْرِبُهَا تَارَةً ، وَيَتَوَعَّدُهَا
 تَارَةً أُخْرَى .. وَلَكِنْ مُحَاوَلَاتِهِ ذَهَبَتْ سُدًى ، فَعَادَ يَضْرِبُهَا فِي
 قَسْوَةٍ وَعُنْفٍ .. ثُمَّ تَرَكَهَا تَبْكِي وَتُنشِدُ :

لَيْتَ لِلْبَرَّاقِ عَيْنًا فَتَرَى مَا أَقْاسَى مِنْ بَلَاءٍ وَعَنَا
 يَا كَلِيبًا يَا عَقِيلًا إِخْوَتِي يَا جُنَيْدًا أَسْعِدُونِي بِالْبُكَاءِ
 عُدَّتْ أُخْتُكُمْ يَا وَيْلَكُمْ بَعْدَابِ النَّكْرِ صُبْحًا وَمَسَا
 غَلَّلُونِي قَيْدُونِي ضَرْبُوا مَوْضِعَ الْعَفَةِ مِنِّي بِالْعَصَا
 قَيْدُونِي غَلَّلُونِي وَأَفْعَلُوا كُلَّ مَا شِئْتُمْ جَمِيعًا مِنْ بَلَا
 فَإِنَّا كَارِهَةٌ بَغِيكُمْ وَيَقِينُ الْمَوْتَ شَيْءٌ يُرْتَجَى
 وَأَعْقِدُوا الرِّايَاتِ فِي أَقْطَارِهَا وَأَشْهَرُوا الْبَيْضَ وَسَيَرُوا فِي الضُّحَى
 يَا بَنِي تَغْلِبَ سَيَرُوا وَأَنْصُرُوا وَذَرُّوا الْغَفْلَةَ مِنْكُمْ وَالْكَرَى ^{الكرى}

رَقَّتْ لَهَا زَوْجَةُ « بَرْد » فَاتَّفَقَتْ مَعَهَا عَلَى أَنْ تُرْسِلَ رَسُولًا
 إِلَى الْبَرَّاقِ ... يَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ ، وَإِلَى قُرْبِ دَارِهِ ، لِيُنشِدَ أَبْيَاتَ
 « لَيْلَى » لِتُصَلَّ إِلَى سَمْعِهِ وَأَعْمَاقِ قَلْبِهِ .

وَذَهَبَ الرَّسُولُ يُنْشِدُ أَبْيَاتَ لَيْلَى عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ الْبَرَّاقِ ،
 فَفَهِمَ الْبَرَّاقُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَأَخَذَ يُثِيرُ الْقَبَائِلَ وَيَجْمَعُ الشَّبَابَ
 لِانْقَاذِهَا .

ولكن ليلى كانت تتعجلُ الحوادثَ وتقول :

- عَجَبًا لِأَهْلِ وَقَبِيلَتِي وَالْعَرَبِ أَجْمَعِ ، كَيْفَ يَنَامُونَ
عَلَى الضَّيْمِ وَالْأَذَى ، وَلَا يَهْبُونَ إِلَى فِدَائِ ابْنَتِهِمْ ، وَصَوْنِ
عَرَضِهِمْ وَكِرَامَتِهِمْ . عَجَبًا لِلْبَرَاقِ وَهُوَ رَبُّ النَّجْدَةِ وَالنَّخْوَةِ ،
وَالسَّاعِدِ الْقَوِيِّ وَالسَّيْفِ الْبَتَّارِ ... كَيْفَ لَمْ يَجْمَعْ الْجُمُوعَ
فِيَاتِي لِيُنْقِذَ ابْنَةَ عَمِّهِ الْمَرْهُونَ شَرَفُهُ بِشَرَفِهَا ؟ .

وأقبل البراق بعد أن نظّم صفوفه إلى بلاد فارس ، فوجد
جيشًا كبيرًا في انتظاره ، لم يستطع مقاومته فأرْتَدَّ ثانية .

وفي ليلة ثارت نفسه ، وعزم على اقتحام الأسوار وإنقاذ
ليلى ، مهما كلفه الأمر ، وبينما هو في طريقه التقي « ببرد بن
طريح » خصمه اللدود في جمع كبير من فرسانه ، وصاح
« برد » فيه قائلاً :

- اسْتَعِدْ لِلْمَوْتِ يَا بَرَّاقُ ، فَهَؤُلَاءِ الْفُرْسَانُ يَطْلُبُونَكَ مَعِي ،
وَإِنَّكَ لِأَعْجَزُ مَنْ أَنْ تَنَالَ مِنْهُمْ مَأْرَبًا (١) .

وما كان من البراق ، بعد سماعه هذا التحدي ، إلا أن
انقضَّ على الفرسان انقضاض الصاعقة ، واخترق صفوفهم
وهو يزمرُّ ويعمل سيفه ذات اليمين وذات اليسار ، ويكرُّ
فيهم ويفر مع رجال « برد بن طريح » ، حتى أسقط ستة منهم
ومن بينهم « برد بن طريح » ، وفرَّ الباقيون هربًا من سيف

(١) مأرباً : حاجة ، غرضاً ، مطلباً .

البراق البتار ، واستطاع البراق بعد ذلك أن يدخل عاصمة فارس ، وراح يبحث عن ليلي ، ويستقصي أخبارها ، حتى علم أنها ستذهب مع بعض النساء في رحلة صيد لأمير فارس .
واندفع البراق يبحث عن أمير فارس ومن معه ، حتى لحق بهم ، وعرف موضع « ليلي » من بعد وأقبل نحوها في سرعة خاطفة ، فنظرت ليلي إلى الفارس القادم فإذا هو البراق ، فحقق صدرها فرحاً وخوفاً ، ويزداد خفقانه عندما يصل إليها ، ويناديها باسمها فترد على النداء ، ويقف جواده قرب تحتها وقفة قاطعة ، فتفقد شعورها بالخوف وتقفز إليه ، وينطلق بها انطلاق السهم ، على مرأى من النسوة المدهوشات ، وعلى مشهد من الغلمان الذين أذهلتهم المفاجأة وسرعتها الفائقة ، فنظروا إليه مشدوهين فاغرى الأفواه .

الناقشة :

- ١ - ما قيمة عفة المرأة عند العرب ؟ وكيف كان ينظر إليها المجتمع العربي ؟ .
- ٢ - ماذا كان موقف لكيز والد ليلي عند زواجها ؟ .
- ٣ - ما الذي لاقته ليلي بنت لكيز عندما رفضت التفريط في عفتها ؟ .
- ٤ - كيف علم « البراق » بما لحق بليلى ؟ .

٣٦ - رحلة إلى القطب الجنوبي

في يُونية سنة عَشْرٍ وتسعمائة وألف ، أفلعت الباخرةُ « ترانوفًا » من الجزرِ البريطانية تُقِلُّ بعثةً « سكوت » نحو الجنوب ، لتكشفَ معالمَ القطبِ الجنوبي ، ودراسة أحواله المناخية والبيئية .

ضُمَّتْ هذه البعثةُ فِئَةً مختارة من علماء الجغرافيا والحيوان والجيولوجيا ، وسارت الباخرةُ في طريقها نحو الجنوب ، حتى حلَّ ديسمبر من العام ، فأخذت الثلوجُ تقطعُ على السفينةِ طريقها باستمرار ، مما عَطَّلَ سرعتها ، وقد أثبت « سكوت » في تقاريره ، أن السفينةَ في خلالِ عشرين يوماً لم تستطعْ أن تُبحرَ فعلاً أكثرَ من تسعةِ أيامٍ ونصفِ يومٍ ، وعندما أحاطت بهم الثلوجُ لم يستطيعوا التقدم ، وأنهم فقدوا يوماً ونصفَ يومٍ يُحاولون قطعَ طريقهم خلالَ الثلوجِ المتراكمة ، فنفدت كميةٌ ليست بالقليلة من المخزونِ من الفحم .

تحت هذه الظروف ، سارت بهم الباخرة ، حتى بلغوا المحيطَ المتجمد ، ورَسَوْا في أحدِ خلجانِه ، وأقاموا عند رأسِ « أفانيس » مُستودعاً كبيراً لمتاعهم وأدواتهم ، ثم بدءوا المسيرَ

المرجع : كتاب كفاح العلماء في خدمة المجتمع البشري للدكتور عز الدين فراج .

على الثلوج ، وكان الثلج صلباً في بعض المواضع ، ورخوا في غيرها ، فكان يسهل عليهم السير تارة ، ويصعب تارة أخرى كانوا يسيرون ليلاً ، وينامون نهاراً ، لأن الثلج تزداد صلابته في الليل ، فيسهل السير عليه ، أما في النهار فيخفُّ البرد ، فيستطيعون الراحة والنوم .

وظلوا يواصلون السير في رحلتهم هذه حتى وصلوا إلى نقطة أقاموا فيها مستودعاً ، ثم واصلوا السير بعد ذلك .

وكانت الثلوج - بعد هذه النقطة - متراكمة بشكل ضخيم . في قوامٍ طري لا يسمح للزحافات بالسير عليه ، أما الجو فقد كان - من شدة البرودة - لا يُحتمل . وكان على أعضاء الرحلة أن يقفوا بعض الوقت كل بضعة أميال ، لإقامة مأوى صغير ، وترك بعض الأطعمة فيه لاستعمالها في طريق عودتهم .

وبعد فترة من الزمان ، كلَّها جهد وعناء ، بدأت الأمراض تدبُّ بين هؤلاء الأبطال ، وبدأت الذخيرة تقلُّ ، فقرر « سكوت » أن يرجع خمسة منهم : أتكنسون ، ورايت ، وشيري ، وجيرار ، وكيدهن .

وكان ظرفاً قاسياً ، وموقفاً صعباً على هؤلاء الأبطال عند عودتهم ، ولكنهم أذعنوا (١) أخيراً ، وقد عادوا جميعهم ،

(١) أذعنوا : خضعوا وأطاعوا .

ووصلوا آمنين إلى مُستودعهم الأول ، أما « سكوت » ورجاله ،
فواصلوا سيرهم .

وبعد مشاق (١) وأهوال (٢) يعجز الوصف - مهما دق عن
إعطاء صورة صحيحة لها ، وصل « سكوت » ورجاله إلى
« القطب الجنوبي » . لقد حققوا مأربهم (٣) ، ووصلوا إلى
هدفهم ، فما أسعدهم !! .

رفعوا العلم ، وسجلوا النصر الذي كان كالخيال .

وجالوا (٤) بأبصارهم يكشفون ما جاور القطب وما حوله ،
ولكن يا للهشيتهم ! ما هذا ؟ إنها خيمة تقوم إلى جانب
القطب ، وعليها أسماء واضحة الحروف .

رتشارد أمندسن - أولاف جالاند - هيلمو هانسن -
سويرى هاسل - أوسكار وستنج

١٦ ديسمبر سنة ١٩١١

يا لله ! إذن .. بعد كل هذا ، بعد كل الذي قاسوه ، وبعد
الموت الذي شاهدوه بأعينهم ، وبعد كل الجهود التي قل من
يحملها من بني الإنسان ، هل بعد كل هذا يتبين أن غيرهم قد

(١) مشاق : متاعب .

(٢) أهوال : مخاوف وأخطار .

(٣) مأربهم : طلبهم وحاجتهم .

(٤) جالوا : داروا وطاقوا .

سَبَقَهُمْ إِلَى هَذَا الشَّرْفِ الرَّفِيعِ وَالْمَجْدِ الْخَالِدِ !! .
نظروا إلى هؤلاء الذين سَبَقُوهُمْ - إلى هذه البُقعةِ النَّائِيَةِ (١) -

نَظْرَةَ إِعْجَابٍ وَتَقْدِيرٍ ، لَمْ يَشْبَهُهُ (٢) حَسَدٌ أَوْ حِقْدٌ .

كَانَ فِي مَقْدُورِهِمْ أَنْ يُزِيلُوا هَذِهِ الْعَيْدَةَ وَيُنْكِرُوا وُجُودَهَا ،
لِيُبْرِهِنُوا لِلْعَالَمِ عَلَى أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ إِلَى هَذِهِ الْبِقَاعِ وَلَكِنْ
أَبَوْا إِلَّا أَنْ يَكُونُوا شُرَفَاءَ حَتَّى آخِرِ لِحِظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِمْ .

وَعِنْدَ تَحْدِيدِ مَكَانِهِمْ ، لَاحِظْ « سَكُوتَ » أَنْ الْعَلَامَاتِ الَّتِي
أَقَامَهَا « اْمِنْدَسِن » لِتَحْدِيدِ مَكَانِ الْقُطْبِ الْجَنُوبِيِّ ، تَبَعُدُ ثَلَاثَةَ
أَمْيَالٍ وَنِصْفٍ مِيلٍ عَنِ الْمَوْقِعِ الَّذِي حَدَّدَهُ هُوَ ، وَأُثْبِتَ أَنَّ
الْقُطْبَ يَرْتَفِعُ نَحْوَ ٩٥٠٠ قَدَمٍ عَنِ الْبَحْرِ ، وَلَمْ تَلْبِثِ الْبَعْثَةُ
بِمُجَرِّدِ وُصُولِهَا أَنْ بَدَأَتْ رِحْلَتَهَا الطَّوِيلَةَ الْمُتَعَبَةَ الْمَلِيئَةَ
بِالْمُفَاجَأَاتِ إِلَى قَاعِدَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ ، وَبَدَأَتْ الْأَقْدَارُ تُدَاعِبُ هَؤُلَاءِ
الْخَمْسَةَ ، الَّذِينَ كَانَتْ قُوَّةُ احْتِمَالِهِمْ الْجَسَدِيَّةُ ، لَا تُقَاسُ بِقُوَّةِ
إِرَادَتِهِمْ وَعَزْمِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ ، فَكَانَتْ الْأَقْدَارُ تَلْعَبُ بِهِمْ لَعِبَ
الْقِطِّ بِالْفَأْرِ ، حَتَّى أَنْ « سَكُوتَ » نَفْسَهُ كَتَبَ فِي إِحْدَى
مَذَكَّرَاتِهِ يَقُولُ :

« لَقَدْ كَابَدْنَا مِنَ الْمَتَاعِبِ وَالْمَشَاقِ مَا يَعْجِزُ أَيُّ إِنْسَانٍ عَنِ
احْتِمَالِهِ ... وَلَكِنَّا احْتَمَلْنَا كُلَّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ أَهْدَافِنَا .

(١) النَّائِيَةُ : الْقَاصِيَةُ الْبَعِيدَةُ .

(٢) لَمْ يَشْبَهُهُ : لَمْ يَخَالِطَهُ ، وَلَمْ يَمْتَرِجْ بِهِ .

فقد كانت حرارة الجو الذي نعيش فيه : ثلاثين درجة تحت الصفر نهاراً ، وسبعاً وأربعين تحت الصفر ليلاً ، وكانت الرياح تعصف من غير انقطاع .

وكان « سكوت » ورجاله ، يصفون في مذكراتهم هذه البقاع وصفاً دقيقاً شاملاً ، حتى جاءت مذكراتهم صورة كاملة للحياة في القطب الجنوبي ، وكانت كتاباتهم ومذكراتهم ذخيرة علمية عظيمة .

لقد أثبتت - هذه البعثة - أدق الأبحاث الجوية ، ودرست كل التفاصيل الجغرافية ، وكانت هذه الأبحاث - في مجموعها أهم وأكمل أبحاث تمت عن هذا الجزء من العالم .

وأراد « سكوت » ورفاقه العودة إلى مستودع طعامهم ووقودهم ، ولكن هبت عاصفة أقعدتهم عن العودة ، ولم يكن معهم طعام إلا طعام يومين ، ووقود لتسخين طعام يوم واحد ، فأقاموا في خيمتهم أربعة أيام لا يستطيعون الخروج من شدة العاصفة ، وقد أضناهم (١) التعب ، وبلغ منهم كل مبلغ ، وخرج في ذلك الوقت ، بعض رفاقهم من المركز العام للقائهم وإعانتهم ، ويظهر أنهم اقتربوا منهم كثيراً ، ولكنهم لم يعثروا عليهم ، فوافاهم القدر المحتوم في مخيمهم أواخر مارس سنة اثنتي عشرة وتسعمائة وألف ، ولم يهتدوا إلى جثثهم إلا في أكتوبر من نفس العام .

(١) أضناهم : أثقلهم وأجهدهم وأمرضهم .

هكذا مات « سكوت » وبعض رفاقه ... هكذا ماتوا بعد
جهدٍ وعناءٍ ومشقةٍ ... هكذا ماتوا بعد أن مرّت بهم المِحَنُ
والشدائد .

لم يَكُنْ ذلك رَغْبَةً في مَنفعةٍ ، أو جرياً وراء ثروةٍ أو جاهٍ ...
إنما كان حُبّاً في الاستطلاعِ والاستكشافِ ، ورَغْبَةً في كَشْفِ
الحقائقِ المجهولة .

كان في مقدورهم أن يُريحوا أنفسهم من هذا العناءِ ولكن :
وإذا كانتِ النفوسُ كِباراً تَعَبَتِ في مُرادِها الأَجْسَامُ

الناقشة :

- ١ - اعرض صوراً من المتاعب التي لاقاها « سكوت » ورفاقه
في أثناء رحلتهم إلى القطب الجنوبي .
- ٢ - صف مشاعر « سكوت » ورفاقه عندما وصلوا إلى القطب
الجنوبي ، ووجدوا مَنْ سبقهم إلى هذا المكان .
- ٣ - كيف مات « سكوت » وبعض رفاقه ؟ .
- ٤ - اذكر موقفاً مشرفاً للرحلة « سكوت » أعجبك في رحلته
إلى القطب الجنوبي .

٣٧ - الطفولة والامومة عند الحيوان (*)

لا تختص الإنسانية وحدها بالطفولة والامومة ، ففي غير
بني الإنسان أطفال ، وفي غير الناس أمهات ، وفي الأمهات
- كُنَّ ما كُنَّ - حنان ، وفيهن رعاية ، وعندهن العلوم
يُعلِّمنها ، والدروس يُأقِمنها ، ولو أنه على الذكاء المتواضع ،
ومع اللسان الأبكم .

تجد ذلك عند القِطَط ، وعند الكلاب ، وعند الأبقار ،
وعند الخيل والحمير ، كل لها صغار ، ولِلصَّغار من الكبار
الحضانة والتعليم . وكما في المُستأنس من الحيوانات ، تجد
الحال في المُستوحش ، ففي الذئاب ، وفي السباع . . حضانة
وتعليم .

ومن الغريب الممتع ، أن ترى في اللبُّ الطفل ، وفي النمر
الطفل ، والأسد الطفل ، ترى فيها جميعاً لطف الأطفال
ودعاباتهم ، وكلٌّ عاجز لطيفٌ مُداعب ، وتُقدم لها ثدي اللبن
من يدك ، وهو من الزجاج ، فترضع منه ، وهي مُمسكة به
بأيديها ، وقد نبتت فيها المخالب ، كما يُمسك الطفل من بني

(*) المرجع : ساطة عامية للدكتور أحمد زكي « بتصرف » .

الإنسان ، وتُمْسِكُ به على الحَرِصِ الشَّدِيدِ . . كَمَنْ يُمَسِكُ
يُنَابِعَ الحَيَاةَ ، ثم هِيَ تَشَبُّ ، فَتَنْمِرُ أَوْ تَسْتَأْسِدُ ، وَيَظْهَرُ
فِيهَا خُلُقُ السَّبَاعِ ، وَهُوَ الخَلْقُ الوَحِيدُ الذِي يَصْلِحُ عَلَيْهِ العَيْشُ
فِي الأَكْمِ (١) وَالغَابِ .

والحشراتُ قد يكونُ فِيهَا طفولةٌ وتكونُ حَضَانَةً ، والعقربُ
« وهى أبعدُ شَيْءٍ فِي فِكْرِ الإنسانِ عن حَنَانِ » تَحْدِلُ ذرِيَّتَهَا
فوقَ ظَهْرِهَا ، وَتَسِيرُ بِهَا حيثُ تَسِيرُ ، احْتِفَافًا وَرِعَايَةً .

أَرَأَيْتَ الدَّجَاجَةَ تَرَقُدُ عَلَى بَيْضِهَا ، فَإِذَا أَفْرَخَ ، جَرَى
الْفَرخُ وِراءَ أُمِّهِ يَتَّبِعُهَا حيثُما ذَهَبَتْ ، إِنْ يَمَنَةً فَيَمَنَةً ، وَإِنْ
يَسْرَةً فَيَسْرَةً ، وَإِنْ حَادَتْ صِغَارُهَا وَجَارَتْ ، قَرَّقَتْ لَهَا كَأَنَّمَا
تَقُولُ : إِلَى إِلَيَّ وَلَا تَضِلُّوا ، وَيَنْقُرُ طِفْلُ الدَّجَاجَةِ وَيَلْقُطُ كُلَّ
مَا يَلْقَى وَمَا يَجِدُ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ ، وَالدَّجَاجَةُ الأُمُّ : تَعْلُدُهُ
عِنْدَ النَّقْرِ ، وَعِنْدَ اللَّقْطِ . وَمَا يَصْلِحُ لِلطَّعَامِ ، وَمَا لَا يَصْلِحُ .
وَتَلْقُطُ لَهُ الشَّيْءَ المَأْكُولَ - دودَةً كانَ أَوْ نَحْوَهَا - ثُمَّ تَلْقِي
بِهَا عَلَى الأَرْضِ ، ثُمَّ تَعُودُ فَتَلْتَقِطُهَا ، ثُمَّ تَلْقِيهَا مَرَّةً أُخْرَى ،
اسْتِحْثَاثًا (٢) مِنْهَا لِصِغَارِهَا أَنْ تَفْعَلَ فِعْلَهَا ، وَإِفْهَامًا لَهَا أَنَّ
هَذَا مِمَّا يُوَكَّلُ وَيَسْتَطَابُ (٣) .

(١) الأكم : التلال .

(٢) استحاثًا : دفعًا وحضًا وتحريضًا .

(٣) يستطاب : يستحسن ويفضل .



والطَّائِسُ ، لَيْسَ أَحْنَى مِنْ أَنْشَاهُ فِي الطَّيْرِ عَلَى صِغَارِهَا ،
 وَتَطُولُ طِفْلُوهُ الصَّغَارَ ، وَتَمْتَدُّ أَشْهُرًا ، وَيَكْبُرُنْ أَجْسَامًا ،
 وَنَكِنَهُنْ يَظْلَلْنَ لِأُمَّهِنَّ أَطْفَالًا ، وَيَأْتِي اللَّيْلُ ، فَتَقْفِزُ الْأُمُّ إِلَى
 مَرَقَبٍ تَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ لَيْلَهَا ، ثُمَّ هِيَ تَدْعُو أَطْفَالَهَا إِلَى أَنْ يَقْفِزْنَ
 إِلَى حَيْثُ قَفِزَتْ ، ثُمَّ هُنَّ يَتَزَاكِمْنَ حَوْلَهَا وَيَتَقَارِبْنَ مِنْهَا
 وَتَمْتَدُّ جَنَاحِيهَا وَسَعَهَا لِيَتَضَمَّنَّ جَمِيعًا فَلَا تَكَادُ - لِعِظَمِ مَا تَرِيدُ
 أَنْ تَضُمَّ - وَهِيَ تَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّبِيعُ التَّالِيُ ،
 وَالطَّائِسُ الْفَرخُ لَا يَبْلُغُ وَلَا يَكْمَلُ جَمَالَ رِيشِهِ وَلَا ذَلِكَ الذَّيْلُ
 الطَّوِيلَ الْجَمِيلُ ذُو الْأَلْوَانِ الزَّاهِيَةِ الْبَدِيعَةِ ، إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ
 مِنْ إِفْرَاحِهِ . وَلَمَّا طَالَتْ طِفْلُوته فَعُمُرُهُ كَذَلِكَ طَوِيلٌ .

والطفلُ قد يلعب ويستمتع بالذي يصنع ، وقد تكونُ

الطبيعة قد قصدت إلى امتاعه حقاً ، ولكن لم يكن ذلك غرضها الأول فإنما غرضها الأول التحضير لمعركة الحياة ، من رزق يُكتسب .. ولو عدواناً ، ومن دفع للعدوان لا بد منه لطالب الحياة .

انظر إلى القطيطة كيف تصنع في لعبها ، إنك تلقى إليها بالشيء يتدخرج ، فتتهجم عليه كما تهجم على الفأر ، فإذا نالته أخذت تُلعبه كما تُلعبُ الفأر تماماً ، وإذا أنت لاعبت قطيطةً مُلعبَةً خَشِنَةً ، انقلبت على ظهرها ، وأخذت تدفع بمخالبتها في الهواء ، أو هي تفعل ذلك ولم يمسسها أحد ، تفعل ذلك تخيلاً ، وهي إنما تتخيل كلباً هاجمها ، فلا يكون بد لها من حماية ظهرها بالأرض ومواجهة الهاجم العاتى بمخالبتها الأربعة ، وهي تفعل ذلك مراراً وتكراراً ، وتفعله لعباً وتدريباً .

^{جمع جرو}
وأجراء الكلاب يلعب بعضها مع بعض ، وتقذف إلى الجرو بالكرة فيجري وراءها ، ثم يعود بها فيضعها عند قدمك ، ثم ينتظر منك أن تقذف بها مرة أخرى ليعود ... كل ذلك استجابة (١) إلى ما في جبلته (٢) الأولى من صيد كان عماد رزقه في أيامه المخالية المستوحشة الأولى ، والخراف الصغيرة تلعب ، فلا يكون لعبها إلا نطحاً ، وهي لا تحتاج إلى النطح في

(١) استجابة : تلبية وطاعة .

(٢) جبلته الأولى : طبيعته وفطرته .

نسخة بحانية

استئناسها الحاضر ، ولكنها كانت تحتاج إليه في سالف
الأزمان .

وظفولة بني الناس لعب ولهو ، ولكنها في الأصل تحضير
للعيش ، ترى ذلك في ميول الذكر وميول الأنثى ، فالطفل
الذكر يلعب بالقاطرات ، وبالجندي ، وبالسيف ، والمدفع ،
والطائرة ، ولا ترى أنثى تميل إلى شيء من هذا ، ولكن تميل
الأنثى إلى اللعب بالعرائس وبيوت العرائس ، وهي إذا حملت
عروسة حملتها حمل المرضعة .

* * *

ويولد الذكر منا ، وتولد الأنثى ، وبها كثير من الغرائز .
والأم إذ تدرب الطفل وتعلمه ، إنما تخرج هذه الغرائز وتبرزها
وتنسقها ، فالأم لا تخلق ، وإنما تنظم وتوجه وتهيمن (١)
حتى لا تندفع غريزة في غير سبيلها . والطفل - في أثناء نسوه
البطيء - يتعلم الكثير من الأشياء ، من إمساك وإلقاء ، فمشى
فجري فكلام ، وهو يتعلم بالطبيعة في ظل أمه ، ولكل شيء
مما يتعلم أو أن ، لا تستطيع أم أن تعجل به ، إن كل ما يستطيعه
الأم أن ترقب الطبيعة لتفهم أعمالها وتهيئ لفصولها .

خذ مثلاً لذلك المشى : لا بد أن يسبقه الجلوس ، والطفل
يستطيع الجلوس مسنوداً بأمه عند تمام الشهر الرابع ، ثم

(١) تهيمن : تسيطر .

من غير سند في تمام السابع ، ثم هو يقف مسنوداً في الثامن ،
 ويزحف في العاشر ، ويقف مُتَشَبِّهاً بأركان الأثاث إذا أتمَّ
 عامه الأول ، وهو يقف وحده بعد ذلك بشهرين ، وبعد شهر
 من هذا ، أعني إذا بلغ عاماً وثلاثة أشهر ، استطاع المشي
 وحده ، وكل هذه تواريخ تقريبية تُعطي صورةً نسبيةً ،
 تستطيع الأمُّ منها أن تعرف ما تنتظره ، وهي تنتظره ، حتى
 إذا جاء وقت خطوةٍ منها أعانت عليها ، وهي خطوةٌ من خطواتِ
 الطبيعة لا خطواتِ الطفل ، فهي من أجل هذا لا تستطيعُ
 الإسراعَ بها ، وهي لو حاولت لنتج عن الإسراعِ التأخيرُ
 والتأجيل ، فالطبيعةُ تكررُ التدخلَ فيما لا يعنى سواها ، ذلك
 أن لكل خطوةٍ حاجاتٍ في داخلِ الجسمِ لا بدَّ من قضائها ،
 وصلات لا بدَّ من وصلها (١).

الأم مدركة
 وعلى الرغم من أن الأم توجه الغرائز ولا تخافها ، فعمل
 الأم أكثر أعمال الدنيا إرهاقاً **(١)** يعرف هذا كل رجل ابتلى
 برعاية طفل خرجت أمه اليوم كله ، تلذ له الرعاية في الساعة
 الأولى ، ثم يحتملها في الثانية ، ثم يضيقُ بها في الثالثة ،
 ثم يغضبُ لها في الرابعة ، ثم تنقلبُ صراخاً مفهوماً وغير
 مفهوم في سائر الساعات ، لكن الأمومة على إرهاقها أنفعُ
 شيء في الوجود ، لأنها مهد الحياة وتمهيد لها .

(١) صلوات لا بد من وصلها : ربط بعضها ببعض .

الناقشة :

- ١ - لا يختص الإنسان وحده بالطفولة والأمومة ... وضح ذلك.
- ٢ - لأمهات الحيوانات عناية بصغارها ، اذكر بعض مظاهر هذه العناية .
- ٣ - الأم تلعب مع صغارها لتوجه الغرائز وتنميتها ... اشرح هذه العبارة مع التمثيل .

٣٨ - الإسلام دين القوة ودين الحياة (*)

الإسلامُ دينُ القوة ، يدعو المؤمنين إلى الأخذ بأسبابها ، ويرسُم لهم الطريق التي تُوصلهم إليها .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : « لو أنى فعلتُ كذا كان كذا » ولكن قل : « قدر الله ، وما شاء فعل » ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان » .

وفي هذا الحديث يُقرر رسولنا صلى الله عليه وسلم أن المؤمن

القوي أفضل من المؤمن الضعيف وأحب إلى الله ، وأن في كليهما

بعض الخير بوصفه مؤمناً ، وتتجلى قوة المؤمن في الحرص على

كل نافع ، والاستمداد من قوة الله التي لا يعجزها شيء ،

والمثابرة على الكفاح دون استسلام ولا ضعف ، والصبر

عند وقوع المصائب دون استرسال مع الأوهام ، ولا خضوع

لوساوس الشيطان .

والإسلام يطالب المؤمن بأن يكون يقظاً للفرص ينتهزها ،

ويستفيد منها ، وكل ما ينفع المؤمن في هذه الحياة وفي الحياة

(٥) للأستاذ الدكتور الحوفي (بتصرف) .

أَوْ مُتَقَاعِداً (١) فَيَتَخَلَّفُ ، مع أنه هو الذي يجب أن يسبق (٢) وأن يستغنى ، وأن يعجز . ^{الخزائن السرية} والإسلام يُغلق باب الأوهام والأمانى الباطلة (٣) لأن المؤمن ينبغي أن يعيش لغده لا لأمسه (٤) وأن يكون عملياً واقعياً (٥) لا حالماً ولا مخدوعاً (٦) وإذا كان كل إنسان في هذه الحياة عرضة للإخفاق (٧) أحياناً ، وهدفاً لأحداث الأيام أحياناً أخرى (٨) فليستقبل ما يعترض طريقه بروح المؤمن الحق (٩) يعلم أنه قدر الله ومشيئته (١٠) وأن وقوعه لم يكن بدمه (١١) ويعاود العمل والكفاح ، واثقاً من الوصول إلى هدفه .



الناقشة :

- ١ - ما مظاهر قوة المؤمن كما جاء في الحديث النبوي الشريف؟
- ٢ - لماذا كان المؤمن القوى خيراً من المؤمن الضعيف؟
- ٣ - ما الفعال والخصال التي يُمكّتها الإسلام على ضوء ما قرأته في هذا الموضوع؟

(١) متقاعداً : متكاسلاً : متخلفاً .

(٢) الإخفاق : الفشل .

٣٩ - الشباب والترف

الشباب في كل أمة هم عمادها الذي عليه تقوم ، وقوتها الى بها تنهض ، وذخيرتها التي تلجأ إليها عند الشدائد ، ومن الخير لهم ولبلادهم أن يشبوا أقوياء مبرئين من أسباب الضعف ودواعي الانحلال .

ومن الوفاء لهم ولأمتهم : أن يجدوا الناصح الأمين الذي يرشدهم إلى طريق الهداية ، ويأخذ بأيديهم إلى أسباب المجد ، لتبلغ بهم الخير ، وتجنبهم مزلق (١) الحياة ، فلا يضلوا ولا يشقوا .

إن للشباب ابتهاجه ومرحه ، ونشاطه وطربه ، وله حظه المحمود من متع الحياة ومباهج الدنيا ، والعناية بهيئته وهندامه ، كل ذلك في حدود الاعتدال ، وما ترسمه قوانين الخلق الرفيع ، والأدب الأسمى ، في غير إسراف ولا تضيق ، ذلك أن الإسراف مهلكة ، والتضيق حرمان من غير مسوغ ، وقسوة غير مشروعة ، وليس معنى هذا أن ينطلق الشاب في ميدان المتع بغير قيد ، أو يجرى وراء مباهجه بغير حساب ، أو أن يفرغ للتجمل والتصنع على الوجه الذي لا يليق بالفتى الحر الأبى ، غافلاً

(١) المزلق : جمع مزلق وهو المكان الذي لا تثبت فيه القدم .

عن مهمته الكبرى ، وعمله الأصيل في المجتمع ، كالذي نشهده
من بعض الشباب الأغرار (١) وهم بحمد الله قليل .
إن الشباب - في كل أمة - هم عصب حياتها ، ومصدر
قوتها ورجائها .

إن البلاد ليست في حاجة إلى الشباب ذوى الأجسام الغضة ،
والقدود المتشنية ، والرئوس الخاوية ، ولكنها في حاجة شديدة
إلى العضل المجدول ، والساعد المفتول ، والإرادة الحديدية ،
والخلق المتين ، والعلم النافع .

فما عسى أن نجد في شباب مترف ريان العظام متخاذل
الأوصال ؟ أيصلح أن يكون طياراً يحلق في السماء ، ويشق
أجواز الفضاء ؟ أو جندياً يجود بروحه ذوداً عن بلاده ،
فيقتحم الصفوف ويصافح الموت ؟ أو رحالة يطوى المجاهل
والقفار ويحمل اسم بلاده إلى ما وراء البحار ؟ أو باحثاً يجلس
إلى مكتبه الساعات الطوال ، يعصر فكره ، ويضني جسمه ،
ليحقق ويستنبط ويبتكر ؟ أو زارعاً يقرسه البرد ، ويصهره
الحر ، وهو دائب لا يبالي ؟ أو عاملاً يكدح في غير سأم ،
ويكد في غير انقطاع ؟ ..

إن التنعم - في حدوده - مقبول ، بل مطلوب ، والترف
في غير مبالغة دواء لمتاعب الحياة ، ولكن الإسراف فيهما :

(١) الأغرار : جمع غر ، وهو الجاهل الذي لا خبرة فيه .

هو البلاء الذي يبيد الأمم ويقضى عليها ، فإذا ما ظهرت
أعراضه في أمة ، فسرعان ما يتصدع بناؤها ، وتضعف قوتها ،
وتتفشى فيها الأمراض الاجتماعية ، ولا تلبث أن تهوى صريعة .

ولو استعرضنا التاريخ ، وفتشنا عن أسباب فناء الدول
- وكثير منها عرف بالأحوال والطول - لوجدنا المبالغة في الترف
علة العلل في انتقاص ظلالها ودنو آجالها . فهل للشباب أن
ينتبهوا لذلك ، ويحذروا الانغماس في اللهو ، وينصرفوا إلى
معالي الأمور ، ويتوفروا على ما هم بسبيله : من تحصيل درس
مفيد ، أو مزاولة عمل نافع ، ومقاومة خلق ضار .

إن الوقت لا ينتظرهم ، والوطن لا يعذرهم ، والفرصة
تمرر السحاب وهم يعيشون في القرن العشرين ، عصر الاختراع ،
والابتداع ، والنضال ؛ وقد استأثرفيه القوى بالخيرات ،
وباء الضعيف بالحسرات .

إنهم في مهرجان الحياة وعنفوان الصبا ، وقدرتهم على
العمل عظيمة ، وصدرهم من الهموم فارغ ، فعليهم أن يغتنموا
الفرصة السانحة لتحقيق آمالهم ، وإعلاء شأنهم وشأن بلادهم .

إن النضارة والقوة التي تفيض منهم فيضاً .. ليست ملكاً
لهم ، وإنما هي ملك للوطن الذي يتطلع إلى أن يكونوا مثل
الآباء السابقين خلقاً وعملاً ، ومِلكٌ للجيل الحاضر الذي
من حقه أن يرى الشباب في طليعة القافلة ، يشيدون بذكر

الآثار المخالدة ، ويرفعون شأن العرب بين الأمم ، وملك
للأجيال المقبلة ، الى ترسم خطاهم ، وتنسج على منوالهم ،
وتفتخر بأعمالهم ، وتتحدث عن آثارهم .

* * *

الناقشة :

- ١ - لماذا كان الشباب في الأمة ذخيرتها ؟ .
- ٢ - ما رأيك في الشباب المتنعم المترف المبالغ في الزينة ؟ .
- ٣ - لماذا تدفع بلادنا شبابها إلى التعلّم والقوة ؟ .
- ٤ - ما التنعم المطلوب في الحياة ؟ ولم كان الإسراف بلاء ؟ .
- ٥ - كيف يخدم الشباب وطنه ؟ .

٤٠ - جمال الأزهار

لا أدل على أهمية الأزهار والورود وجمالها من تلك الحكمة الصينية القائلة :

« إذا كان لديك رغيفان من الخبز فبع أحدهما ، واشترِ بثمنه زهراً وورداً » ، ما أصدق هذا القول ، فنحن بالخبز لا نستطيع إلا تغذية الجسد ، أما بالخبز والزهر والورد فنستطيع أن نُغذي الجسد والروح معاً .

لهذا كان فن تنسيق الأزهار لا يقل أهمية وقيمة عن فن طهو الطعام وتقديمه ، فهذا غذاءٌ روحي ، وذلك غذاءٌ مادي ، وما أحوجنا إلى الاثنين معاً .

* * *

وعند تنسيق الأزهار ينبغي أن يتناسب لونها مع اللون السائد في الغرفة ، فالغرفة التي يسود فيها اللون الأزرق ، لا يحسن تجميلها بأزهار زرقاء اللون ، وكذلك الغرفة التي يسود فيها اللون الأحمر ، لا يناسبها اختيار الورود الحمراء .

ويلعب الضوء دوراً هاماً في تنسيق الأزهار وإبراز جمالها ، فكثيراً ما نجد بعض الأزهار أجمل من غيرها ، في الضوء الضعيف ، بينما نجد البعض الآخر يبدو قوياً جذاباً رائعاً

في الضوء القوي ، سواءً أكان هذا الضوء طبيعياً أم صناعياً ، فالورود الحمراء والأزهار الزرقاء والبنفسجية لا يرى كل جمالها وحسنها إذا وُضعت في أركان ضعيفة الإضاءة ، ولكنها إذا وُضعت في مواضع مضيئة ، بالقرب من شرفة أو نافذة ، بدت فاتنة ، ساحرة ، رائعة . أما الأركان المعتمة ، أو الضعيفة الإضاءة ، فأكثر ما يناسبها الأزهار البيضاء والصفراء والبرتقالية اللون ، إذ تبدو - في هذه الأركان - أكثر وضوحاً للعين ، وتبدو هذه الأركان لنا .. كأنها أكثر إضاءةً عن ذي قبل .

ولا يمكن لمنسق الأزهار أن ينجح في مهمته ، من غير أن يضع أمام عينيه التناسب بين حجم الأزهار وحجم الأنية التي ستوضع فيها ، فلا ينبغي ، أن توضع الأزهار الكبيرة ، أو ذات السيقان الطويلة ، في آنية صغيرة ؛ كما لا توضع الأزهار الصغيرة ، أو قصيرة الساق ، في آنية كبيرة ؛ حتى لا تكون كالصبي الذي يرتدي ستره والده .

ولكى يتم التناسب بين طول الأزهار وحجم الأنية ، ينبغي أن يكون ارتفاع مجموعة الأزهار - بما فيها من أوراق - قدر طول الإناء مرة ونصف مرة ، مع مراعاة ألا يزيد على ذلك .

وبجانب تناسب طول الأزهار وحجمها مع طول الأنية وحجمها ، يجب أن يتناسب حجم الأنية - بما فيها من أزهار -

مع حجمِ الغرفةِ كُلِّها ، فلا تُوضعُ آنيةٌ كبيرةٌ في غرفةٍ صغيرةٍ ، ولا تُوضعُ آنيةٌ صغيرةٌ في غرفةٍ كبيرةٍ .

ويُنْبَغِي ألا تكونَ آنيةُ الأزهارِ مُلوَّنةً بألوانٍ قويةٍ ساطعةٍ ، أو مُطعمَةً بالزجاجِ أو العاجِ ، أو مرسوماً عليها نُقوشٌ زاهيةٌ ، فمِثْلُ هذه الأواني تَطْغِي على الأزهارِ فتَحْتَلُّ المكانَ الأوَّلَ ، وتجعلُ الأزهارَ الموضوعَةَ فيها في المكانِ الثاني ، وعموماً يجبُ عندَ اختيارِ آنيةِ الأزهارِ ، أن تُراعى البساطةُ ، والاتِّساعُ الكافيُّ ، والارتِفاعُ الملائمُ .

ويجبُ تجنبُ وضعِ الأواني الكبيرةِ ذاتِ الأزهارِ الطويلةِ على نَصْدِ وَسْطِ الغرفةِ ، حتى لا تَحْجُبَ رُؤيةَ بعضِ الجالسينِ عن البعضِ الآخرِ .

وأحسنُ مكانٍ لمثلِ هذه المجموعةِ الكبيرةِ أو الطويلةِ من الأزهارِ ، هو أحدُ أركانِ الغرفةِ . أما الأزهارُ القصيرةُ ، والموضوعَةُ في أطباقٍ أو في أوانٍ قصيرةٍ ، فهي أكثرُ ملاءمةً لموائدِ الطعامِ .

وعندَ تنسيقِ أزهارٍ مختلفةِ الأطوالِ ، يُراعى وضعُها حسبَ أطوالِ أعناقِها ، بحيثُ تَظْهَرُ مُتدرِّجَةً ، الأزهارُ الطويلةُ من الخلفِ ، ثم المتوسطةُ ، ثم القصيرةُ في الأمامِ . وهذا التنسيقُ يُمكنُ النَّظَرَ إليه من جهةٍ واحدةٍ ، وهو أنسبُ ما يكونُ لتجميلِ رُكنٍ من أركانِ البيتِ .

وإذا لم يَكُنْ بُدٌّ من الجمع بين الورد والأزهار ، فينبغي أن تكون الأزهار أصغر حجماً ، على أن توضع في مستوى منخفض عن مستوى الورد ، حتى لا تغطي هذه الأزهار - بكثرتها ووضعها - على الورد ، فتسلبها ما فيها من حسن وبهاء ، فما الأزهار - في مثل هذا الوضع - سوى وصيفات يُحظن بالورد ، وبذلك يتحقق قول الشاعر العربي :

لِلوَرْدِ عِنْدِي مَحَلٌّ لَأَنَّهُ لَا يَمَلُّ
كُلَّ الرِّيحِ حِينَ جُنْدٌ وَهُوَ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ

وفي مناسبة أخرى يقول الشاعر العربي :

جَمَعَ الوَرْدُ خِصَالًا لَمْ تَكُنْ فِي نَظَائِهِ
حُسْنٌ لَوْ جَعَلَ الزَّهْرَةَ مِنْ تَحْتِ لِيَوَائِهِ

الناقشة :

- ١ - لماذا يرى الكاتب ضرورة انسجام ألوان الأزهار مع الألوان السائدة في الغرفة التي توضع فيها هذه الأزهار ؟
- ٢ - كيف تختار أزهاراً للأركان المضيئة ؟ وكذلك للأركان المعتمة أو ضعيفة الإضاءة ؟ .
- ٣ - لا بد من تناسب أطوال الأزهار مع أطوال الأنية التي توضع فيها .
وضح هذا في ضوء ما قرأته في هذه القطعة .
- ٤ - ما الذي تجب مراعاته عند تنسيق الورد مع الأزهار في مجموعة واحدة ؟ .

٤١ - سرب الجراد

كان أحد الرحالة يَجُوبُ الصَّحَارَى ، وكانت رِحَلَاتُهُ فِيهَا هَوَايَتُهُ الْمَحْبُوبَةَ الْمُفَضَّلَةَ ، وَبَيْنَمَا كَانَ يَجُوبُ صَحْرَاءَ بِلَادِ الْعَرَبِ ، شَاهَدَ أَرْضًا كَسَاهَا الْجَرَادُ ، فَتَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى الْبَقَاءِ فِيهَا بَضْعَةَ أَيَّامٍ - لِيَدْرُسَ عَنْ قُرْبٍ - طِبَائِعَ هَذِهِ الْحَشْرَاتِ وَعَادَاتِهَا .

وَنَصَبَ الرَّحَالَةَ خَيْمَتَهُ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ هَذَا الْجَرَادِ ، وَرَاحَ يَتَأَمَّلُ حَرَكَاتِهِ ، وَيُرَاقِبُ مَا يُصِيبُهُ مِنْ تَغْيِيرٍ ، فَرَأَى بَعَيْنِهِ كَيْفَ يَفْقَسُ بَيْضُ الْجَرَادِ وَتَخْرُجُ مِنْهُ صِغَارٌ بِلاَ أَجْنِحَةٍ ، وَكَيْفَ تَكْبُرُ هَذِهِ الصِّغَارُ وَتَكْتَمِلُ أَجْنِحَتُهَا . وَقَدْ شَاهَدَ مَرَّةً - وَهُوَ جَالِسٌ يَكْتُبُ مَذَكَرَاتِهِ الْيَوْمِيَّةَ - جَرَادَةً تَضَعُ بَيْضَهَا ، فَكَتَبَ يَقُولُ : « أَدْرَكْتُ الْيَوْمَ أَنَّهُ لَيْسَ الْإِنْسَانُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُحَافِظُ عَلَى نَسْلِهِ وَيَرَعَاهُ ، بَلِ الْجَرَادُ يَشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ أَيْضًا . لَقَدْ شَاهَدْتُ الْيَوْمَ أَنْشَادَ وَهِيَ تَضَعُ الْبَيْضَ ... لَمْ تَضَعْهُ كَيْفَمَا اتَّفَقَ . بَلِ حَفَرَتْ لَهُ بِمُؤَخَّرِهَا حَفْرَةً صَغِيرَةً ، ثُمَّ وَضَعَتْ فِيهَا الْبَيْضَ ؛ لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ ، بَلِ غَطَّتْهُ بِمَادَةٍ لَزِجَةٍ ؛ لَوْقَايَتِهِ مِنْ عَوَامِلِ التَّلْفِ ، حَتَّى تَضْمَنَ لِنَسْلِهَا الْبَقَاءَ . وَهَضَّتْ أَيَّامًا تَضَاعَفَ فِي خِلَالِهَا عَدَدُ هَذَا الْجَرَادِ ، وَتَزَاوَحَتْ جُمُوعُهُ .

وَفَجَاءَ رَأَى هَذَا الرَّحَالَةَ عَدَدًا قَلِيلًا مِنْهُ بَدَأَ يَطِيرُ فَوْقَ
 جُمُوعِ الْجَرَادِ الْمُسْتَقَرَّةِ الْمُتَزَاكِمَةِ ، وَيُحَلِّقُ فَوْقَهَا ، وَيَحُومُ
 حَوْلَهَا . وَظَلَّ هَذَا الْعَدْدُ مِنَ الْجَرَادِ يَحَلِقُ وَيَطِيرُ ، حَتَّى تَضَاعَفَ
 عَدْدُهُ ، وَشَعَرَتْ بِهِ بَقِيَّةُ الْجُمُوعِ مِنَ الْجَرَادِ ، فَانْضَمَّ إِلَيْهِ مَنْ
 انْضَمَّ ، وَفِي النِّهَايَةِ ، تَحَوَّلَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ إِلَى هِجْرَةٍ وَرَحِيلٍ .
 وَأَنْطَلَقَتْ جُمُوعُ الْجَرَادِ تَطِيرُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَمَلَأَتِ الْفُضَاءَ ،
 وَأَصْبَحَتْ كَالسَّحَابِ الْمُعْتَمِ . وَوَقَفَ الرَّحَالَةُ يَنْظُرُ إِلَى هَذَا
 السَّرْبِ الطَّائِرِ فِي حَيْرَةٍ ، وَأَخَذَ يَسْأَلُ نَفْسَهُ :
 هَلْ أَتْرُكُ هَذَا السَّرْبَ مِنَ الْجَرَادِ يَذْهَبُ وَشَأْنَهُ ، أَمْ أَتَّصِلُ
 بِالْهَيْئَاتِ الْحُكُومِيَّةِ لِتَكُونَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ ؟ ... وَكَيْفَ يَتِمُّ هَذَا
 الْاِتِّصَالُ ، وَأَنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الصَّحْرَاوِيَّةِ الْبَعِيدَةِ ؟ .

وَبَعْدَ تَفَكِيرٍ عَادَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ :

سَوْفَ يَنْزِلُ السَّرْبُ فِي الْحَقُولِ ، وَيُتَلَفُ نَبَاتُهَا ، وَيُجَرِّدُهَا
 مِنْ خُضْرَتِهَا ، وَسَوْفَ يَنْزِلُ بِالْحَدَائِقِ فَيَجْعَلُهَا سَيِّقَانًا وَأَعْوَادًا
 خَشَبِيَّةً جَافَةً ، لَا جَمَالَ فِيهَا وَلَا خُضْرَةً .

عِنْدئذٍ أَدْرَكَ هَذَا الرَّحَالَةُ النِّتَائِجَ الْخَطِيرَةَ ، وَالْخَسَائِرَ
 الْمَالِيَّةَ الْكَبِيرَةَ ، الَّتِي سَيُسَبِّبُهَا هَذَا السَّرْبُ ، إِذَا تَرَكَ وَشَأْنَهُ ،
 وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُبْلِغَ الْعِجَاهَاتِ الْحُكُومِيَّةَ ، مَهْمَا كَانَتْ بَعِيدَةً ،
 وَمَهْمَا كَلَّفَهُ ذَلِكَ مِنْ تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ .

رَكِبَ الرَّحَالَةُ بَعِيرَهُ الَّذِي أَنْطَلَقَ بِهِ يَعدُو إِلَى أَقْرَبِ مَرْكَزِ

للشرطة ، فوصل إليه مُضْعَعُ الجِسم ، من شدة التعب ، وقدم
الرحالة كل بياناته عن سرب الجراد واتجاهه .

وراح ضابطُ الشرطة يتصل بالهيئات الحكومية ، وهذه
بدورها اتصلت بجميع رجالها الفنيين ، فقاموا جميعاً يتأهبون
للقاء هذا العدو القادم .

وفجأة ظهر سربُ الجراد في سماء بلاد العرب ، فكان الرجالُ
والأطفالُ في انتظاره ، يصيحون ، ويطلقون النيران ، ويدقون الطبول ،
كلُّ ذلك ليطرده بعيداً ، ويمنعوه من النزول في أرضهم .

وقد تحقق لهم ما أرادوا ، ونَجَوْا من شرِّ هذا العدو
الخطير ، بفضلِ هذا الرحالة الذي أنذرهم ، وجعلهم على
استعدادٍ لمُطاردته .

وراح السربُ يواصلُ سيره ، من غيرِ أن يصادفه مطرٌ
غزير ، أو ريحٌ شديدة تُفرِّقُ جمعه ، وتُضعِفُ قوته . وظل
السربُ مثابراً على السير ، حتى بدأ يحلقُ فوق البحرِ الأحمر ،
متَّجهاً نحو الشمال الغربي ، عندئذ اتصل الفنيون المسئولون في
المملكة بزملائهم في الأقطار العربية المُجاورة ، فعلمت مصرُ
باتجاهِ السرب ، وراحت تستعدُّ لمُقاومته والقضاء عليه .

ونزل سربُ الجراد في إحدى القرى العربية ، فجمع أهلُ
القرية جموعهم ، وخرج كبيرهم وصغيرهم إلى الحقول مُتعاونين
لصدِّ هذا العدو ومُقاومته والقضاء عليه ، في أقرب وقتٍ مُستطاع .

وَنَظَّمَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ صُفُوفَهُمْ ، فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ يُعِدُّ الطَّعْمَ السَّامَ
بِخَلْطِ النَّخَالَةِ بِمَوَادِّ سَامَةٍ ، وَرَاحَ آخَرُونَ يَنْشُرُونَهُ فِي الْحَقُولِ ،
فَأَلْتَهُمُ الْجَرَادُ وَمَاتَ .

وَتَطَوَّعَ فَرِيقٌ ثَالِثٌ مِنْهُمْ فِي فِرْقَةٍ قَازِفَاتِ اللَّهَبِ ، وَرَاحُوا
يُسَلِّطُونَ نِيرَانَهُمْ عَلَى الْجَرَادِ الزَّاحِفِ أَوْ الْمُسْتَقِيرِ فَوْقَ الْحَشَائِشِ
وَالْأَعْشَابِ لِحَرْقِهِ .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ دُقَّتِ الطُّبُولُ فِي أَنْحَاءِ الْقَرْيَةِ ، اِحْتِفَالًا
بِالْقَضَاءِ عَلَى هَذَا الْعَدُوِّ الْخَطِيرِ الَّذِي جَاءَ لِيَسْلُبَهُمْ قُوَّتَهُمْ
وَقُوَّتَ عِيَالِهِمْ .

الْمُنَاقِشَةُ :

- ١ - شَاهِدِ الرَّحَالََةَ بِنَفْسِهِ كَيْفَ تَخْرُجُ صِغَارُ الْجَرَادِ مِنَ
الْبَيْضِ ، وَسَجِّلْ مَا رَأَى فِي مَذَكْرَاتِهِ ؛ فَمَاذَا كَتَبَ ؟ .
- ٢ - مَاذَا فَعَلَ الرَّحَالََةُ عِنْدَمَا رَأَى سَرِبَ الْجَرَادِ يَطِيرُ ؟ .
- ٣ - مَاذَا يَفْعَلُ سَرِبَ الْجَرَادِ إِذَا نَزَلَ فِي الْحَقُولِ وَالْحَدَائِقِ ؟ .
- ٤ - مَاذَا فَعَلَ النَّاسُ عِنْدَمَا نَزَلَ سَرِبَ الْجَرَادِ فِي بِلَدَتِهِمْ ؟ .
- ٥ - لَوْلَا تَعَاوَنَ الْإِنْسَانُ مَعَ أَخِيهِ الْإِنْسَانِ ، وَلَوْلَا تَعَاوَنَ الدُّوَلُ
الْمُجَاوِرَةَ لَمَا اسْتَطَعْنَا مَقَاوِمَةَ أَسْرَابِ الْجَرَادِ ؛ اشرح ذلك .

٤٢ - الشرف (*)

الشرفُ كلمةٌ صغيرةٌ ولكن معانيها كبيرة ، فهي تشملُ كثيراً من الفضائلِ الى يجبُ أن يتحلَّى بها الإنسانُ الكاملُ .
وليس الشرفُ في المال الوافرِ ، والقصور الشامخة ، أو الأثاثِ والرياشِ الفاخرة ، وإنما هو في الأعمالِ الجليلة التي تسمو بالفرد وترقى بالمجتمع ، وفي تلك البطولةِ التي تكسبُ الوطنَ عزاً ورفعةً .

وترى في القطعة الآتية تصويراً للشرفِ الرفيع الأصيل الذي يستحق التكريم :

الشرفُ كلمةٌ تنطقُ بها طوائفُ من الناس ، إلا أن أكثرهم عن حقيقة معناها غافلون ، فئةٌ ترى الشرفَ في تشييد (١) القصور ، والتعالى في البنيان ، وزخرفةِ الغرفِ والجدران ، ووفرة (٢) الخدم والحشم (٣) ، والقناطير المُنظرة (٤) من الذهب

(٥) للشيخ محمد عبده . مفتى الديار المصرية سابقاً .

(١) تشييد : إقامة وبناء .

(٢) وفرة : كثرة .

(٣) حشم الرجل : خاصته الذين يغضبون له من أهل وعبيد وجيرة .

(٤) المنظرة : المكملة المتممة .

والفضة ، والخيل المَسُومَة (١) ، والأنعام والحَرث ؛ وَفِئَةٌ أُخْرَى
تَتَوَهَّمُ أَنَّ الشَّرْفَ فِي لُبْسِ الْفَاخِرِ مِنَ الثِّيَابِ ، وَالتَّحَلِّيِ بِحُلِيِّ
الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ ، وَنَيْلِ الْأَلْقَابِ وَالرُّتَبِ وَالْأَوْسِمَةِ ، حَتَّى إِنَّكَ
تَرَى الرَّجُلَ يُغَالِي فِي سَلْبِ مَالِ أَخِيهِ ، وَيَنْهَبُ ثَرْوَةَ أَقَارِبِهِ
وَذَوِيهِ (٢) ، أَوْ بَنِي مِلَّتِهِ وَمُوَاطِنِيهِ ، لِيَشِيدَ بِمَا يُصِيبُ مِنْ
السُّحْتِ (٣) قَصْرًا ، وَيُزَخْرَفَ بَيْتًا ، وَيُقِيمَ لَهُ حُرَاسًا مِنَ الْخَدَمِ ،
وَخُفْرَاءَ مِنَ الْغِلْمَانِ ، وَيَظُنُّ بِذَلِكَ أَنَّهُ نَالَ مَجْدًا أَبَدِيًّا وَفَخَارًا
سَرْمَدِيًّا (٤) ، وَتَجِدُ الْآخَرَ يَذْهَبُ فِي الْكَسْبِ أَشْنَعَ مِمَّا يَذْهَبُ
الْأَوَّلُ ، لِيَكْتَسِبَ بِفَاخِرِ الثِّيَابِ ، وَيَتَزَيَّنَ بِأَجْمَلِ الْحُلِيِّ ،
أَوْ لِيَكُونَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُفَاخِرُ بِهِ أَمْثَالَهُ ، وَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُ بَلَغَ بِهِ
دَرَجَةً مِنَ الرَّفْعَةِ لَا يُدَانِي (٥) فِيهَا . وَمِنْهُمْ ثَلَاثٌ يَسْهَرُ لَيْلَهُ ،
وَيَقْطَعُ نَهَارَهُ بِالْفِكْرِ فِي وَسِيلَةٍ يَنَالُ بِهَا لَقَبًا مِنْ تِلْكَ الْأَلْقَابِ ،
أَوْ يَحْصُلُ بِهَا عَلَى وَسَامٍ مِنَ الْأَوْسِمَةِ ، وَهُوَ لَا يُبَالِي فِي ذَلِكَ
بِالْوَسَائِلِ الَّتِي يَتَّخِذُهَا عَوْنًا عَلَى مَارِبِهِ ، وَإِنْ أَفْضَتْ إِلَى الْإِضْرَارِ
بِبِلَادِهِ ، أَوْ إِذْلَالِ أُمَّتِهِ ، أَوْ تَمْزِيقِ مِلَّتِهِ .

نحن نرى هذه الأوهام قائمة مقام الحقائق في أذهان كثير

(١) الخيل المسومة : التي عليها علاماتها .

(٢) ذويه : أقاربه وأصحابه .

(٣) السحت : الحرام .

(٤) سرمدياً : دائماً .

(٥) لا يداني فيها : لا يقاربه فيها أحد .

من الناس ، ولكن لا نزنُّ أنها قد طَمَسَتْ (١) عَيْنَ الحقِّ فيهم ،
حتى عَمُوا عن إدراكِ خطيئهم ، وانحرفِهم عن الصواب في
وهدبهم .

ماذا يشعر به المُفَاخِرُ بِحُلِيِّهِ وَمَلَابِسِهِ ورياشه إذا تجرَّدَ
منها ، ولم يكنْ لِدَاتِهِ حِلْيَةً من الفضيلة وزينة من الكمال ؟
ألا يكونُ هو وعُرَاةُ الفقراءِ سواء ؟ ماذا يتصورُ الزاهي برُتبتِهِ ،
المُعْجَبُ بِأَوْسَمَتِهِ إن لم يكنْ له من الخُلُقِ ما يَسْتَدْعِي التَّبَجِيلَ
والإجلال ؟ .

نعم . . لهدد الألقابِ الشريفة شأنٌ يرتفع به الإنسانُ ، إذا
سُبِقَتْ بِعَمَلٍ يَعْتَرِفُ النَّاسُ جَمِيعًا بِشَرَفِهِ ، وكان اللقبُ دليلاً
عليه أو مُشِيرًا إليه ، كما يكونُ لِمِثْلِهَا حالٌ يَسْقُطُ بِهَا التَّقْدِيرُ
والشرف إذا تَقَدَّمَتْهَا فَعَلَةٌ يَمَقَّتْهَا الْعُقَلَاءُ .

انظر إلى أولئك الأبطالِ الذين جاهدوا ودافعوا عن بلادهم ،
وكافحوا في سبيلِ إعزازِ وطنهم ، والدفاع عن دينهم ، ثم
أحلتهم أمتهم محلاً رفيعاً ، ومنحتهم ما يستحقون من شريفِ
الألقاب . ثم انظر إلى أولئك الذين لَطَخُوا صُدُورَهُمْ بِأَوْسَمَةِ ،
ودنسوا نفوسَهُم بِأَلْقَابِ ، نالوها من أعداءِ البلادِ جزاءً تمكينِ
الأجانبِ المُخَادِعِينَ من هذا الوطنِ العزيز .

ماذا غرُّ أولئك الواهمين ؟ ألا يعلمون أن الثيابَ المُعْلَمَةَ

(١) طمست : محت واستأصلت .

بالدم ، والمَوْشَاةَ (١) بالنَّجِيعِ (٢) ، هي التي حَفِظْتَ لِإِبْسِهَا
ذِكْرًا حَسَنًا لَا يَنْقُطِعُ ، وَأَثْرًا مَجِيدًا لَا يَمْحَى .

إِنَّ الَّذِينَ ضُرِّجُوا (٣) بِدِمَائِهِمْ فِي طَلْبِ الْمَجْدِ لِبِلَادِهِمْ ،
هَمُّ الَّذِينَ خَشَعَتْ لَذِكْرِهِمُ الْأَصْوَاتُ ، وَأَجْمَعَتْ عَلَى فَضْلِهِمُ
الْقُلُوبُ .. أَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ أَنَّ الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ (٤) فِي غِيَابَاتِ (٥)
التَّشْرِيدِ ، وَانْتَهَتْ حَيَاتِهِمْ فِي ظُلُمَاتِ السَّجْنِ ، لَطَلَبَ حَقًّا
مَسْلُوبًا ، أَوْ حَفِظَ مَجْدًا مُغْتَصَبًا ، هَمُّ الَّذِينَ سَمَا ذِكْرُهُمْ إِلَى
السَّمْتِ (٦) الْأَعْلَى ، وَعَلَتْ أَسْمَاؤُهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ .

أَظُنُّ أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْغُرَفَاتِ الْعَالِيَةِ ، يَتَمَتَّعُونَ بِحَدَائِقِهِمْ
وَمَبَاهِجِهِمْ ، وَيُشْرِفُونَ عَلَى النَّاسِ فِي قُصُورِهِمْ ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ
أَثَرٍ إِلَّا التَّمَتُّعُ بِمَا نَالُوا ، لَمْ يَبْقَ لَهُمْ ذِكْرٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي
حَيَاتِهِمْ شَأْنٌ ، إِلَّا مَا هُوَ مُحْصُورٌ فِي دَوَائِرِ بِيوتِهِمْ ، وَمِثْلُهُمْ
كَذَلِكَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْحَبُونَ مَطَارِفَ (٧) النِّعَمِ وَالرِّفَاهِيَّةِ ،

(١) الموشاة : المزينة .

(٢) النجيع : دم الجوف .

(٣) ضرجوا : لطحوا .

(٤) قضوا نحبهم : ماتوا .

(٥) غيابة كل شيء : ما سترك منه وجمعه غيابات ، وهو يريد الأمكنة
البعيدة التي شردوا إليها .

(٦) السمت : المكان الواضح . والمقصود بالسمت الأعلى : المكافئة العليا
والدرجة الرفيعة .

(٧) المطرف : رداء من الحرير مربع ذو أعلام ، وجمعه مطارف . يريد
بقوله : يسحبون مطارف النعيم : تظهر عليهم آثار النعمة .

ويكتسبون حُلَلَ الخَزَّ (١) والديباج ... ذهبوا وذهبت معهم
أَكْسِيَّتُهُمْ ، وارتدوا من حيث أتوا ، لا يُعَلِّمُ متى جاءوا إلى
الدنيا ، ومتى رحلوا عنها .

خُدِعَ قوم بالأحلام ، وغرَّتْهم الأوهام ، ففرطوا في شئون
بلادهم ، وباعوا مجدَّها الشامخ بتلك الأسماء التي لا تُسَمَّى لها ،
وزعموا ، وهم واهمون ، أنهم رَقُوا مكانةً من الشرف ، وإن كان
خاصًا بهم ، فلو أنهم أضغوا لما تُحدِّثُهم به سرائرهم ، وتعنَّفُهم
به خواطرُ أفئدتهم ، ورمقوا (٢) بأبصارهم ما يُحيطُ بهم ،
لعلِّموا أنهم في أحسِّ المنازلِ وأسفلِ الدَّرَكاتِ ، وأدركوا
خطأهم في معنى الشرفِ ، وانحرفهم عن جادة الصواب في طلبه
الشرفُ حقيقةٌ محدودة كَشَفَتْها الشرائع ، وحددتها عقولُ
الكاملين من البشر ، وليس لإنسان أن يرتاب (٣) في فهمها إلا
من ختم الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة .

الشرفُ بهاءٌ للشخص يُحوَّلُ إليه الأنظار ، ويُوَجَّهُ إليه
الخواطرُ والأفكار ، وجمالُ يروقُ حسنه في البصائرِ والأبصار .
ومشرقُ ذلك البهاءِ عملٌ يأتِيهِ طالبه ، يكون له أثرٌ حسنٌ
في أمته ، أو بني ملته ، أو في النوعِ الإنسانيِّ بعامَّة . كإنقاذ

(١) الخَز : الحرير .

(٢) رمق : لحظ ورأى .

(٣) يرتاب : يشك .

من تهلكة ، أو كشف لجهالة ، أو تنبيه لطلب حق مسلوب ،
 أو تذكير بمجد سبق ، أو إنهاض من عثرة ، أو إيقاظ من
 غفلة ، أو إرشاد لخير يعم ، أو تحذير من شر يغم ، أو تهذيب
 أخلاق ، أو تثقيف عقول ، أو جمع كلمة وتجديد رابطة ،
 أو إعادة قوة وانتشال من ضعف ، أو إيقاد حمية ، أو حث
 على جلائل الأعمال .

من أتى عملا له أثر من هذه الآثار فهو الشريف ، وإن كان
 يسكن الخصاص والأكواخ ، ويلبس رخيص الثياب ، ويقتات
 نبات البر ، ويبيت على تراب القفر ، ويضرب في كل واد ،
 ويتردد بين الربا والوهاد (١) . هذا له حلية من علمه ، وزينة
 من فضله ، وبهاء من كماله ، وضياء من جده ، تعرفه المشاعر
 الحساسة ولا تنكره ، وتكتنفه حبات القلوب التي تهفو إليه ،
 له من روجه قصور شاهقة ، وغرفات شائقة ، ومناظر رائعة ،
 وجمال باهر ، ونور زاهر ، لا يكاد يخفى حتى يظهر ، ولا يلبث
 مستورا حتى يبصر ، إليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح
 يرفعه إلى أعلى عليين ، حياة طيبة في القلوب ، وعزة مشرقة في
 جبهة الزمان ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

(١) الربا : جمع ربوة . هي المكان المرتفع ، الوهاد : الأرض المنخفضة .

- ١ - ما الصفات التي يجب أن يتحلى بها الإنسان لكي يكون شريفاً ؟ .
- ٢ - ما الأعمال التي تخل بالشرف ؟ .
- ٣ - متى تكون الأوسمة والألقاب دليلاً على الشرف ؟ ومتى لا تكون ؟ .
- ٤ - كيف تصون الأمة شرفها ؟ وماذا تعمل لتحقيق ذلك ؟ .
- ٥ - بماذا يكسب الشرف كل من : الموظف ، العامل ، التاجر ، الزارع ؟ .

٤٣ - المرأة المسلمة عند الشدائد

بعد أن هزم « صلاح الدين الأيوبي » جيش الصليبيين هزيمة منكرة في وقعة « حطين » أراد الصليبيون أن يثأروا من هذه الهزيمة التاريخية الكبرى ، فجهز لويس التاسع ملك فرنسا حملة صليبية جديدة لغزو الشرق مرة ثانية ، وأرسل إلى الملك الصالح في مصر ، يتهدده ويتوعده ، ويخوفه بما فعله الأسبان بعرب الأندلس ، فكتب القاضي بهاء الدين زهير رداً على رسالة ملك فرنسا يقول له :

« أما بعد فقد وصل كتابك ، وأنت تتوعد بكثرة جيوشك وعدد أبطالك ... ولكنك نسيت أننا أرباب السيوف ، وما قتل منا فرد إلا جددناه ، ولا بغى علينا باغ إلا دمرناه ، ولو رأت عينك أيها المغرور حد سيوفنا وعظم حرؤبنا ، فتحنا منكم الحصون والسواحل ؛ لكان لك أن تعض أناملك بالندم ، في يوم أوله لنا وآخره عليك ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . »

وجاءت هذه الحملة الصليبية وعلى رأسها ملك فرنسا ، واستولت على دمياط ، ولكنه بقي فيها ستة أشهر ليستكمل معدات حملته قبل استئناف زحفه ، فما كان من المصريين

إِلَّا أَنْ جَمَعُوا شَمْلَهُمْ ، وَوَحَدُوا أَمْرَهُمْ ، مُنْتَظِرِينَ سَاعَةَ
الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْجَيْشُ الصَّلِيبِيُّ يَسْتَعِدُّ لِلزَّحْفِ عَلَى الْمَنْصُورَةِ
تُوَفِّي الْمَلِكُ الصَّالِحُ مَلِكُ الْبِلَادِ ، فَعَظُمَ الْخَطْبُ عَلَى زَوْجَتِهِ
« شَجَرَةَ الدَّرِّ » فِي هَذَا الْوَقْتِ الْعَصِيبِ ، وَأَخَذَتْ تَسْأَلُ نَفْسَهَا :

مَاذَا أَفْعَلُ أَمَامَ هَذَا الْجَيْشِ الزَّاحِفِ ؟ ... مَاذَا أَفْعَلُ فِي
سَاعَةِ الضُّيْقِ وَالْمِخْنَةِ ؟ .

حَزَمَتْ « شَجَرَةُ الدَّرِّ » أَمْرَهَا ، وَقَالَتْ :

لَوْ عَلِمَ الضُّبَابُ وَالْجُنُودُ بِمَوْتِ مَلِكِهِمْ وَقَائِدِهِمْ ، فَلَا شَكَّ
فِي أَنْ ذَلِكَ يُضْعِفُ عَزَائِمَهُمْ وَيُثِيرُ التَّفَكُّكَ فِي صُفُوفِهِمْ ،
وَيَنْتَهِي الْأَمْرُ إِلَى هَزِيمَةٍ مُحَقَّقَةٍ .

فَقَرَّرَتْ شَجَرَةُ الدَّرِّ أَنْ تَكْتُمَ نَبَأَ وِفَاةِ الْمَلِكِ عَنِ النَّاسِ
جَمِيعًا ، فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ بِهِ ، وَأَنْ تَنْهَضَ هِيَ بِتَصْرِيفِ شُؤْنِ
الْمَلِكِ ، وَتَدْبِيرِ أَمْرِ الْحَرْبِ ، وَإِضْدارِ الْأَوَامِرِ بِاسْمِ زَوْجِهَا إِلَى
قِيَادَةِ الْجَيْشِ حَتَّى يَعُودَ ابْنُهَا « تَوْرِنِشَاهُ » وَارِثُ الْعَرْشِ مِنْ
غِيَابِهِ ، وَأَعْلَنْتْ أَنَّ الْمَلِكَ مَرِيضًا ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَقْبَلَ
أَحَدًا ، وَحَنَطَتْ جُثَّتَهُ ، وَوَضَعَتْهَا فِي صُنْدُوقٍ مِنْ خَشَبِ
الصُّنْدَلِ ، ثُمَّ حَمَلَتْ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي سَفِينَةٍ عَلَى النَّيْلِ ، لَا يَدْرِي
أَحَدٌ مِنْ مَلَّاخِيهَا مَاذَا تَحْمِلُ ، وَرَسَتْ السَّفِينَةُ عَلَى سَاحِلِ

جَزِيرَةِ الرَّوْضَةِ ، وَحُمِلَ الصُّنْدُوقُ مُغْلَقًا بِأَسْرَارِهِ إِلَى الْقَصْرِ ،
وَجَرَّتِ الْحَيَاةُ عَادِيَةً فِي مَقَرِّ الْقِيَادَةِ بِالْمَنْصُورَةِ .

وَكَانَتْ الرِّسَائِلُ تُرْفَعُ إِلَى الْمَلِكِ ، فَتَخْرُجُ بِرَأْيِهِ وَعَايِهَا
خَاتَمُهُ ، دُونَ أَنْ يَشُكَّ أَحَدٌ فِي الْأَمْرِ .

رَاحَتْ شَجَرَةُ الدَّرِّ تَرْقُبُ بِنَفْسِهَا حَالَةَ الْجَيْشِ ، وَتَرْسُمُ
خُطَطَ الْقِتَالِ ، وَتَرْقُبُ حَرَكَاتِ الْعَدُوِّ ، وَأَلْفَتِ فِرْقَةً تُشْبِهُ فِرْقَ
الْفِدَائِيِّينَ الْآنَ ، تَنْقُضُ عَلَى مَعْسَكَاتِ الصَّلِيبِيِّينَ ، تُخَرِّبُ
الْمُنْشآتِ ، وَتَحْرِقُ الْخِيَامَ ، وَتَقْتُلُ الْجُنُودَ ، وَتَثِيرُ الْخَوْفَ
وَالْقَلَقَ فِي نُفُوسِ الْأَعْدَاءِ .

وَبَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ الْكُبْرَى ، الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا الشَّعْبُ وَالْجَيْشُ
وَخَرَجَ فِيهَا أَبْنَاءُ الْمَنْصُورَةِ كِبَارًا وَصِغَارًا ، يُحَارِبُونَ مَلِكَ
فَرَنْسَا وَجُنُودَهُ فِي الشُّوَارِعِ وَالْحَوَارِي وَالطَّرِيقَاتِ ، وَيُقَاتِلُونَهُمْ
بِالْعَصِيِّ وَالسُّيُوفِ ، وَمِنْ فَوْقِ الْمَنَازِلِ بِالْحِجَارَةِ وَالْقَدَائِفِ ،
بَعْدَ أَنْ تَحَصَّنُوا دَاخِلَ الْمَدِينَةِ بِإِقَامَةِ الْحَوَاجِزِ وَالْمَتَارِيسِ .

وَهَزِمَ الْجَيْشُ الْفَرَنْسِيَّ الْكَبِيرُ هَزِيمَةً أُخْرَى مُنْكَرَةً ، وَوَلَّى
مَلِكُ فَرَنْسَا هَرَبًا مَعَ فُلُولِ جَيْشِهِ (١) إِلَى الشَّمَالِ ... وَلَكِنْ جَيْشُ
مِصْرَ أَبِي إِلَّا أَنْ يُطَارِدَهُ ، حَتَّى يَقْبِضَ عَلَى الْمَلِكِ لُوِيْسَ
وَحَاشِيَتِهِ ، وَكَانَ لِجَيْشِ مِصْرَ مَا أَرَادَ ، فَقَبِضَ عَلَى مَلِكِ فَرَنْسَا ،
وَسَبِقَ مُقْبِدًا بِالْحَدِيدِ إِلَى الْمَنْصُورَةِ ، حَيْثُ أَمَرَتْ شَجَرَةُ الدَّرِّ

(١) فُلُولُ الْجَيْشِ : الشَّتِيتُ الْمَتْفَرِقُ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ .

بَسَجْنِهِ فِي دَارِ ابْنِ لُقْمَانَ ، ثُمَّ أَخْلَى سَبِيلَهُ بَعْدَ أَنْ دَفَعَ فِدْيَةً
كَبِيرَةً ؛ تَعْوِيضًا عَمَّا أَخَذَتْهُ جُنُودُهُ مِنْ تَدْمِيرٍ وَتَخْرِيْبٍ فِي الْبِلَادِ
وَهَكَذَا اسْتَطَاعَتْ شَجَرَةُ الدَّرِّ ، بِرِجَاحَةِ (١) عَقْلِهَا ، أَنْ
تَكْتُمَ الْخَبَرَ ، وَتَحْزِمَ أَمْرَهَا ... هَكَذَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى
جَمْعِ الْكَلِمَةِ ، وَوَحْدَةِ الصُّفُوفِ ، فِي سَاعَةِ الْمِحْنِ وَالضُّيْقِ .

الناقشة :

١ - بينما كان الجيش الصليبي يستعد للزحف على المنصورة ،
توفي الملك الصالح ؛ ماذا فعلت شجرة الدر أمام هذا
الموقف المفاجيء ؟ .

٢ - ماذا كان مصير الجيش الفرنسي وملكه لويس التاسع ؟

٣ - عبر بأسلوبك عن معنى كل مما يأتي :

(أ) يعرض أنامله ندمًا .

(ب) فلول الجيش .

(ج) أرباب السيوف .

(١) رجاحة العقل : رزاعة الفكر .

عَرَفَ الْمِصْرِيُّونَ الْقُدْمَاءَ (التمر) ، إِذْ وُجِدَ مَنْقُوشاً عَلَى مَقَابِرِهِمْ ، وَمَكْتُوباً عَلَى أَوْراقِ الْبَرْدِيِّ ، وَأَكْلُوهُ غَضًّا وَجَافًا وَمُسْكراً فِي عَسَلِ النُّحْلِ .

وقد كان التمر طعاماً « مَرِيماً » حِينَ وَضَعْتَ السَّيِّحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَجَاءَ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، قَالَ تَعَالَى « وَهَزَى إِلَيْكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ، فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا » .

وقال نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم : « أَمَا الرُّطْبُ فَطَعَامُ مَرِيَمَ ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ طَعَاماً خَيْراً مِنْهُ لَأَطْعَمَهَا إِيَّاهُ » .

وللتمر قيمة غذائية كبيرة ، إِذْ يَحْتَوِي عَلَى نِسْبَةٍ عَالِيَةٍ مِنْ الْمُرَكَّبَاتِ النَّشَوِيَّةِ وَالسُّكْرِيَّةِ الْمُؤَلَّدَةِ لِلْحَرَارَةِ وَالنَّشَاطِ ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْعَمَلِ .

وَالْفَلَّاحُ أَوْ الْعَامِلُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْتَمِدَ فِي غِذَائِهِ عَلَى التَّمْرِ وَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ فِي بَعْضِ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ ، (فَالْكِيلُوجْرَامِ) مِنْ التَّمْرِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِدَّ الْفَرْدَ الْوَاحِدَ الْبَالِغَ بِالْوَقُودِ اللَّازِمِ يَوْمِيًّا ، لِحِفْظِ حَرَارَتِهِ وَحَيَوِيَّتِهِ ، وَاللَّازِمَ لِإِمْدَادِهِ بِالْقُدْرَةِ عَلَى مُوَاصَلَةِ

العمل ، أما اللبن الحليب .. فيمده بالمركبات البروتينية
اللازمة لنمو الجسم وبنائه ، ولهذا وصفه أمير الشعراء أحمد
شوقي بقوله :

طعامُ الفقيرِ وحلوى الغنى وزادُ المسافرِ والمُعْتَرِبِ
والرطب من الفواكه الى تحتوى على قدرٍ ملحوظٍ من
(الفيتامين) الواقى من مَرَضِ البَلَاجِرَا ، والبَلَاجِرَا كَلِمَتَانِ
إِيطَالِيَتَانِ مَعْنَاهُمَا الْجِلْدُ الخَشِنُ ، بسبب ما يحدثه نقص هذا
الفيتامين وغيابه من خشونة الجلد في المواضع العارية ،
وأعراض هذا المرض غير منتشرة في المناطق التي تأكلُ التمرَ
بكثرة .

ويحتوى التمر على مقادير معتدلة من مركبات الحديد
الى تدخل في تكوين الدم ، ومركبات الجير التي تدخل في
تكوين العظام والأسنان .

* * *

ومن فاكهة الصيف نذكر الأنبيج « المانجو » وهى فاكهة
حديثه العهد ، لم يستجلب الهواة أشجارها من الهند إلا منذ
مائة سنة أو أكثر قليلا ، حيث زرعوها فى حدائقهم ، وكانوا
يتهادون (١) بشمارها ، لقله وجودها ، وحلاوة مذاقها ، ولا تزال
بعض الأشجار القديمة قائمة حتى اليوم .

(١) يتهادون : يهدى بعضهم إلى بعض أى يتبادلونها كهدايا .

وَيُجَفَّفُ أَهْلُ الْهِنْدِ ثَمَارَ الْأَنْبِجِ « المانجو » كما نُجَفَّفُ
الزبيب ، وَيَتَدَاوُونَ بِهَا كَعَلَاجٍ لِبَعْضِ حَالَاتِ الْإِسْهَالِ .

وِثْمَارُ الْأَنْبِجِ مِنْ أَكْثَرِ فَوَاكِهِ الصَّيْفِ اخْتِوَاءً عَلَى الْمُرَكَّبَاتِ
النَّشْوِيَّةِ وَالسُّكَّرِيَّةِ ، الْمَوْلُودَةِ لِلْحَرَارَةِ وَالنَّشَاطِ وَالْحَيَوِيَّةِ ،
وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْعَمَلِ ، وَمِنْ أَكْثَرِهَا اخْتِوَاءً عَلَى مُرَكَّبَاتِ
الْجِيرِ الِى تَدْخُلُ فِي تَكْوِينِ الْعِظَامِ .

وَفِي لُبِّ الْأَنْبِجِ « المانجو » مَقَادِيرُ مُعْتَدِلَةٌ مِنْ فَيْتَامِينِ (أ)
الوَاقِي مِنْ ضَعْفِ الْإِبْصَارِ لَيْلًا ، وَالضَّرُورِيٌّ لِسَلَامَةِ الْجِلْدِ ،
وَفِيهِ أَيْضًا مَقَادِيرُ وَافِيَةٌ مِنْ فَيْتَامِينِ (ج) الْوَاقِي مِنْ مَرَضِ
« الْأَسْقَرِبُوطِ » الَّذِي يُعْرَفُ بِالنَّهَابِ الْأَغْشِيَّةِ الْمُخَاطِئَةِ ، وَتَبَقُّعِ
الْجِلْدِ ، وَتَضَخُّمِ الْأَطْرَافِ ، وَتَأْكُلِ الْأَسْنَانَ ، وَشُعُورِ الْجَسْمِ
بِالضَّعْفِ مِنْ أَقَلِّ مَجْهُودِ .

وَالْعِنْبُ مِنْ فَاكِهِ الصَّيْفِ ، مَا أَحْلَى الْعِنْبَ وَمَا أَجْمَلَ
عِنَاقِيدَهُ ! !

قَوَارِيرُ بَمَاءِ الْوَرْدِ مَلَأَى تَشِفُّ وَلَوْلُوُّ فِيهَا يَعْوَمُ
وَكُلُّ مُجْمَعٍ مِنْهُ ثُرِيًّا وَكُلُّ مُفْرَقٍ مِنْهُ نُجُومُ
وَتَحْسَبُهُ مِنَ الْعَسَلِ الدُّصْفَى إِذَا اخْتَلَطَتْ عَلَيْكَ بِهِ الطُّعُومُ

وِثْمَارُ الْعِنْبِ مِنْ أَغْنَى فَوَاكِهِ الصَّيْفِ بِمُرَكَّبَاتِ الْحَدِيدِ
الضَّرُورِيَّةِ لِتَكْوِينِ الدَّمِ ، وَلَا يَفُوقُهُ فِي هَذَا الصِّدِّ سِوَى ثَمَارِ
الْمِشْمِشِ .

وَيُعْمَلُ عَصِيرُ الْعِنَبِ كَمُلَيْنِ طَبِيعِيٍّ فِي الْقَنَاةِ الْهَضْمِيَّةِ ،
كَمَا يَحْتَوِي عَلَى نِسْبَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ السُّكَّرِ الَّذِي يَتَحَوَّلُ فِي الْجِسْمِ
إِلَى حَرَارَةٍ وَنَشَاطٍ وَقُدْرَةٍ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْعَمَلِ ، وَثِمَارُ الْعِنَبِ
مِنْ خَيْرِ الْأَغْذِيَّةِ لِلنَّاقِهِينَ لِسُهولةِ هَضْمِهِ .

* * *

وَتُعَدُّ ثِمَارُ الْجَوَافَةِ مِنْ أَغْنَى فَوَاكِهِ الْخَرِيفِ فِيهَا فَيْتَامِينُ (ج)
الْوَاقِي مِنْ مَرَضِ « الْأَسْقَرِبُوطِ » ، وَقَدْ ثَبَتَ بِالتَّحْلِيلِ الْكِيمَاوِيِّ
أَنَّ الْجَوَافَةَ الْحَمْرَاءَ أَغْنَى مِنَ الْجَوَافَةِ الْبَيْضَاءِ فِي هَذَا
الْفَيْتَامِينِ ، كَمَا أَكَّدَتِ التَّحَالِيلُ أَنَّ قِشْرَةَ ثِمَارِ الْجَوَافَةِ
وَلَحْمَهَا الْخَارِجِي ، أَكْثَرُ اخْتِوَاءً عَلَى هَذَا الْفَيْتَامِينِ مِنْ قَلْبِ
الثَّمَرَةِ ، وَبِجَانِبِ هَذَا الْفَيْتَامِينِ تَحْتَوِي الْجَوَافَةُ قَدْرًا غَيْرَ
قَلِيلٍ مِنَ الْمُرَكَّبَاتِ الْمَوْلُودَةِ لِلْحَرَارَةِ وَالنَّشَاطِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى
الْحَرَكَةِ (الْمُرَكَّبَاتِ الْكَرْبُوهِدْرَاتِيَّةِ) .

وَقَدْ صُنِعَ مِنْ لُبِّ الْجَوَافَةِ مَسْحُوقٌ نَاعِمٌ ، وَتَكْفِي الْأَوْقِيَّةُ
مِنْهُ رَائِدَ الْمَنَاطِقِ الْقُطْبِيَّةِ الَّتِي لَا زَرَاعَ فِيهَا مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ،
وَكَانَتْ قِيَادَةُ جُيُوشِ الْحُلَفَاءِ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَّةِ -
تَصْرِيفَ لَجُنُودِهَا مَسْحُوقَ الْجَوَافَةِ ، وَمُنْتَجَاتِهَا ، وَعَصِيرِهَا ،
لِتُحَافِظَ عَلَى مُقَاوَمَتِهِمْ لِبَعْضِ الْأَمْرَاضِ .

٤٥ - أثر الكشوف والمخترعات في محاربة الأمراض والأوبئة

لا يُمكن للجُنْدَى أن يدافع عن وطنه بغير سلاح ، كذلك الطبيب لا يستطيع أن يكافح الأمراض والأوبئة بغير أدوات وآلات ومعارف .

وعندما نتذكر الظروف التي كان يعمل فيها أطباء الماضي ، والصعوبات التي كانوا يقابلونها ، وكيف كانوا يخوضون المعركة ضد المرض من غير سلاح ، فلا أشعة يرى بها الطبيب الأعضاء الداخلية ، ولا مِسماع يُبين بوضوح وجلاء حالة القلب وطبيعة التنفس ، ولا جهاز لقياس ضغط الدم ، وبغير مجهر . وبغير معامل وتحاليل طبية ... فلا نَعْجَب - تحت هذه الظروف السيئة - إذا عَلِمنا أن الأمراض والأوبئة كانت تحصد أرواح الأُلوْف والملايين ، أما الآن فقد أصبح في وسع الطب أن يعمل الكثير لِلْحَدِّ من الأمراض ، ولحماية البشرية من عدوان الميكروبات ، وغزو الأوبئة .

ونذكر فيما يلي - بإيجاز - الكشوف العلمية التي توالت في مراحلها المتتابعة ، حتى وَصَلت إلى ما ننعم به اليوم من علم ، وأثر ذلك في مقاومة الأمراض والأوبئة .

لقد مهد .. تطور العدسات المكبرة في هواندا .. إلى كشف

المجهر « الميكروسكوب » عام ١٦٨٣ م ، ذلك المجهر الذي استطاع به الطبيب فحص الدم والبول والبراز والبصاق والأنسجة ، مما ساعد على معرفة أسباب الأمراض ، سواءً

على كشف

أكانت « طفيليات » أم جراثيم .

لقد استطعنا به رؤية أعدائنا التي تحاربنا ونحاربها ، بعد أن كانت من قبل مجهولة ومُخفية ، تحيط بها الخرافات ، وتكتنفها الأساطير ، وبذلك أصبح الطريق مُمهّداً لإبادة هذه الطفيليات والجراثيم ، إذ عرّف العلماء أشكالها ، ومواقع وجودها ، ومواطن ضعفها ، ولولا المجهر لكان من الصعب التعرف على هذه الأعداء المُسببة للأمراض ، والتخلص منها .

وفي القرن الثامن عشر سجّلت فيينا انتصاراً علمياً جديداً ، به استطاعت فحص صدر المريض للتعرف على ما أصابه من مرض ، ولو أن الأطباء لم يعرفوا قيمته إلا في القرن التاسع عشر ، فقد كشف علماءها أن طرُق الصدر بالإصبع عدة طرقات ، والإصغاء للصوت الناشئ عن ذلك ، يُعطى فكرة كبيرة عن حاله ، وصاحب هذا الكشف طبيبٌ وموسيقى . ويرجع فضل هذا الكشف إلى مواهبه الموسيقية أكثر منه إلى معلوماته الطبية ، فقد كان والده تاجر خُل ، وقد أدهشه أن أباه كان يحكم على مدى امتلاء البرميل بالخل بالطرُق عليه بأصابعه ، والإصغاء لرنينه ، ففكر الطبيب في أن يستخدم هذه الطريقة لفحص صدر الإنسان ، ومعرفة مدى احتوائه على السوائل في حالات

مرضية خاصة ، وقد ساعدته أذنه الموسيقية على تمييز الأصوات
المختلفة وإدراك مدلولها ومعناها ، وبعد وفاته بزمنٍ طويل ،
أدرك الأطباء أنها طريقةٌ عمليّة وبسيطة ، ولا يمكن لطبيبٍ
أن يستغنى عنها في تشخيص كثيرٍ من أمراض الصدر ، تمهيداً
لوضع الخطة السليمة لمحاربتها .

وَعَرَفَ طَبِيبٌ فرنسي المِسماعِ ^{الطبي} عام ١٨١٩ م ،
وتتلخّص قصة هذا الكشف ، في أن هذا الطبيب كان قد
استدعى قبل ذلك التاريخ بثلاثة أعوام ، لعلاج سيدة تشكو
من أعراض مرض القلب ، وكان الطبيب خجولاً ، فوجد أنه
من غير اللائق أن يضع أذنه على صدرها - كما كانت العادة
المتبعة في ذلك العصر - لسماع دقات القلب .

وقد فكر الطبيب فيما درسه في علم الصوت ، وقابلية
بعض الأجسام الصلبة لنقل الأصوات ، ولذلك صنع أسطوانةً
من الورق ، ووضع أحد طرفيها على صدر المريضة ، والطرف
الآخر في أذنه ، ولشد ما كانت دهشته وسروره ، عندما وجد
أنه استطاع سماع دقات القلب بوضوحٍ لم يتيسر لأحد قبله ،
وقد وجد كذلك أن استعمال أسطوانات خشبية يجعل الصوت
أوضح ، ومن هنا نشأت فكرة صنع أنبوبة ثلاثم أذن الطبيب ،
وأعقبها صنع أنبوبة مزدوجة توضع في الأذنين معاً ، وهكذا
بدأت قصة المِسماعِ الطبي ، ذلك الجهاز الصغير الأنيق ،



جهاز لقياس ضغط الدم



الأشعة السينية تعطي صورة لعظامنا لتكشف ما أصابها من علة أو كسر

الذي يُلازم الطبيب دائماً ، والذي بواسطته يُمكنُ الكَشْفُ عن

أمراض القلب والرئة ^{أدوية} ^{والنباتات} ^{وحصر} ^{الذروبيات} ^{:-}
وفي القرن الثامن عشر ، لاحظ أحد الأطباء نجاح الساحرة
المعروفة « بالأم هاتون » في علاج حالات أمراض القلب ، التي
لم تكن تستجيب لأي علاج طبي معروف وقت ذاك ، ونسب
الطبيب نجاح الساحرة إلى الأعشاب المكونة للجرعة التي
تُعطيها لمرضاها ، وليس إلى أحجبتيتها وتمائمها ، وبالرغم من
أنه لم يكن من علماء النبات ، إلا أنه قام بتحليل هذه الجرعة ،
وكشف أنها تحتوي على أوراق نبات « إصبع العذراء » وقام
الطبيب بخطوة أخرى ، إذ كشف تأثير هذا النبات المقوي
للقلب .

وقد ذكرنا هذا الكشف ، كمثال للعديد من الأدوية ،
التي نستعملها في محاربة الأمراض والأوبئة ، وهو يوضح
أن الإنسان عرف بغريزته النباتات التي تعالج عِلَّه وأمراضه ،
ولا يتسع المجال لذكر قصص توضح أشباه هذا الكشف ، مثل
استعمال خشب الكينا لعلاج الملاريا ، وكيف تطوّر إلى
استخلاص مادة « الكينين » منه .

وقد أمكن العلم - على مر السنين - استخلاص العناصر
الفعالة من مصادرها النباتية والحيوانية ، وبين طريقة إعدادها ،
وجرعاتها ، وفعالها ، وطريقة استعمالها .

وكشف الأشعة السينية من أعظم الأحداث العلمية في هذا العصر ، وكان من الممكن أن يختفى هذا الكشف الخطير في عالم الغيب ، لولا بحوث أحد علماء الطبيعة ، التي أوحى إليه بأن يضع يده بين أنبوبة الأشعة التي كان يجري عليها تجاربه ، وبين لوحة عليها طلاء من مادة كيماوية خاصة ، وكان ذلك في غرفة مظلمة ، فشاهد عظام يده وحدها على هذه اللوحة .

ولقد سبب كشف هذه الأشعة « السينية » تطوراً وانقلاباً في عالم الطب ، فأصبحت تُستخدم في تشخيص أمراض الصدر والعظام ، وتكشف عن وجود الحصوات في الكلى أو الحالب أو المثانة أو الحويصة المرارية ، كما تكشف عن وجود المواد الغريبة التي قد يبتلعها بعض الأشخاص ، مثل قطع النقود أو الدبابيس ، كما أنها تكشف وجود أورام داخل الجسم ، كما قد تُحدد طبيعتها .

وهكذا .. أصبح في مقدور الطبيب - بوساطة هذه الأشعة - أن يقرأ باطن الإنسان ، وكأنه يقرأ كتاباً مفتوحاً . لقد أصبح في مقدوره أن يرى القلب والرئتين وغيرها من الأعضاء ، ويرى حركاتها العديدة ، واستطاع أن يسجل ما يراه على « أفلام خاصة » .

ولما كانت هذه الأشعة ، لها خاصية النفاذ خلال الأنسجة

الرخوة ، فلم يَكُنْ ممكناً استغلالها في الكشف عن الجهاز الهضمي والأحشاء الداخلية ، ولكن سرعان ما تغلب العلم على هذه الصعوبة ، فأمكنه أن يظهر ظلال الأنسجة الدقيقة بإعطاء مواد كيماوية تحدد معالمها وحدودها ، فمثلاً إعطاء سلفات الباريوم يُحدد شكل القناة الهضمية .

تجارب الأشعة في الصناعة
ولا تقتصر أهمية الأشعة السينية ، على الطب فحسب ، بل لقد استُخدمت في ميادين الصناعة أيضاً ، وفي مكافحة مهربي المخدرات الذين يدسون سمومهم في أنابيب معدنية يخفونها في بطون الجمال ، فإذا ما سلطت عليها هذه الأشعة السينية ، ظهرت الأنابيب المختلفة ، الممتلئة بالمخدرات ، فتتكشف بذلك ألعيبهم ، وبذلك نحمي الناس من شرورهم .

علاج البروج
وكانت الجراحات - فيما مضى ⁴⁰ مقصورةً على معالجة القرح الخارجية ، وتجبير الكسور البسيطة ، وبتن ^{تطعيم} الأطراف التالفة ، أما فتح تجويف البطن والصدر ، وجراحة المخ والقلب ، فلم يَكُنْ أحدٌ يحلمُ بها .

علاج البروج بواسطة التخدير
ولقد كانت أكبر عقبة تعترض تقدم فن الجراحة ، هي مشكلة الآلام الناتجة عن العمليات الجراحية ، لهذا توصل العلم إلى كشف أثر مادة « الأثير » ومواد أخرى في التخدير ، فقضى نهائياً على الآلام التي كان يتعرض لها المرضى في أثناء العمليات الجراحية ، ومحا - إلى الأبد - صفة « المجازر

الآدمية « ، وأفسح المجالَ لفنِّ الجراحة العظيمة ، ليبلغَ ما وصل إليه الآنَ من تقدمٍ وكمالٍ ورفقٍ .

الناقشة :

١ - لا يمكن للجندى أن يدافع عن وطنه بغير سلاح . كذلك الطبيب : لا يستطيع أن يكافح الأمراض من غير أجهزة وأدوات ومواد وآلات ؛ فسر ذلك واذكر أسلحة الطبيب في مقاومته للأمراض .

٢ - ما فضل المجهر على الطب والأطباء ؟ .

٣ - اذكر قصة اختراع « المسماع » ووضح أثر المسماع في تشخيص الداء .

٤ - بين أثر الأشعة السينية في التعرف على أعراض المرض .

٥ - وضح فضل مادة « الأثير » في علم الجراحة .

إِذَا آمَنَ الْعَبْدُ بِرَبِّهِ إِيمَانًا صَادِقًا ، وَصَدَّقَ بِالْبَعَثِ وَالْحِسَابِ ؛
 وَبَانَ النَّاسَ مَجْزِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، سَارَ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .
 فَخَافَ اللَّهَ ، وَعَمِلَ مَا أَمَرَ بِهِ ، وَاجْتَنَبَ مَا نَهَى عَنْهُ ، وَحَالَ قَ
 النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ، فَصَدَّقَ فِي حَدِيثِهِ ، وَحَفِظَ الْأَمَانَةَ ، وَوَفَّى
 بِالْوَعْدِ ، وَتَعَاوَنَ مَعَ النَّاسِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى .

فَإِذَا كَانَ تَاجِرًا حَرَصَ عَلَى أَنْ يُوفِيَ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ عَمَلًا
 بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ، وَزِنُوا
 بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ (١) » وَكَانَ سَمَّحًا فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ ، وَهُطَّالِبَتَهُ
 مَالَهُ مِنْ حَقِّ عِنْدِ حُرَفَائِهِ ، وَلَمْ يَغْشَ أَحَدًا خَوْفًا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ
 وَمُرَاعَاةَ لِقَوْلِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) ،
 وَصَدَّقَ فِي قَوْلِهِ ، فَلَمْ يَزْعَمْ كَذِبًا أَنَّ السَّلْعَةَ بَعْشَرٌ وَهِيَ بَثْمَانٌ ،
 وَلَمْ يَتَّخِذِ الْحَلْفَ وَسِيَاةً إِلَى خِدَاعِ النَّاسِ ، لِيَشْتَرُوا مِنْ بَضَاعَةٍ
 رَدِيئَةٍ عَلَى أَنَّهَا جَيِّدَةٌ ، أَوْ لِيَشْتَرُوهَا بِأَكْثَرِ مِمَّا تَسْتَحِقُّ مِنَ
 الثَّمَنِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْكَسْبَ الْحَرَامَ لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِ (الْحَلْفُ
 مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ وَمَحَقَّةٌ لِلْكَسْبِ) . وَلَمْ يَحْتَكِرِ السَّلْعَ لِيَرْفَعَ ثَمَنَهَا ،
 وَيَصْعُبَ عَلَى النَّاسِ الْحُصُولَ عَلَيْهَا ، لِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) سورة الشعراء ، آية ١٨١ - ١٨٢ .

وسلم يقول : (من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله ، وبرئ الله منه (١) ، ورعى الأمانة في معاملة الناس ما استطاع ؛ طمعا في هذه المنزلة الرفيعة التي أعدها الله للتاجر الأمين الصادق (التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين) .

صفات المزارع :-
 وإن كان زارعا اجتهد في استثمار الأرض ، يبغى بعمله وجه الله ، فزرع وأروى وسمد ، وتعهّد الزرع بألوان العناية حتى يحصد ما يحيا عليه الناس والدواب والطيور ، وينال مع الثمرات التي يجنيها أجر الله وثوابه ، فقد روى في الحديث الشريف : « ما من مسلم يغرّس غرسا ، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة ، إلا كان له به صدقة (٢) » .

ويسلك مع الناس مسلكا يرضى به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فيرعى جوارهم ، ويحافظ على زروعهم . .
 فلا يغرّقها ، ولا يتلف منها شيئا ، ولا يمشى في حقول جيرانه إلا بإذنهم ، ولا يعتدي على حدودهم ، ولا يبخل عليهم بمعونة في عمل ، ولا بآلة زراعية يحتاجون إليها ، ولا ببذور جيدة تكثر بها غلاتهم ، ويبدل نصائحهم ، ويهدي بتجاربه من لا يحسن الزراعة . . وهكذا ، يكون مصدرا للخير في بيئته ،

(١) أخرجه أحمد والحاكم .

(٢) الزبيرى ط . باب الحرت والزراعة .

ولا ينالُ أحداً بسوءٍ ، ولا يحسدُ أحداً منهم : نَمَت زِرَاعَتُهُ ،
وَوَفَّرَت غَلَاتُهُ .

وإن كان صانعاً أتقن عمله ، أتباعاً لقولِ الله سبحانه وتعالى:

« إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا » (١) وقولِ الرسول صلى

الله عليه وسلم : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ

يُتَقِنَهُ (٢) ، وَصَدَقَ فِي مَوَاعِيدِهِ وَوَفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ النَّاسُ ،

فَلَا يَغْشَى فِي النَّوعِ ، وَلَا فِي الْعَمَلِ .

وبهذا السلوك يُرضى الله ، وَيَخْدُمُ وَطَنَهُ ، بترقية صناعته ،

وَيَجْذِبُ النَّاسَ إِلَيْهِ ، فَيَتَسَبَّعُ رِزْقَهُ ، وَيَذِيعُ صِيَّتَهُ ، وتكون

صناعته سبباً في سعادته في الدنيا والآخرة .

وإن كان معلماً أحسن عظم الرسالة التي يحملها وأدرك أن

صلاح الطلاب يكون بصلاجه .

والمعلم الصالح يُشْفِقُ عَلَى تَلَامِيذِهِ أُسْوَةً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم ، فقد كان يقول : « إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ » ،

فَيَرْفُقُ بِهِمْ كَمَا كَانَ يَرْفُقُ وَهُوَ يَعْلَمُهُمْ ، وَلَا يَعْنِفُهُمْ تَعْنِيفًا

يَحْزِنُ قُلُوبَهُمْ ، أَوْ يُولِدُ الْعِنَادَ فِي نَفُوسِهِمْ ، وَيَكُونُ قُلُوبَهُمْ حَسَنَةً

لَهُمْ بِسُلُوكِهِ الْكَرِيمِ ، وَيُبَصِّرُهُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وبالصفات

التي تكفل لهم النجاح في دراستهم ، وَيَمَلِّئُهُمْ أَمَلًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ ،

(١) سورة الكهف ، آية ٣٠

(٢) البخارى كتاب الشهادات

وَيَدْعُوهُمْ إِلَى التَّطَلُّعِ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ ، وَيُخَاطِبُهُمْ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ لِيَفْهَمُوا مِنْهُ . وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : (نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ ، وَنُكَلِّمَهُمْ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ) ، وَيَجُودُ بِعِلْمِهِ ، وَلَا يَبْخُلُ عَلَى طَلْبَتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُمْ مِنْهُ ، وَإِلَّا تَعَرَّضَ لِمَا يُنْذِرُ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا نَافِعًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » ، وَيَعْمَلُ بِعِلْمِهِ ، لِيَرَى النَّاسُ أَثَرَ الْعِلْمِ فِي صِلَاحِهِ ، فَيَتَعَلَّمُوا مَا تَعَلَّمَ ، لِيُصْبِحُوا مِثْلَهُ ، وَإِلَّا زَهَدُوا فِي عِلْمِهِ الَّذِي لَا نَفْعَ فِيهِ ، يَقُولُ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : « إِذَا لَمْ يَعْمَلِ الْعَالِمُ بِعِلْمِهِ ، اسْتَنكَفَ (١) الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ » .

وَأَجِبَ التَّلْمِيزَ وَإِذَا كَانَ تَلْمِيزًا وَقَرَّ مُعَلِّمِيهِ ، مَهْمَا كَانَ حَسْبُهُ وَنَسْبُهُ ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِلْمُعَلِّمِ الَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ شَأْنَهُ ، وَقَدْ حَدَّثُوا أَنَّ هُرُونَ الرَّشِيدَ سَأَلَ أَحَدَ جُلَسَائِهِ : مَنْ أَعَزُّ النَّاسِ فِي زَمَانِنَا هَذَا ؟ قَالَ : لَا نَعْرِفُ أَحَدًا غَيْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَلِ الْكِسَائِيُّ أَعَزُّ مِنِّي ، فَقَدْ رَأَيْتُ الْأَمِينَ وَالْمَأْمُونَ يَتَسَابِقَانِ إِلَى تَقْدِيمِ نَعْلَيْهِ إِلَيْهِ .

وَوَظَلَ مَدَى حَيَاتِهِ حَرِيصًا عَلَى الدَّرْسِ وَالْبَحْثِ ، شَاعِرًا بِحَاجَتِهِ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْعِلْمِ عَمَلًا بِالْحِكْمَةِ الْقَائِلَةَ : « لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا طَلَّبَ الْعِلْمَ ، فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهِلَ » .

(١) اسْتَنكَفَ : امْتَنَعَ اسْتِكْبَارًا .

الناقشة :

١ - ما صفات المؤمن الصالح :

(أ) إذا كان معلماً ؟ .

(ب) إذا كان زارعاً ؟ .

(ح) إذا كان صانعاً ؟ .

(د) إذا كان تاجراً ؟ .

(هـ) إذا كان تلميذاً ؟ .

٢ - اذكر العبارات الأدبية الجميلة التي أعجبتك ، وبين

سبب إعجابك بها .

٤٧ - جامعة الدول العربية

قامت جامعة الدول العربية .. بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولم يجد الاستعمار بُدًا من التسليم باعتبارها ، بعد تنكُّره لما قطعه للعرب من عهود باستقلال بلادهم ، بعد أن حاربوا في صفه في أثناء الحرب العالمية الأولى ، التي كان جزاؤهم بعد انتهائها ، أن ثبت الاستعمار الإنجليزي والفرنسي مراكزه في سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق ، وكانت هذه الخيانة درسا جديدا تلقاه الناس في كافة الأقطار العربية التي شدد فيها الاستعمار قبضته ، وكانت الشرارة التي أنارت لهذه الأقطار السبيل ، فقامت على إثرها جامعة الدول العربية التي تضم شملهم .

معارك الجامعة خاضت الجامعة العربية - مع الاستعمار - معارك متصلة : في سوريا ، ولبنان ، وليبيا ، والسودان ، ومراكش ، والإمارات العربية ؛ وخاضت - ولا تزال تخوض مع الاستعمار - معارك دامية في فلسطين ، التي أقام في أرضها دويلة إسرائيل منذ ثلاثين عاما ، خنجرا مسموما يشرعه في وجه العرب كلما أراد .

تأسيسها لقد اجتمع في القاهرة ممثلون عن البلاد العربية لإعلان

تكوين جامعة الدول العربية في ٧ من ربيع الآخر عام ١٣٦٤ هـ ،
الموافق ٢٢ من مارس عام ١٩٤٥ م ، لتحقيق الأهداف الآتية :

١ - **الجامعة** توثيق العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين
الدول العربية .

٢ - المحافظة على استقلال الدول العربية وسيادتها .

٣ - النظر بصفة عامة في شؤون الدول العربية ومصالحها .
السياسة وتوثيق العلاقات السياسية يتمثل في عقد اجتماعات بين
ممثلي الدول العربية ، لتوحيد سياستها ومواقفها إزاء المشكلات
التي تتعرض لها جميعاً .

الاقتصاد وتوثيق العلاقات الاقتصادية ، يتمثل في زيادة التبادل
التجاري بين البلاد العربية ، وارتفاع كل دولة عربية بخبرات
الدول العربية الأخرى ، وتنسيق شؤون الجمارك .

الثقافة والمحافظة على استقلال الدول العربية وسيادتها ، يتركز
في مساعدة الدول العربية ، التي لم تكن قد حصلت على استقلالها
بعد ، في جهادها للحصول على هذا الاستقلال ، عن طريق
الجهود المختلفة التي تبذلها وعن طريق المساعدات التي تقدمها
لهذه الدول ، وعن طريق الإعلام بحقوقها في الأمم المتحدة ،
وعن طريق الاتصال بالدول المختلفة .

تلك أهداف جامعة الدول العربية ، فهل نجحت في
تحقيقها ؟ ونجيب في صراحة : إنها نجحت في تحقيق بعض

هذه الأهداف ، فقد وقفت إلى جانب سورية ولبنان حتى تم
لهما الاستقلال ، ووقفت إلى جانب ليبيا والجزائر وإمارات
الخليج العربي ، التي ساعدتها الجامعة في الميادين الثقافية
والاجتماعية والفنية ، عوناً لها على بلوغ أهدافها ومقاصدها ؛
ولا تزال تبذل جهودها من أجل قضية فلسطين .

إدارة الجامعة ولجامعة الدول العربية مجلس يتولى اختصاصات الجامعة ،
كما أن لها أمانة تتولى الاختصاصات الإدارية .

ويرأس أمانة الجامعة أمين عام يساعده أربعة من الأمناء المساعدين
يختارهم مجلس الجامعة . ومقر جامعة الدول العربية في القاهرة (عاصمة
جمهورية مصر العربية) ، وتشترك الدول العربية كلها في تقديم الأموال اللازمة .

المنظمة وينعقد مجلس الجامعة العربية مرتين كل عام ، مرة في
شهر أكتوبر ، والثانية في شهر مارس ، كما ينعقد في الحالات
الطارئة الضرورية ، بناءً على طلب دولتين من أعضاء الجامعة .

المناقشة :

- ١ - ماذا أفاد العرب من نقض الاستعمار لعهوده ؟ .
- ٢ - اذكر الكفاح الذي خاضته جامعة الدول العربية ضد
الاستعمار حفاظاً على نفسها وشعوبها .
- ٣ - ما الأهداف التي أنشئت من أجلها جامعة الدول العربية ؟
- ٤ - هل نجحت الجامعة العربية في تحقيق أهدافها ؟
وضح رأيك مستدلاً بالأحداث .
- ٥ - ما الفرق بين مجلس الجامعة وأمانتها ؟ .

٤٨ - الدرس الأخير (*)

انتهى العام الدراسي ، أو كاد ، وأحس طلبة السنة النهائية أن هذا الدرس هو آخر درس لهم ، فنهض طالبٌ فصيح اللسانٍ وحيًا الأستاذَ تحيةً طيبة ، طلب في ختامها أن يُقدِّمَ لهم أثمن نصيحةٍ عنده .

فتبسَّم الأستاذ ، وتَهَيَّأ للحديث ، ثم قال :
أيها الأصدقاء :

أجل ... إنكم لعلَّ أبواب الحياة العامة التي تنتظرونكم ، وإنكم لفي حاجةٍ إلى أن تُهدَى إليكم خلاصةً تجارِبنا ، فعسى أن تنفعكم ، وعسى أن تتخذوها قاعدةً لكم في حياتكم المستقبلية .
لكم ، أيها الأصدقاء الأعزاء ، أن تنسوا كلَّ ما ألقى عليكم من دروسٍ ومُحاضراتٍ ، على أن تذكروا شيئًا واحدًا فقط أو كلمةً واحدةً فقط ، هي كلمة « الصداقة » .

نعم ... إن الصداقة هي الثمرة الشهية للحياة ، فكونوا أيها الشبابُ أصدقاءً لله ، وأصدقاءً للناس ، وأصدقاءً للأشياء .

(٥) للدكتور عبد اللطيف حمزة : أستاذ الصحافة بكلية الآداب - جامعة القاهرة سابقاً .

كونوا أصدقاء لله . . تشعروا بمعنى الحق ، وكونوا أصدقاء
للناس . . تشعروا بمعنى القوة ، وكونوا أصدقاء للأشياء . .
تشعروا بمعنى الجمال ، وهل في الحياة التي نعيشها أغلى وأشرف ،
أو أعزُّ وألطفُ ، من هذه المعاني الثلاثة : الحق ، والقوة ،
والجمال .

كونوا أصدقاء لله ، تشعروا بأنه معكم في كل لحظة ،
وأنه يراكم من حيث لا ترونه ، وأنه لا يرضى إلا أن يراكم
مُوفقين في حياتكم ، تتوخون (١) الخير والعدل والاستقامة في
أعمالكم ، فإذا فعلتم ذلك : أرضيتم أنفسكم ، وأرضيتم الله
عنكم ، وأحسستم أن الحياة حق ، وأن الخير حق ، وأن العدل
حق ، وأن الله حق ، والحق إذا ملأ أنفسكم وقلوبكم وعقولكم
على هذا الوجه ، كان خليقاً أن يمنحكم السعادة الصحيحة التي
يتمناها كل إنسان . .

ثم كونوا أصدقاء للناس ، فإن الإنسان لم يُخلق وحده ،
ولا خلق لنفسه ، وحاجتك للناس - وهم أصدقاء - أرضى
لقلبك ، وأروحُ لنفسك ، من حاجتك إليهم وهم أعداء ،
والمرء كثيرُ بإخوانه . . كما يقول العربُ . وشرُّ البلاد بلادُ
لا صديقَ بها . . كما يقول شعراءُ العرب . والقوة لا تحصلُ
للإنسانِ إلا بإخوانه وأعدائه وخلصائه وأصدقائه .

(١) تتوخون الخير : تقصدونه .

ثم كونوا أصدقاء للأشياء بمعنى أنه ينبغي أن تكون بينكم وبين البحر أو الشجر أو الزهر صداقة... وباختصار ، ليكن بينكم وبين المخلوقات كلها - في شتى مظاهرها - نوع من الود... أو المحبة ، فإنكم إن فعلتم : أحسستم بهذا المعنى الثالث من معاني الوجود الإنساني ، وهو الجمال ، فإن من يرى الجمال في شيء يمتع عليه بصره ، تتضاعف لذته بالعيش ، ويصبح في وقت قصير جداً إنساناً في ثياب شاعر . أتدرى لِمَ أحب لكم أن تكونوا شعراء ؟ إنني أحب لكم ذلك كله ، لأن الشاعر إنسان يمتاز على بقية الناس . . بإرهاب في الحس ، ولطف في الوجدان (١) ، وغزارة في العواطف .

ولكن الناس مع هذا يسيئون الظن بالله ، ويسيئون الظن بالناس ، ويسيئون الظن بالأشياء ، فيضعف شعورهم بهذه المعاني الحلوة ، وهي معاني الحق والقوة والجمال ، وتصبح الحياة نفسها عديمة اللون والطعم عندهم ، كما يصبح بينهم وبين السعادة نفسها آماد وآماد .

فأما إساءتهم الظن بالله ، فآتية من أنهم يرمون الأقدار لآتفه الأسباب بالظلم والعدوان ، ويشتد رميهم لها بهاذين الوصفين معاً ، حين يقيسون حظوظهم من الدنيا بحظوظ قرنائهم منها ، ولو أنصفوا لما وقعوا في خطأ التعميم ، ولو

(١) لطف في الوجدان : رقة في الشعور ، وحنان في القلب .

أَنْصَفُوا لِمَا نَسُوا حَسَنَاتِ الْقَدْرِ كُلَّهَا بِسَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ لَهُمْ ،
وفى ذلك يقول الشاعر :

حَاسِبُ زَمَانِكَ فِي حَالِي تَصْرُفِهِ

تَجِدُهُ أَعْطَاكَ أَوْضَعًا الَّذِي سَلَبَا

وَأَمَّا إِسَاءَتُهُمُ الظَّنَّ بِالنَّاسِ ، فَآتِيَةٌ مِنَ الْجَرَى وَرَاءَ اللَّقْمَةِ ،
أَوْ آتِيَةٌ مِنْ تَنَازُعِهِمْ عَلَيْهَا ، وَإِذْلَالِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَجْلِهَا ، إِذْ لَوْلَا
أَضَاعَ احْتِرَامَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ، وَأَحْلَى قِي قُلُوبِهِمُ الْبَغْضَاءَ
مَحَلَّ الْحُبِّ .

وَأَمَّا إِسَاءَتُهُمُ الظَّنَّ بِالأَشْيَاءِ ، فَآتِيَةٌ مِنَ الأُمُورِ كُلِّهَا
مُجْتَمِعَةً ، أَوْ مِنْ ذَلِكَ الْمِنْظَارِ الأَسْوَدِ ، الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى
عُيُونِهِمْ تِلْكَ الظُّرُوفُ كُلُّهَا مُجْتَمِعَةً .

أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ :

أَتُحِبُّونَ أَنْ تَعْرِفُوا الطَّرِيقَ إِلَى السَّعَادَةِ الَّتِي تَأْتِي مِنْ
شُعُورِكُمْ بِمَعَانِي الْحَقِّ وَالْقُوَّةِ وَالْجَمَالِ ؟ أَتُحِبُّونَ أَنْ نَدُلَّكُمْ عَلَى
المِفْتَاحِ الَّذِي تَفْتَحُونَ بِهِ هَذَا البَابَ ؟

إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ أَنْ تَعْرِفُوا ذَلِكَ ، أَوْ نَدُلَّكُمْ عَلَى ذَلِكَ
فَاعْلَمُوا أَنَّ مِفْتَاحَ السَّعَادَةِ أَوْ الشُّعُورَ بِهَذِهِ المَعَانِي الثَّلَاثَةِ هُوَ
الإِيمَانُ بِاللَّهِ .

أَجَلٌ ، الإِيمَانُ أَوَّلُ خُطْوَةٍ مِنْ خُطُواتِ السَّعَادَةِ البَشَرِيَّةِ ،
وَأَوَّلُ مَرِحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِلِ الهَنَاءِ النَّفْسِيَّةِ . وَمَتَى انبَسَطَتِ النَّفْسُ

البشرية ، وَعَمَرَهَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ ، شَعَرَ الْإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُ فَجَاءَهُ بَأَنَّ
 الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ، وَأَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِهِ لَا بِيَدِ سِوَاهُ ، وَأَنَّ الْخَيْرَ فِي
 أَنْ تَدَعَ الْأُمُورَ كُلَّهَا لِلَّهِ ، يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ ، وَهَذَا يَشْعُرُ
 الْإِنْسَانُ بِجَلَالِ هَذَا الْمَعْنَى الْأَوَّلِ مِنْ مَعَانِي الْوُجُودِ ، وَهُوَ مَعْنَى «الْحَقِّ» .

ثم متى امتلأ قلبك بهذا الإيمان ، ومتى رَسَخَ (١) في نفسك
 رسوخاً قوياً ، فهنا لا تُكَلِّفُ نَفْسَكَ الْجَرَى وَرَاءَ الْقَرَشِ ، أَوْ
 الدَّرَجَةَ ، وَإِنَّمَا تَكْتَفِي بِأَدَاءِ وَاجِبِكَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِقُّ
 مَرْضَاةَ اللَّهِ ، وَإِذَا ذَاكَ لَا تَرَى بِنَفْسِكَ حَاجَةً إِلَى التَّنَافُسِ غَيْرِ
 الْمَشْرُوعِ ، وَلَا تُحَسُّ أَنَّكَ تَنْفِسُ عَلَى سِوَاكَ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ .

ثم متى برى قلبك من الغضب على الأقدار ، وشفى صدرك
 من الحقد على الناس ، فإنك شاعرٌ - في هذه اللحظة - بكثير
 من الرضا يشيع في نفسك ، أَوْ السُّرُورِ يَمَلَأُ جَنَابَاتِ قَلْبِكَ ،
 وَإِذَا ذَاكَ فَقَطْ : تَنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ بِمِنْظَارٍ أَبْيَضٍ ، وَمِنْ مِيزَاتِ
 هَذَا الْمِنْظَارِ الْأَبْيَضِ ، أَنَّهُ يُجَسِّمُ لَكَ الْجَمَالَ ، وَأَنَّهُ يَخْلَعُ
 عَلَيْكَ ثَوْبَ الشَّاعِرِ الْإِنْكَلِيزِيِّ الَّذِي قَالَ لِابْنِهِ : « لَيْتَكَ يَا بُنَيَّ
 تَرَى الْعَالَمَ جَمِيعًا فِي نَظْرِكَ كَمَا هُوَ جَمِيلٌ فِي نَظْرِي » .

أَسْأَلُ اللَّهَ لَكُمْ - أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَعْزَاءُ - أَنْ يَنْفَعَكُمْ بِكُمْ
 الْوَطْنَ وَالْإِنْسَانِيَّةَ جَمْعًا ، وَإِلَى الْلِقَاءِ غَدًا فِي مُعْتَرِكِ الْحَيَاةِ
 الْعَامَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

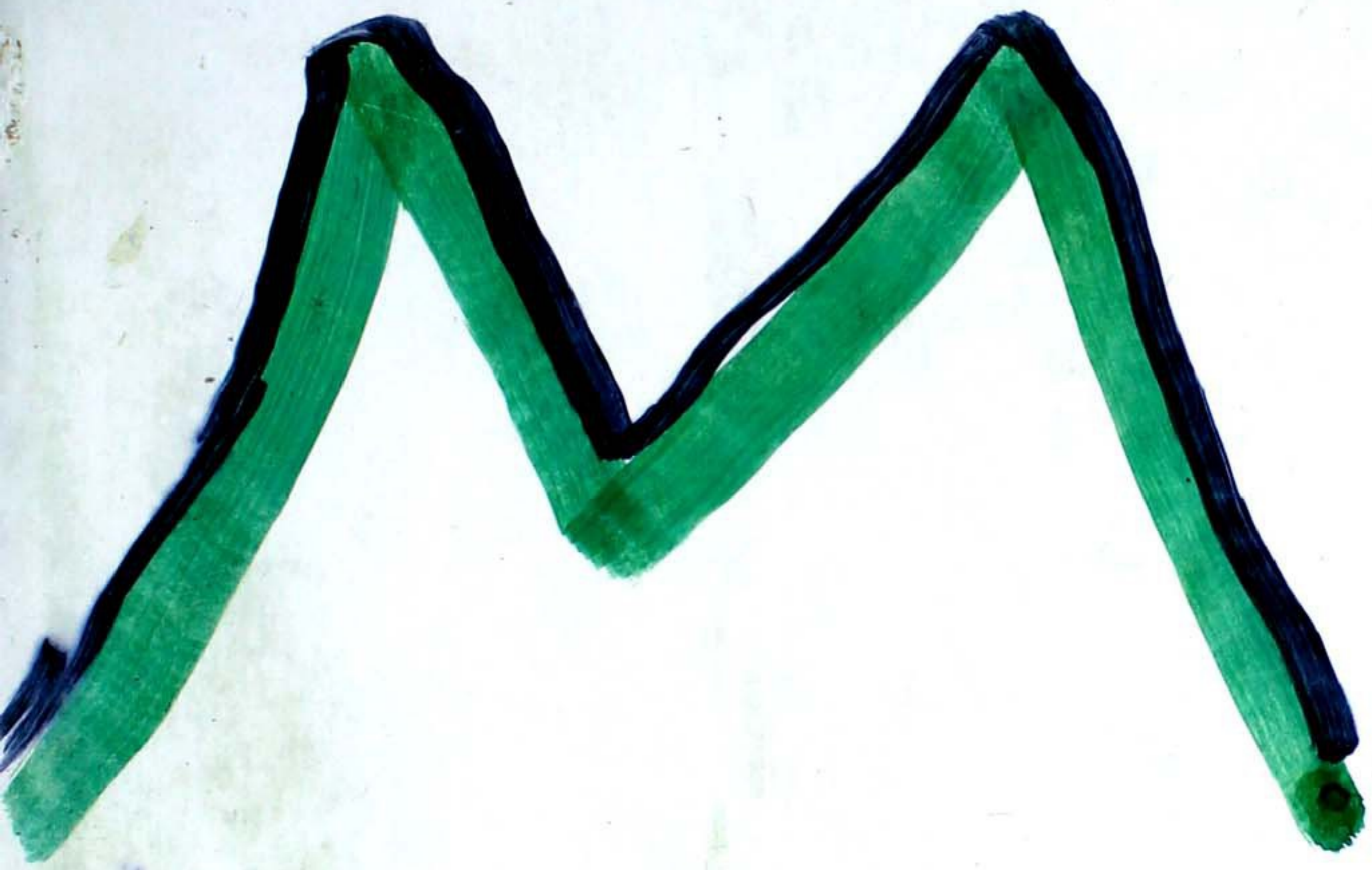
(١) رَسَخَ فِي نَفْسِكَ : ثَبَتَ اسْتَقَرَّ .

فهرست

رقم مسلسل	رقم الصفحة	الموضوع	رقم مسلسل	رقم الصفحة	الموضوع
					مقدمة
١	٣	من هدى القرآن	١٨	٣	الرجل المهذب
٢	٧	الثلاثة الذين خالفوا	١٩	٧	الفارس المثلث
٣	١٨	الوحدة الإسلامية العربية	٢٠	١٨	الريف
٤	٢٩	وثبة وفجر جديد	٢١	٢٩	عالم البحار
٥	٣٣	دعوة الإصلاح	٢٢	٣٣	رسالة من شيخ إلى ابنه الشاب
٦	٣٧	الناسك وابن عرس	٢٣	٣٧	النهضة الصناعية
٧	٤٥	أثر الأم في نشأة الطفل	٢٤	٤٥	أشجار اقتصادية
٨	٤٩	أمجاد العرب	٢٥	٤٩	المؤتمر الإسلامي
٩	٥٤	الأمن في المملكة	٢٦	٥٤	القراءة
١٠	٥٨	فن البيع	٢٧	٥٨	الألوان وأثرها في النفس
١١	٦٠	الخليفة العالم عبدالله المأمون	٢٨	٦٠	احترام المرأة العربية
١٢	٦٣	الاستعمار والأمة العربية	٢٩	٦٣	تحسين الزراعة وإصلاح الأراضي
١٣	٦٧	العلم يكشف معالم الجريمة	٣٠	٦٧	من نوادر أبي دلالة وفكاهاته
١٤	٧١	ولدى	٣١	٧١	كيف تصبح أديباً
١٥	٧٦	التاجر الصادق	٣٢	٧٦	الإسلام والمساواة
١٦	٧٨	خديجة بنت خويلد	٣٣	٧٨	طبيب يضحى بولده من أجل العلم
١٧	٨٢	عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد	١٤٦	٨٢	أجل العلم



١٩٧	المرأة المسلمة عند الشدائد	٤٣	١٥٢	الصباح والمساء	٣٤
٢٠١	فاكهة الصيف	٤٤	١٥٤	ليلي العفيفة	٣٥
	أثر الكشوف والمخترعات	٤٥	١٦٢	رحلة إلى القطب الجنوبي	٣٦
٢٠٥	في محاربة الأمراض والأوبئة		١٦٨	الطفولة والأمومة عند الحيوان	٣٧
٢١٢	المؤمن الصالح	٤٦	١٧٥	الإسلام دين القوة ودين الحياة	٣٨
٢١٨	جامعة الدول العربية	٤٧	١٧٨	الشباب والترف	٣٩
٢٢١	الدرس الأخير	٤٨	١٨٢	جمال الأزهار	٤٠
			١٨٦	سرب الجراد	٤١
			١٩٠	الشرف	٤٢



كالتة متوسطة

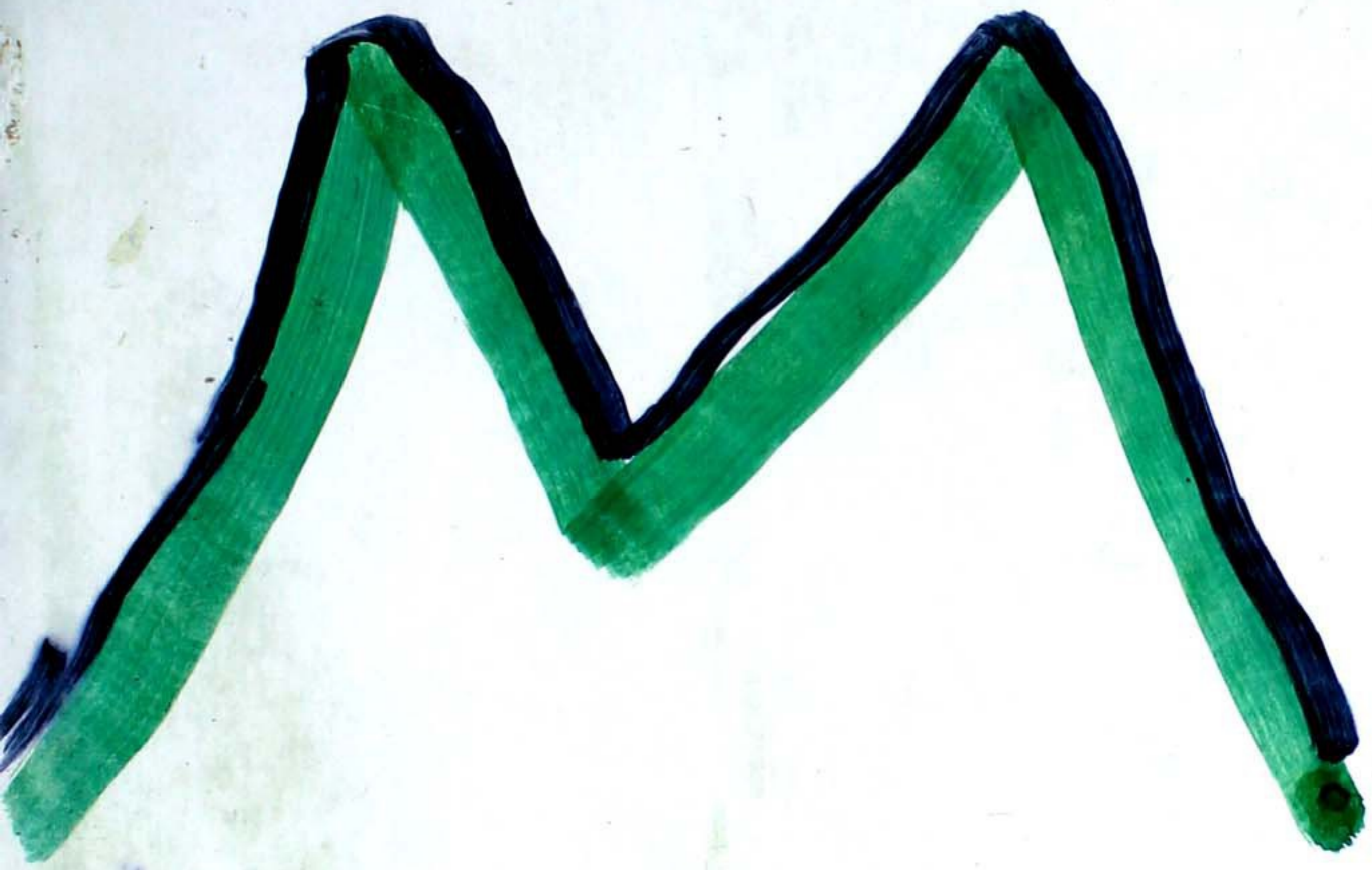
المعلم الشرطي

مدرسة

عبد الرحمن عبد الله

اسم الطالب

دارالاصفهان للطباعة - جدة



كالتة متوسطة

المعلم الشرطي

مدرسة

عبد الرحمن عبد الله

اسم الطالب

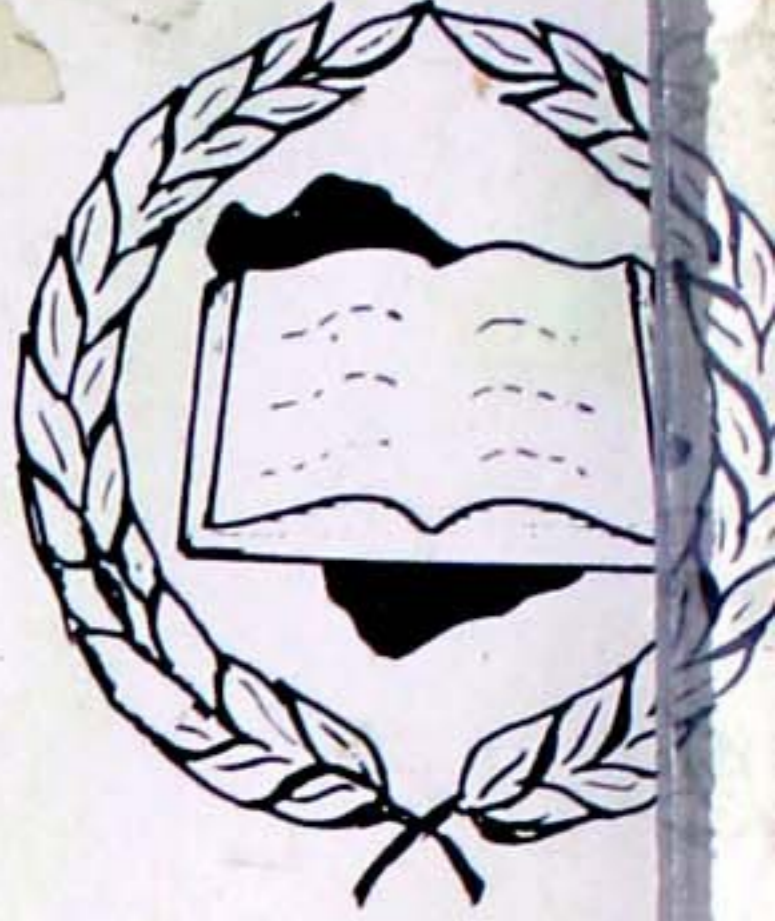
دارالاصفهان للطباعة - جدة

محمد عبد الكريم عبد
131 / د.د
لصاحبها

131
د.د

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

قررت وزارة المعارف تدريس لهذا الكتاب بمدارسها ولجميع على تفقتها



المديرية العامة
للمناهج والكتب والمواد التعليمية

المطالع العرعر

للسف الثالث المتوسط

وفق المنهج الجديد



بوزع مجاناً ولا يباع

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

الطبعة الثالثة